رعب

مجموعة قصصية

الطبعة الثانية

جثة في الفناء الخلفي

ابتسام الناصري

ساحر الكتب

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

ردمك: 978-1-956510-94-2

جميع الحقوق محفوظة

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

booklandkw
bookland.kw
www.booklandkw.com

جثة في الفناء الخلفي

ابتسام الناصري

الطبعة الأولى
2024

مقدمة:

ما ستقرؤه هنا لا علاقة له بالواقع ولا يرتبط بأي شخصية حقيقية، ولكن إن صادفت أحدهم ولديه نفس القصة.... عليك أن تصدّقه.

لحظة....

رسالة تحذيريّة: عزيزي القارئ عليك أن تضع في ذهنك أنّ هذه القصص من خيال الكاتبة فقط، بعضها قد يتوافق مع الواقع ولكن ليس بشكل كامل، وهو من قبيل الصدفة لا أكثر، كما أنّه عندما تجرّب شيئاً جديداً عليك أن تقرأ عنه باستفاضة وتعرف منشأه وحقيقته قبل أن تقدم على أمر قد يجعلك تندم، أو يعرضك إلى سوء أنت في غنى عنه.

جثة في الفناء الخلفي

ـ أنا لست مجنونة

هذا ما قلته للجميع وأنا أصرخ بينما هم يحاولون تهدئتي، لكنني سحبت ذراعي بقوة من يد أمي التي كانت تبكي بحسرة فقالت لي:

ـ سيأخذونك إلى مركز الشرطة يا مريم، الرجل هدّد برفع قضية ضدك.

أجبتها بتحدٍ:

ـ لا يهمني فليفعل ما يريد، ولكنني سأفضحه وأكشف حقيقته أمام الجميع

ما هي القصة؟!

بعد عدة أعوام من الصبر والانتظار استطاع أبي أخيراً أن يشتري منزلاً خاصاً بنا نعيش فيه براحة أكثر ، وكل منا حصل على غرفته الخاصة من دون أن يزعجه أي أحد، ففي شقتنا القديمة كنت أنام أنا وأختاي هدى ومها في غرفة واحدة على أسرة ذات طوابق متعددة، وكنت أعاني كثيراً من صوت شخيرهما خصوصاً مها التي كانت لديها مشكلة في الجيوب الأنفية، ما يجعلها تشخر في بعض الأحيان بصوت عالٍ.. ولكن في منزلنا الجديد حصلت على غرفة لوحدي كوني البنت الكبرى، أما مها وهدى فأصبحتا تنامان سوياً في غرفة واحدة، وانفرد أخي الأكبر ماجد في غرفة، ومن سوء حظي أن غرفتي كانت مطلة على الفناء الخلفي لمنزل الجيران، ولكن هذا الأمر لم يكن يضايقني في البداية فأنا لا أفتح النوافذ إلا قليلاً فقط

للتهوية أو لدخول أشعة الشمس بين الحين والآخر.

في أحد الأيام زارتني صديقتي المقربة جمانة لتهنئتنا بالمنزل الجديد، فجلسنا سوياً في غرفتي بعد أن استأذنت من أمي. وعندما رأت غرفتي أعجبت بها كثيراً وقالت وهي تتلفت حولها بانبهار:

ـ غرفتك جميلة وكأنها جناح في أحد الفنادق الراقية!! من قام باختيار الديكورات والأثاث؟

فأجبتها بكل فخر:

ـ أنا طبعاً، وساعدتني أمي قليلاً

ـ لا أصدق ذلك، فذوقك سيئ.

أخذنا نضحك سوياً، ثم توجهت جمانة نحو النافذة وأخذت تنظر منها وقالت:

ـ انظري، إنّ أحد جيرانكم يقف في الحديقة، ما الذي يفعله يا ترى؟!

طلبت منها إغلاق النافذة لكنها ظلت متسمّرة أمامها وهي تراقب الجيران، ثم أسدلت الستارة قليلاً وأخذت تتلصص فقلت لها:

ـ توقفي عن التلصص، هذا أمر سيئ.

التفتت إليّ وقالت بعد أن ابتلعت ريقها وقد لاحظت الخوف على وجهها:

ـ جاركم يحمل سكينة كبيرة وأكياساً سوداء، يبدو أن بداخلها جثة مقطعة.

اقتربت من النافذة وكنت أعتقد أنها تمزح، وعندما ألقيت نظرة رأيت أحد الجيران يحاول رفع أكياس سوداء تبدو ثقيلة جداً ثم يضعها في صندوق كبير ويغلقه بإحكام، ويحمل بيده سكيناً كبيرة. كما لاحظت أن ملابسه مليئة بالدماء، ثم خرج من المنزل وهو يجر الصندوق بصعوبة!! التفتُّ إلى جمانة وأنا في حالة ذهول وقلت:

ـ هل هو قاتل؟

فسألتني جمانة:

ـ هل تعرفون أي شيء عن جيرانكم؟ هل التقيتم بهم أو قدموا لزيارتكم عندما انتقلتم إلى هنا؟!

ـ لا أذكر ولم تخبرني أمي عن أي زائر من الجيران سوى قريبة لنا تسكن في نفس الحي، ولكن على بعد مسافة من هنا.

ظللنا في حالة صمت وذهول فقلت لها:

ـ هل أُخبر أبي بالأمر؟

ـ كلا لا تفعلي ذلك، فيجب أن نتأكد أولاً، ربما الأمر ليس كما نعتقد وقد يغضب والدك عندما يكتشف أننا كنا ننظر خلسة إلى منزل جيرانكم.

ـ إذن ماذا نفعل؟!

سحبت جمانة نفساً عميقاً وهي تفكر ثم قالت:

ـ أولاً عليكِ سؤال والدك عنهم إن كان يعرفهم أم لا، ثم نرى ماذا نفعل.

في المساء وبعد أن ذهبت صديقتي إلى منزلها سألت والدي:

ـ هل تعرّفت على جيراننا يا أبي؟ أو التقيت بهم؟

ـ عن أي جيران تتحدثين؟

ـ هؤلاء الذين يقيمون خلف منزلنا.

ـ لا أذكر أنّ أحداً منهم قد جاء لزيارتنا، ولكني تعرفت على بعض الجيران في المسجد القريب، لماذا تسألين عنهم؟

أجبته بارتباك:

ـ لا شيء فقط كنت أتساءل، لأننا انتقلنا منذ مدة ولم يأتِ أي منهم لزيارتنا.

ـ تغيّر الزمن يا بنتي، قديماً كان الجيران يتزاورون ويهنئون بعضهم، أمّا الآن فلا أحد يهتم لهذه الأمور الاجتماعية إلّا القليل جداً من الناس.

أسرعتُ نحو غرفتي وقمت بالاتصال بجمانة، وأخبرتها بما قاله أبي فقالت:

ـ إذن يجب أن تراقبيه خلسة لعدة أيام، وإن وجدتِ أي شيء مريب عليك أن تبلغي أباك بالأمر.

ـ ولماذا أفعل ذلك؟ وإن كان قاتلاً أو مجرماً كما تقولين، لماذا أهتم وأتسبب لنفسي بمشاكل؟

ـ يبدو أنك غبية جداً، ماذا لو حاول أن يقتلك أو يؤذي أحدَ أفراد

عائلتك؟ تخيلي لو أنّ تلك الجثة المقطعة كانت لأحدكم؟

شعرت بالخوف حينها وأنا أتخيّل ما قد يحدث وقلت:

ـ توقفي يا جمانة أنتِ تثيرين خوفي.

ـ بل يجب أن تخافي حقاً، سآتي غداً إلى منزلكم كي نراقب الجار الغريب لعلنا نستطيع التأكد مما يفعله.

لم أستطع النوم في تلك الليلة، وظللت أتخيّله يمسك بي ويقطّعني بسكينته حتى أصابني الأرق، وعندما أيقظتني أمي في صباح اليوم التالي كنت أشعر بالتعب، فقلت لها وأنا أغطي وجهي باللحاف:

ـ لن أذهب اليوم إلى العمل يا أمي؛ أنا متعبة.

ـ لكن المديرة تعتمد عليكِ في تجهيز حفلة الأطفال التي ستقيمونها لنهاية العام.

أنا أعمل في روضة أطفال منذ عامين، ومديرة المدرسة تعاملنا كالخدم لديها وتطلب منا أموراً فوق طاقتنا، وفي نفس الوقت تخاف أن نترك العمل لأنها لن تجد موظفات ملتزمات في هذا الوقت وينفذون أوامرها من دون نقاش، كما أنني لا أستطيع ترك وظيفتي لأنني اقترضت من البنك من أجل شراء سيارة جديدة. تنهّدت بضيق وقلت لأمي:

ـ لن أذهب، فأنا لم أستطع النوم البارحة لقد أصبت بالأرق.

ـ هل عدتِ إلى شرب القهوة؟ أخبرتكِ أكثر من مرة ألا تُسرفي في شربها.

ـ كلا يا أمي، أرجوكِ اخرجي، أريد أن أنام قليلاً.

تركتني أمي وخرجت من الغرفة، ولكن بعد أقل من خمس دقائق فقط سمعتُ صوت منشار كهربائي فاعتقدتُ أن أبي يقوم بإصلاح شيء ما في المنزل، فرفعت الغطاء عن وجهي ونهضت من الفراش وأنا غاضبة. وقبل أن أخرج من الغرفة قررت أن أنظر من النافذة.. وما رأيته جعلني أرتعد في مكاني ذعراً، فقد كان جارنا يمسك بمنشار كهربائي ويقطع لحماً به ويضعه في أكياس سوداء!! كان يبدو منهمكاً جداً ويتوقف بين الحين والآخر ليلتقط أنفاسه ويمسح العرق عن جبينه، وفجأة وبينما هو يفتح الكيس كي يضع قطع اللحم سقطت إحداها خارج الكيس لأكتشف أنها يد بشرية!! نعم يد بشرية! لقد رأيت الأصابع واضحة وطول الذراع.. وبسرعة رأيته يُدخل اليد إلى الكيس مجدداً ويتلفت حوله. وقبل أن يرفع نظره نحو نافذتي ابتعدتُ عنها بسرعة وقلبي يخفق بشدة!!

ـ ما الذي تفعلينه قرب النافذة؟

قفزت من مكاني فزعاً بعد أن سمعت صوت أختي مها التي دخلت فجأة، مما جعلني أصرخ فأخذت تنظر إليّ بدهشة.

ـ ما بكِ؟! لماذا أنتِ ترتعدين هكذا؟

ابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أجيبها:

ـ لا شيء، فقط أزعجني صوت المنشار وظننتُ أن أبي يقوم بإصلاح شيء ما.

ـ كلا إنّه جارنا وقد استأذنَ من أبي لأنّه مضطر لاستخدام المنشار

في هذا الصباح الباكر

ـ إذن جاءَ جارنا إلى المنزل؟

ـ نعم قبل قليل، واعتذر عن الإزعاج، يبدو أنه شخص مهذب جداً.

اقتربتُ من النافذة قليلاً بعد أن توقف صوت المنشار، وعندما نظرت من خلالها لم أجد الجار ولا الأكياس، فقالت أختي محذرة:

ـ إن علم أبي أنكِ تختلسين النظر من النافذة سيغضب.

التفتُّ إليها وقلت كي أبرر تصرفي:

ـ لم أكن أنوي فعل ذلك، ولكن صوت المنشار هو السبب.. حسناً لا داعي لتضخيم الأمور فهذا مجرد فناء خلفي.

في المساء جاءت جمانة إلى منزلي، وعندما جلسنا في غرفتي أخبرتها بما رأيتُ فشهقت بقوة وقالت:

ـ إذن كما اعتقدت، جاركم مجرم وربما منزله مليء بالجثث أيضاً.

ـ ماذا أفعل يا جمانة؟ أخاف أن أصمت أكثر ويتسبب بأذية لنا، وأخاف أن أخبر أبي ولا يصدقني! بل إنه قد يغضب مني لاختلاس النظر.

ـ يجب أن يكون لديك دليل قوي حتى تستطيعي إثبات ما تقولينه، لأنه حتى الشرطة لن تقبل بمجرد كلام بدون أية أدلة واضحة.

ـ الأمر صعب جداً؛ كيف نثبت ذلك؟

ابتسمت جمانة بدهاء وقالت:

ـ نقوم بتصويره وهو يقطع الجثث في فنائه الخلفي

ـ ماذا لو اكتشفَ ذلك؟ فلربما انعكاس وميض الكاميرا يجعله يلاحظ.

ـ يوجد كاميرات مراقبة صغيرة جداً.. سنقوم بتثبيتها في أصيص زراعي بشكل غير ملحوظ ونضعها في نافذتك، ونسجل ونراقب في أي وقت حتى من دون الحاجة إلى النظر من النافذة! وعندما نجد الدليل المناسب تخبرين أباكِ.

ـ ومن أين أشتريها؟

ـ لا تقلقي أنا سأشتريها لكِ، إنّ ثمنها بخس جداً وتباع في الكثير من المواقع.

بعد عدة أيام قمنا بتثبيت كاميرات التجسس الصغيرة على أصيص زهور، وكان برنامجها متصلاً بهاتفي والأخرى بهاتف جمانة، والتصوير متجه نحو الحديقة الخلفية لمنزل الجار. وأصبحت أستطيع مراقبة الفناء بسهولة من دون الخوف من أن يكتشف الجار ذلك. سألتني جمانة وهي تتأكد من وضوح الرؤية:

ـ هل ترين كل شيء بوضوح من هاتفك؟

ـ أجل كل شيء واضح.

فابتسمت بمكر وهي تقوم بتشغيل الجهاز وتجلس على السرير قربي.

ـ والآن تستطيعين أن تراقبي جارك من دون الحاجة إلى فتح

النافذة وتسجيل كل شيء.

وفجأة خرجَ الجار إلى فنائه الخلفي وأخذ يجري بعض التمارين الرياضية، فجلسنا نراقبه عبر هواتفنا فقالت جمانة:

ـ يبدو أن جارك يتجهز للقيام بجريمة جديدة، انظري إلى عضلاته وجسده الرياضي!!

دققت النظر في وجهه، ولاحظت أنه ما يزال شاباً وخمّنت أنه في نهاية العشرين أو منتصف الثلاثين فقط، قاطعني صوت جمانة التي قالت:

ـ معظم المجرمين يبدون بمظهر حسن وملفتين للنظر، هل سمعتِ بالقاتل راميرز، لقد كان لديه معجبات كثر رغم معرفتهن أنه قاتل، وتسبب بمقتل ثلاثة عشر شخصاً!!

أجبتها وأنا ما أزال أنظر إلى الكاميرا وأراقب الجار:

ـ أجل سمعت به، وكان يلقب بالمتعقّب الليلي. أنا لا أصدق كيف لفتاة أن تعجب برجل تعرف أنه قام بقتل شخص بدم بارد!!

ـ قد يكون جاركم مثله تماماً فيبدو أنه وسيم ولديه قوام رياضي، وهذا ما يجذب الضحية إليه ويجعلها تعتقد أنه (جنتل مان)، وعندما تقع في شباكه يتخلص منها.

عاودتُ النظر إلى كاميرا المراقبة وأخذت أفكر ما الذي يفعله بتلك الجثث بعد تقطيعها يا ترى؟ هل يتخلص منها أو يحتفظ بها؟

في المساء وبعد أن نام الجميع صعدت إلى غرفتي وفتحت هاتفي

لأراقب جارنا مجدداً قبل أن أنام. وظللت أنتظر طوال الليل خروجه إلى الفناء لكنه لم يفعل، فشعرت بالنعاس ونمت في مكاني من دون أن أنتبه أن الكاميرا ما تزال تعمل..

فجأة فتحت عيني لأجده يقف بالقرب من سريري وهو يحمل سكيناً تقطر بالدم وينظر إليّ بغضب، حاولت أن أنهض كي أهرب لكنني اكتشفت أنه قام بتقييد يدي وقدمي وكمّم فمي أيضاً فأخذت ألهث وأبكي وقلبي يكاد يخرج من صدري من شدة الهلع. اقتربَ مني وهو يبتسم بمكر ووضع يده حول عنقي كي يخنقني، وعندما أصبح وجهه أمام وجهي مباشرة قال لي بصوت عالٍ:

ـ استفيقي أيتها المجنونة، لماذا تصرخين!

فتحت عيني وأنا أرتعد وأخذتُ أتلفت حولي وألهث لأجد أختي هدى تنظر إليّ بدهشة:

ـ ما بكِ؟ لماذا كنت تصرخين؟

اكتشفتُ حينها أنني كنت أحلم فاعتدلتُ في جلستي وأنا ما أزال أرتعد وأتصبب عرقاً، وقلت لهدى:

ـ إنه مجرد كابوس مرعب.

حدّقت إلى هاتفي الذي كان تحت ذراعي على السرير وهي تبتسم بسخرية فقالت:

ـ هل كنت تشاهدين فيلم رعب؟

وبسرعة أمسكت بالهاتف، وتأكدت أن الكاميرا مغلقة وأنا في حالة

ارتباك قد لاحظته أختي، وقلت لها:

ـ نعم، كنت أشاهد فيلم رعب عن قاتل متسلسل، اتركيني الآن وسأنزل بعد برهة.

خرجت أختي من الغرفة فوضعتُ يدي على قلبي وأنا أتذكر الكابوس، ثم التفت إلى النافذة وإلى هاتفي وقررت أن أفتح الكاميرا مجدداً. وعندما فتحتها وجدت الجار يفتح صندوقاً كبيراً في الفناء الخلفي ويُخرج قطعة لحم كبيرة، ثم وبعدة ضربات أخذ يقطعها إلى قطع أصغر ويضعها في أكياس صغيرة!! شعرت حينها بالحيرة، فلماذا يفعل ذلك؟ هل سيقوم بتوزيعها على الجيران مثلاً أو ربما ليسهل عليه إخفاء الجريمة!؟ طرقت أمي باب الغرفة فأغلقت الكاميرا بسرعة قبل أن تدخل وتقول:

ـ ألن تذهبي إلى العمل اليوم أيضاً؟

قلت وأنا أنهض من مكاني وأستعد:

ـ كلا سأخرج الآن، ها أنا أجهز نفسي للذهاب.

حدقت إليّ أمي لبضع ثوان، ثم نزلت إلى الأسفل فتبعتها بعد برهة وأنا أحمل حقيبتي استعداداً للخروج، لكن أمي استوقفتني وقالت:

ـ تعالي اجلسي معنا لتتناولي الطعام أولاً قبل الخروج.

ـ لا أريد يا أمي، سأتناول الطعام مع باقي المعلمات.

لكن أمي أصرت على بقائي وتناول الإفطار معهم. لاحظت أنّ أبي لم يكن موجوداً معنا على المائدة فسألتها عنه فأجابتني قائلة:

ـ إنه في الخارج يتحدث مع أحد الجيران.

فتحت عيني بذعر وسألتها أي جار تقصد، فقالت:

ـ جارنا الذي منزله يقع خلف منزلنا، أعتقد أنّ اسمه مازن، لقد جاء قبل قليل ولا أعرف ماذا يريد من والدك.

تركت ما في يدي وودعت أمي، ثم أسرعت إلى الخارج وأنا أحمل حقيبتي، وعندها رأيت أبي يضحك مع جارنا الذي أخذ يحدق إليّ مبتسماً فقال له أبي:

ـ هذه ابنتي الكبرى مريم.

وضعت ابتسامة باهتة على شفتي وأنا أحدق في وجهه بذعر، حتى إنه لاحظ ذلك وقال:

ـ ولماذا تبدين متوترة يا آنسة مريم؟ هل هو كيس اللحم الذي أحمله جعلكِ تخافين؟

ضحك أبي وقال:

ـ إنه لحم غزال قام جارنا مازن باصطياده، وقرر أن يهدينا بعضاً منه كي نجربه.

حدقت إلى الأكياس وقد بدأ جسدي يرتعد، واكتشفت أنها نفس الأكياس التي كانت معه قبل قليل في الفناء الخلفي، فقلت ببلاهة لأبي:

ـ أنتَ لا تأكل لحم الغزلان يا أبي، فلماذا تأخذه؟

رفع أبي حاجبيه وقد بانَ الإحراج على وجهه بسبب قولي، لكنه رد

بسرعة:

ـ متى ذقتَ لحم الغزال يا مريم؟

ثم التفتَ إلى مازن الذي كان ما يزال يبتسم وقال:

ـ ابنتي أحياناً تتصرف بطريقة غريبة، لذا لا تأخذ ما تقوله على محمل الجد

ضحك مازن وقال:

ـ هذا طبيعي فهي لا تعرفني.. عموماً تستطيع إعطاء اللحم لمن تحب إن كنت لا تأكله يا سيدي، والآن أنا أستأذن واعذرني على كثرة إزعاجي لكم.

أخذ أبي الأكياس وشكره قائلاً:

ـ لكل شيء أول مرة، ولذا سنقوم بتجربة اللحم ونخبرك برأينا أيضاً، أما مسألة الإزعاج فلا تقلق فالجميع مشغولون صباحاً ما عداي.

التفتَ مازن إلي وقال وهو يبتسم بلطف:

ـ تشرفتُ بمعرفتك يا آنسة مريم، وأتمنى أن يكون لنا لقاء آخر، كما أتمنى أن أسمع رأيكِ بلحم الغزال أيضاً.

ثم تركنا وعاد إلى منزله وأنا أراقبه، قبل أن أحرك سيارتي.

طوال اليوم في الحضانة كنتُ في حالة من التوتر والقلق وأنا أتذكر نظراته إليّ وأفكر في اللحم الذي أعطاه لأبي متمنية أن لا تقوم أمي بطبخه، عندها خطرت في بالي فكرة فخرجت من

الحضانة مسرعة حتى إن المديرة حاولت إيقافي ولكنني قلت لها:

ـ أنا مشغولة، هناك حالة طارئة في المنزل ويجب أن أعود حالاً، أعدك أنني سأعمل غداً لوقت متأخر.

وعندما وصلت إلى المنزل كانت أمي تطبخ طعام الغداء فأسرعت نحوها وقلت:

ـ هل هذا هو اللحم الذي أخذه أبي من الجار؟

نظرت إليّ أمي نظرة غريبة وقالت:

ـ بسم الله متى أتيتِ إلى المنزل؟ ولماذا عدتِ مبكراً؟

ـ هذا ليس مهماً الآن، أخبريني: هل هذا اللحم من جارنا؟

ـ نعم، لقد طلب مني والدكِ أن أقوم بطبخه للغداء لأنه يريد أن يجرّبه.

نظرت إلى الوعاء وأصابني الاشمئزاز وأنا أتخيّل أن هذه القطع تعود إلى ضحية بشرية قام بتقطيعها وتوزيع لحمها على جيرانه، فأمسكت بالقدر وألقيت ما به في القمامة فصرخت أمي:

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟ هل أنتِ مجنونة!؟

ـ سأكون مجنونة لو تركتكم تأكلون هذا اللحم.

ـ ما به اللحم؟!

عندها أدركتْ حماقة ما فعلته، لم أستطع أن أجيب أمي وأخبرها إنني رأيت مازناً يقطع جثثاً في فنائه الخلفي، فتلعثمت وقلت معللة:

ـ كيف نأكل طعاماً من شخص لا نعرف عنه أي شيء؟

ـ إنه مجرد لحم!! لو علم والدك أنكِ ألقيت به في القمامة سيغضب كثيراً.

خفق قلبي بشدة، ولكن أمي قالت:

ـ بصراحة أنا أيضاً لم أشعر بالراحة من تناول طعام من شخص لا نعرفه، ولكن والدك طلب ذلك ولم أشأ أن أرفض طلبه.

عندها تنفست بارتياح، وقلت لأمي:

ـ سأذهب لشراء لحم غزال من السوق واطبخيه، ولا تخبري أبي بما حدث حتى لا يغضب أو يشعر بالإحراج من الجار.

عندما خرجت من المنزل نحو سوق اللحوم كان مازن يقف بالقرب من منزله، ويقوم بغسل سيارته ذات الدفع الرباعي وينظفها، فلما رآني قال:

ـ صباح الخير آنسة مريم، هل تحتاجين إلى مساعدة؟

لم أجبه ولم ألتفت إليه حتى، بل تجاهلته وأكملت طريقي نحو سوق اللحوم.

طلبت من الجزار قطعة لحم غزال طرية ووقفت أنتظره كي يقطع اللحم لي، وبينما أنا أنتظر رأيت مازناً يدخل إلى السوق فأشحت بوجهي كي لا يراني. وعندما التفتُ مجدداً أخذت أبحث عنه لكنه كان قد ابتعد فتنفست الصعداء وقلت للبائع:

ـ هيا أسرع لو سمحت.

ـ حسناً يا آنسة هذا هو طلبك.

وقبل أن آخذ قطعة اللحم من يده قال البائع لشخص ما كان يقف خلفي:

ـ أهلاً سيد مازن، كيف حالك اليوم؟

ابتلعت ريقي بتوتر وأمسكت كيس اللحم من يد البائع الممدودة واستدرت كي أبتعد لأرتطم بمازن الذي كان يقف خلفي مباشرة، وقال لي وهو يبتسم:

ـ يبدو أن لحم الغزلان راقَ لك جداً يا آنسة مريم، لا داعي لشرائه من السوق مرة أخرى، كل ما عليك هو أن تخبريني وسأصطاد لكِ أجمل غزال

نظرت إلى وجهه وإلى ابتسامته الساخرة ثم ابتعدتُ عن طريقه، وأنا أعتذر وأهرول في مشيي وسمعته يضحك مع البائع أثناء خروجي!!

سار الأمر كما خططنا له أنا وأمي، وتناولَ أبي لحم الغزال الذي قمت بشرائه من السوق وعلّق قائلاً:

ـ بصراحة طعمه لذيذ ويشبه طعم لحم العجل كثيراً إلا أنه أكثر طراوة، سلمت يداكِ يا أم ماجد.

نظرت إليّ أمي وابتسمت بسرعة، ثم قالت لأبي:

ـ نعم إنه جيد إلى حد ما، ولكن يجب أن لا تكثر من أكل اللحوم يا أبا ماجد حتى لا يرتفع الكولسترول لديك.

وافقها أبي وأضاف:

ـ لم أشأ أن أردّ الجار وأخبره أنني لا آكل اللحوم كثيراً، ولكن ابنتك بلسانها الطويل قد فعلت ذلك.

شعرتُ بالإحراج وقلت مدافعة عن نفسي:

ـ أنا أخاف على صحتك يا أبي وكل ما فعلته أنني قلت للجار إننا لا نأكل لحم الغزال ولم أتوقع أنك ستأخذه منه.

ـ ولماذا لا أفعل؟ إنه جار محترم ولا يضايق أحداً.

حينها سألته أمي:

ـ هل عرفتَ عنه أي شيء؟ لماذا يعيش وحده؟ وأين عائلته؟ هل هو متزوج أم لا...؟

ـ بصراحة لم أسأله، فهذا يعدُّ تدخلاً في الخصوصيات، ولكن ما فهمته أنه غير متزوج ومن المرجح أنه أرمل، لأنه قال لي بأن الله لم يرزقه بأولاد وأخبرني أنه يعيش وحيداً في المنزل... أوه لقد تذكرت.. لقد أخبرني أيضاً أن أخته الكبرى هي من تساعده في المنزل أحياناً، لكنني لم أشأ أن أتعمّق أكثر.

ـ إذن لديه أخت تعيش معه؟

ـ لا أعلم إن كانت تعيش هنا معه أو تأتي لزيارته بين الحين والآخر، عموماً هذا غير مهم وما دام هو شخص محترم وملتزم بحدود الجيرة، فأنا لا يحق لي التعليق على طريقة عيشه وحياته الخاصة.

في المساء تحدثت إلى جمانة عبر الهاتف، وأخبرتها بموضوع اللحم وبالمعلومات التي قالها أبي وما حدث لي في السوق، فأضافت معلقة:

ـ ربما والدتكِ تشك به أيضاً، لهذا لم تعارضك ولم تخبر أباك بما فعلتِ باللحم.

ـ لا أعلم، ولكني شعرت بالراحة عندما تخلصت منه.

وفجأة وعبر كاميرا المراقبة رأيت مازناً يخرج من منزله إلى الفناء الخلفي، ثم يعود بسرعة إلى الداخل ويغلق الباب. وبعد ثوان فقط سمعتُ صراخاً قوياً، تركت الهاتف من يدي ورحت أنظر من النافذة وأحدق إلى نوافذ منزله الأخرى لأعرف مصدر الصوت، لكنني لم أسمعه مجدداً. فأسرعت نحو الهاتف وأخبرت جمانة قائلة:

ـ لقد سمعتُ صوت صراخ قوياً يأتي من منزله!

ـ هل كان صراخ امرأة؟

ـ لا أعلم ولكن يبدو كذلك، أنا خائفة يا جمانة، هل أخبر أبي بما سمعته؟

ـ ربما لن يصدقك، خصوصاً أنك لم تسمعيه مطولاً، ولكن إن حدث ذلك مرة أخرى أخبريه.

ثم رأيتُ مازناً يخرج إلى الفناء ويحمل بيده سكينة وأكياساً سوداء ويتلفت حوله حتى إنه رفع رأسه وأخذ ينظر إلى نافذتي مطولاً، فاقشعرّ بدني وأنا أراقبه عبر الكاميرا وقلت لجمانة:

ـ إنه ينظر إلى نافذتي، يا ترى هل اكتشفَ أمر الكاميرا؟

ـ وكيف سيكتشفها أيتها الغبية؟ لقد ثبتناها بشكل غير ملحوظ، لن يستطيع رؤيتها أبداً.

عاد مازن إلى المنزل وأنا استمريث في مراقبته بينما أتحدث إلى جمانة حتى وقت متأخر ثم غفوت.

استيقظت مبكراً جداً إثر سماعي لصوت غريب يأتي من خارج نافذتي، وعندما اقتربت منها وجدت غراباً غبياً يحاول اقتلاع شيء ما من إصيص الزهور، فتذكرت الكاميرا وفتحت النافذة بسرعة ليطير الغراب مبتعداً. ولكن خرج مازن فجأة إلى الفناء فأغلقت النافذة وأنا أرتعد متمنية أنه لم يرني. وبسرعة فتحت الكاميرا في هاتفي لأكتشف أن الغراب الغبي قد أتلفها ولم أعد أرى سوى شاشة سوداء مخرمشة. تنهدت بضيق ولكنني اقتربت من النافذة بحذر وأخذت أختلس النظر فوجدث مازناً يحمل صندوقاً ويحاول جرّه بكل قوته ليخرجه من الفناء. عندها خطرت لي فكرة أن أقوم باللحاق به لأعرف إلى أين سيأخذ الصندوق. ارتديت ملابسي بسرعة وأخذت مفتاح سيارتي وخرجت من المنزل وكان الوقت ما يزال مبكراً جداً والشوارع خالية، فركبت سيارتي وجلست فيها منتظرة خروج مازن من منزله. وبعد عدة دقائق رأيته يُخرج الصندوق ويضعه في سيارته ثم يصعد إليها ويقود السيارة مبتعداً، فقمت بملاحقته بحذر متمنية أن لا يكتشف أمري. ولكن المسافة التي قطعها كانت بعيدة جداً عن المنزل فشعرت بالقلق وخفت أن يلاحظني ويعرف أنني ألاحقه، لكنني لم أستطع العودة إلى المنزل

وتركه وشأنه قبل أن أعرف ما يفعله بجثث ضحاياه، وأين يدفنها أو يلقي بها. فجأة خرجت سيارة من إحدى الطرق المقابلة لتصطدم بسيارتي بقوة، ورغم محاولاتي لتفادي الحادث إلا أنني لم أستطع ولا أعرف ما الذي حدث لي بعدها لأنني فقدت الوعي إثر ارتطام رأسي بمقود السيارة بقوة.

كنت أسمع أصوات الناس من حولي يقولون:

ـ لقد قطعت الطريق أمامي.... آنسة مريم هل أنت بخير.. استفيقي، هل أطلب الإسعاف؟ يا إلهي... مريم افتحي عينيك.

عندما فتحت عيني قليلاً كان وجه مازن أول شيء رأيته، مما جعلني أفزع وأصرخ بقوة فأمسكَ بي محاولاً تهدئتي وقال:

ـ توقفي يا مريم، هذا أنا جاركم مازن، يجب أن لا تتحركي كثيراً، أنت مصابة بنزيف.

توقفتُ عن الحركة رغماً عني لأنني أصبتُ بحالة تشنج وفقدت الوعي مجدداً.

عندما استفقتُ مجدداً، وجدت نفسي في المستشفى على سرير الطوارئ وأمي تجلس بقربي وهي تمسك بيدي ثم سمعتها تقول بسعادة:

ـ لقد استفاقت مريم أخيراً، كيف حالكِ يا حبيبتي؟

أخذت أتلفّت حولي وأنا ما زلتُ أشعر بدوار وصداع قوي، وقلت بصوت لا يكاد يسمع:

ـ أمي، هل أنا بخير؟

ضحكت أمي بسعادة وهي تقبّل يدي.

ـ نعم يا عزيزتي أنتِ بخير، لقد أصبتِ بضربة قوية في رأسك وكُسرث قدمكِ كسراً بسيطاً، ولكن كل شيء بخير كما أخبرنا الطبيب.

ثم اقتربَ أبي مني واحتضنني وهو يمسح دموعه التي حاول أن يخفيها:

ـ حمداً لله على سلامتكِ يا حبيبتي.

ابتسمتُ مشفقة على حاله، فلأول مرة أراه باكي العين وحزيناً هكذا

ـ أنا بخير يا أبي لا تقلق، لكن ما الذي حدث لي؟ ومن أتى بي إلى المستشفى؟

ـ الحمد لله أنّ جارنا مازناً كان موجوداً في مكان الحادثة، وقام بالاتصال بنا مباشرة وأخذكِ بنفسه إلى المستشفى.

عندها شعرت بالذعر وقلت:

ـ هل هو من أحضرني إلى هنا؟ كيف ولماذا سمحتما له أن يفعل ذلك؟

أجابت أمي وقد بدت مندهشة من ردة فعلي الغاضبة:

ـ إنه ممرض سابق ويعرف إجراءات الإسعافات الأولية، وعندما تأكّد أن النزف خارجي وليس في أحد الأعضاء المهمة حملكِ

وأحضرك إلى هنا بسيارته، لأن سيارة الإسعاف تأخرت كثيراً بسبب الزحام ووقوع حادث آخر في طريقها.

صحت بغضب:

ـ حملني؟!! يا إلهي كيف يسمح لنفسه أن يلمسني؟ يجب أن أشتكيه إلى الشرطة.

كان أبي ينظر إليّ بدهشة وقال:

ـ ما بكِ يا مريم؟ هل كنت تريدين أن يتركك في الشارع وأنت تنزفين؟!

فأخذت أبكي وأقول:

ـ ليته فعل ذلك، فأنا لا أسمح لرجل مثله أن يحملني ويلمس جسدي.

أخذا ينظران إلى بعضهما بحيرة بينما أنا غاضبة فقالت أمي:

ـ ربما ما زلتِ تعانين من أثر الصدمة، فلنتركك لترتاحي قليلاً، وسأذهب كي أطمئن على إخوتك وأخبرهم بوضعك.

خرج والداي من الغرفة فأرخيت رأسي على السرير وأنا أفكر بما حدث، وتخيلت ذلك الحقير وهو يحملني أمام الناس وربما...!! تصاعدَ الدم الى رأسي بسبب الأفكار المخيفة التي خطرت في بالي، فماذا لو استغلّ وضعي وأخذ ينظر إلى جسدي ويتفحصه كما يفعل المجرمون؟ أخذت أبكي بقهر ولكن دخول الممرضة وهي تبتسم جعلني أتوقف عن البكاء، فسألتني:

ـ هل تشعرين بأي ألم؟

أجبتها وأنا أمسح دموعي:

ـ نعم صداع قوي في رأسي، وشدّ في قدمي.

اقتربت مني وأخذت تفحص نبضي وتقيس حرارتي ثم قالت:

ـ إنها أعراض طبيعية، ولكن سأطلب من الطبيب أن يفحصك.

ـ ومتى سأخرج من هنا؟

ـ ربما غداً مساء، تستطيعين أن تسألي الطبيب عندما يأتي لرؤيتك بعد قليل.

خرجت الممرضة فتنهدت بضيق وأنا أشعر بالملل، فقمت بالاتصال بصديقتي التي كانت قلقة بسبب ما حدث لي وأخبرتها بكل التفاصيل فقالت:

ـ يا إلهي! هل هو من أخذكِ إلى المستشفى؟ وهل استطاع أن يكتشف أنك كنت تراقبينه؟!

ـ لا أعلم يا جمانة، وأنا أشعر بالقلق بسبب هذا الأمر.

ـ ماذا ستفعلين إذن؟

ـ ربما أتوقف عن مراقبته، فأنا لا أريد أن أتسبب بالمشاكل لأبي وأمي.

ثم تذكرت أنها تملك كاميرا مراقبة أيضاً لفناء منزل مازن فسألتها:

ـ هل ما زلتِ تراقبينه؟

ـ نعم لقد رأيته يبحث عن شيء ما في الفناء الخلفي، ولكن لا أعلم ما هو.

ـ شيء مثل ماذا؟

ـ لا أعرف ولكن يبدو أنّ شيئاً ما قد سقط منه في الفناء وأخذ يبحث عنه بين العشب.

ـ متى رأيتهِ يفعل ذلك؟

ـ اليوم قبل قليل، كان يجلس في فناء منزله وفجأة نهض من مكانه وأخذ يبحث بين العشب، ولكن لا أعرف ما الذي يبحث عنه، فقد كان شيئاً صغيراً جداً.

ـ ربما متعلقات لإحدى الضحايا.

ـ حسناً، متى ستخرجين من المستشفى؟

ـ لا أعلم ولكن ربما غداً.. أنا أشعر بالملل هنا.

ـ إذن سأترككِ الآن كي ترتاحي، فيبدو أنكِ ما زلت متعبة.

ـ بل أنا أشعر بالقرف كلما تذكرت أن ذلك الحقير المجرم هو من حملني إلى المستشفى.

ضحكت جمانة مما زاد غضبي، فقلت لها:

ـ هل تضحكين من معاناتي؟ يا لك من صديقة!!

ـ بصراحة أعتقد أننا يجب أن ننسى أمر مازن ونركز على حياتنا، ربما نحن أسأنا الفهم وأنّ الرجل ليس بقاتل كما نعتقد.

شعرتُ بالدهشة لتبدُّل رأيها بهذه السرعة، لكنني قلت:

ـ وماذا عن صناديق اللحم واليد التي رأيناها؟

ـ إنه يقوم بصيد الغزلان كما أخبر والدك، وربما اليد التي رأيناها لم تكن يداً بشرية، عموماً لو كان قاتلاً فكل ما عليكِ فعله هو أن تكوني حذرة فقط، ولكن لننسَ أمر مراقبته والتفكير فيه، والآن إلى اللقاء أراكِ غداً.

لم أفهم سبب ردة فعل جمانة وتبدل رأيها المفاجئ إلا بعد عدة أسابيع، عندما لاحظت أنها تكثر من زيارتي وتتحين الفرص لنجلس خارج المنزل، وفي إحدى المرات بعد خروجها من منزلي رأيتها تقف مع مازن أمام منزله وتتحدث إليه بود وهي تبتسم، عندها أدركت أنها معجبة به!! وعندما واجهتها بالأمر قالت بارتباك:

ـ ما الذي تريدين أن أفعله!؟ لقد جعلتني أراقبهُ ليلاً ونهاراً حتى أعجبت به ووقعت في غرامه.

رفعتُ حاجبي بدهشة وأنا أنظر إليها

ـ وهل صارحتهِ بذلك أيتها الغبية؟

ـ كلا ولكنه قال لي إنني لطيفة، وطلب مني أن أتعرّف على أخته عندما تأتي لزيارته

ـ إذن هل عرفتِ بعض المعلومات عنه؟

أجابتني وهي تكاد تطير من السعادة:

ـ نعم إنه أرمل، فقد توفيت زوجته قبل ثلاث سنوات في حادث

مؤسف، وأخته مطلقة ولكنها لا تعيش معه بل تأتي أحياناً لزيارته وتتفقد منزله.

ـ وماذا بعد؟ أكملي.

أخذت تضحك بسخرية وقالت:

ـ يبدو أنكِ معجبة به أيضاً، ومتلهفة لمعرفة أسراره.

ـ أيتها الغبية أنا أريد أن أعرف كي أطمئن أكثر على نفسي وعلى عائلتي، لأنني متأكدة أن هذا الشخص يخفي سراً ما.

ـ نعم إنه يخفي سراً ولكن ليس كما نتصور، لأنه أخبرني أن أخته تعاني من مرض نفسي يجعلها تصرخ وتتصرف كالمجنونة أحياناً، ألم تخبريني في إحدى المرات أنكِ سمعت صراخاً يأتي من منزله؟ لقد كانت أخته.

ـ وما سبب إصابتها بالمرض النفسي؟ أراهن أنها عرفت حقيقة أخيها وأصيبت بصدمة جعلتها تمرض.

سحبت جمانة نفساً عميقاً وهي تنظر عبر نافذتي وقالت:

ـ بصراحة لم أدخل معه في جميع التفاصيل، ولكن أعتقد أن مقتل زوجته له علاقة بالأمر هذا كل ما أعرفه فقط.

لم أستطع تصديق أن ذلك الرجل بريء، وأن كل ما فكرت به كان مجرد وهم، ولكنني قلت لجمانة:

ـ كوني حذرة أرجوكِ، لا أريدك أن تتعرضي إلى سوء.

ـ ما بكِ يا مريم؟ أنا لست طفلة، ثم إنّ مازناً رجل محترم

صدقيني، ألم يخبرك والدك إنه كان يعمل كمسعف في أحد المستشفيات؟

ـ وماذا يعمل الآن؟ هل أخبرك؟

ـ لا أعرف، ولكن يبدو أنه يدير عملاً حراً، كما أخبرني أنه ماهر في إعداد الطعام خصوصاً اللحوم.

ـ إذن هل أخبركِ عن نوع اللحوم التي يستخدمها؟ أم أنه يأكل من لحم البشر أيضاً؟

ضحكت جمانة بسخرية وقالت:

ـ أنتِ تبالغين يا صديقتي، عموماً انسي أمره وفكّري بما يشغلك.

مرت عدة أيام توقفت خلالها عن مراقبة مازن وانشغلت بعملي في الحضانة، خصوصاً مع قرب انتهاء الفصل الدراسي وزيادة أعباء الإدارة والفصول لإقامة حفل التخرج، لذا كنت منشغلة وأعود في وقت متأخر قليلاً ثم أنشغل بالجلوس مع إخوتي أو بمشاهدة الأفلام في أيام الإجازة الأسبوعية. وفي إحدى الليالي قرر إخوتي أن يذهبوا إلى السينما لمشاهدة أحد أفلام الرعب الجديدة ولتناول العشاء خارج المنزل، ولكنني كنت متعبة جداً بسبب قدمي التي ما تزال تؤلمني بين الحين والآخر بسبب الحادث، فأخبرتهم إنني أفضل البقاء في المنزل ولكن أمي قالت:

ـ أنا أيضاً مدعوة لحضور حفل زواج إحدى قريباتي، فكيف سأتركك وحدك؟

ـ لا تقلقي يا أمي أنا لست طفلة، ثم إن أبي موجود.

سحبت أمي نفساً عميقاً وهي تنظر إلى أبي المشغول بالهاتف ولا يعلم ما يدور حوله وقالت:

ـ والدكِ عندما يضع رأسه على الفراش لا توقظهُ حتى قنبلة ذرية.

ضحكت بشدة خصوصاً أن أبي لم ينتبه لما قالته أمي عنه، وأخذت تضحك هي الأخرى ثم قالت:

ـ هل أنت متأكدة أنك تستطيعين البقاء وحدك؟

ـ أجل يا أمي وربما أخلد إلى النوم بعد قليل، فأنا متعبة أيضاً وقدمي تؤلمني.

قبل أن آوي إلى فراشي كنت أمسك بالهاتف وأتصفح مواقع التواصل الاجتماعي وأنا أشعر بالملل فوقعت عيناي على برنامج الكاميرا وقررت أن أفتحه. وعندما فعلت ذلك في البداية لم أفهم المكان الذي أراه أمامي فقد كان مظلماً ولا يكاد يرى باستثناء بعض الظلال غير الواضحة. ولكن بعد أن دققت النظر عرفت أنني أنظر إلى غرفة نوم وأنّ هناك رجلاً يستلقي على السرير نصف عارٍ. ولما دققت النظر أكثر عرفت من هو... إنه مازن!! عندها شهقت بقوة وأغلقت الكاميرا وأزلت التطبيق وقلبي يكاد يخرج من ضلوعي من شدة الهلع، فلقد اكتشفَ أمر الكاميرا وربما يعلم أنني كنت أراقبه!! ابتلعت ريقي بصعوبة وأخذ جسدي يتصبب عرقاً فأنا خائفة من أن يعلم أنني صاحبة الكاميرا ويخبر أبي بالأمر... أزعجني التفكير بذلك كثيراً ولكن أخذت أفكر كيف أتصرف وأستعيد الكاميرا منه قبل أن يفضح أمري!؟.

فضولي الغبي جعلني أفتح الكاميرا مجدداً وأراقبه ولكنني لم أره في الغرفة حينها، وقبل أن أغلقها رأيته يدخل مجدداً ويحمل بيده سكينة كبيرة، ثم رأيت فتاة تبكي وتضرب وجهها وهو يبدو غاصباً. ثم أمسك بيد الفتاة وكأنه يعنّفها! ولم أستطع أن أرى ما يحدث بشكل واضح لكنني لاحظت أنه رفع السكين إلى الأعلى مرتين على الأقل وفجأة سمعت صراخاً قوياً جعلني أنتفض في مكاني وأنا أتلفّت حولي. حدقت إلى الكاميرا مجدداً ووجدته يجلس على حافة السرير وهو يضع رأسه بين يديه وجسده يعلو ويهبط، فأدركت أنه يبكي أو يلهث بصعوبة. وسمعت الصراخ مرة أخرى فرأيته ينهض مجدداً ويخرج من غرفته مسرعاً!! عندها تأكدت أن هذا الرجل مجرم ويجب أن أجد طريقة لتنبيه جمانة فقمت بالاتصال بها مباشرة وقلت:

ـ هل ترين ما يحدث في منزل مازن؟ افتحي الكاميرا بسرعة!

ـ لقد أزلت البرنامج منذ مدة يا مريم، لماذا تسألين؟ ما الذي يحدث؟

أجبتها وأنا في حالة ذعر:

ـ لقد رأيته يضرب شخصاً ما بسكين!!

ـ ما الذي تقولينه؟ هل أنت مجنونة؟ أخبرتكِ أنّ مازناً رجل محترم، وما يحدث في منزله هو بسبب مرض أخته...

قاطعتها وأنا أصرخ بغضب:

ـ بل أنتِ هيَ المجنونة البلهاء، مازن مجرم ولقد سمعتُ صراخ فتاة

قبل قليل في منزله، ورأيته عبر الكاميرا يرفع السكينة.

صرخت جمانة بغضب أيضاً وقالت:

ـ لقد أصبحتِ مهووسة به، أخبرتك من قبل أنّ أخته مريضة وتعاني من مرض نفسي يجعلها تتصرف بطريقة هستيرية.

ـ إنه كاذب، لقد رأيته..

وفجأة وبينما أنا أراقب الكاميرا وأتحدّث إلى جمانة أمسكَ مازن بالكاميرا وراح يضحك ويبتسم ويشير نحوها، وقد قرأت ما تقوله شفتاه ثم ابتسم بخبث، ابتلعتُ ريقي وتوقفت عن الحديث مع جمانة فلقد كان يهددني قائلاً: (أعرف من تكونين وسأمسك بك). أجفلني صوت جمانة وهي تقول:

ـ ما بكِ يا مريم؟ أينَ ذهبت؟

أجبتها وأنا أرتجف وقد ازدادت ضربات قلبي:

ـ إنه يعرف من أكون، ويهددني بالإمساك بي!

ـ وكيف يعرف؟ أنت تتوهمين فقط.

فكرت لبرهة وأخذت أتذكر كل شيء، وبعد أن أدركت الحقيقة شحبَ لوني وازداد تعرُّقي وقلت لجمانة:

ـ هل تذكرين الحادث الذي تعرضتُ له؟ أعتقد أنه أخذ هاتفي ليتصل بأبي وانتبهَ إلى برنامج الكاميرا.

ساد الصمت بيننا، حتى قالت جمانة:

ـ حاولي أن تنسي الأمر، وأزيلي البرنامج ولا تفتحيه مرة أخرى.

ـ ماذا عنكِ؟ هل ما تزالين معجبة به وتريدين التقرب منه؟!

ـ لا تقلقي بشأني، والآن تصبحين على خير.

ذهبت إلى الطابق السفلي ولكن المنزل كان هادئاً جداً، فما يزال إخوتي في الخارج وأمي ذهبت إلى الحفل. أما أبي فهو نائم وربما لم ينتبه إلى صوت الصراخ، ولا أعرف لماذا قررت أن أخرج من المنزل في هذا الوقت المتأخر كي أتأكد من الصوت الذي سمعته. وعندما صعدت في سيارتي وجلست بداخلها التفتُّ ناحية منزل مازن وأخذتُ أراقب بصمت، كانت تراودني أفكار كثيرة، فماذا لو عاد إخوتي وقرر أن يمسك بإحدى أخواتي ويقتلها؟ أو ربما يقتل أمي عند عودتها من الحفل؟ وفجأة رأيته يخرج من المنزل ويصعد سيارته ويبتعد فأخفضت رأسي حتى لا يراني. قررت أن أدخل إلى منزله بأية طريقة حتى أستعيد الكاميرا وأتخلص من تهديده لي، لذا وضعت سيارتي أمام باب كراجه وعدتُ إلى منزلي متمنية أن يقوم بالاتصال كي أبعد السيارة عندما يعود، وحدث ما تمنيته فوجدته يتصل بهاتف أبي الذي أسرعت بأخذه قبل أن ينتبه وأجبته على الاتصال:

ـ ألو من معي؟

ـ مساء الخير، هل هذا هاتف السيد أبي ماجد؟

ـ نعم ولكنه نائم، أنا ابنته، من يريده؟

ـ أنا مازن جاركم، هناك سيارة تقف أمام مدخل الكراج وأنا أريد أن

أدخل سيارتي إلى الداخل، فهل هي لكم؟

تصنّعت الدهشة وأنا أقول:

ـ اوه إنها سيارة أختي ربما وضعتها أمام الباب بسبب الازدحام قبل قليل.. عموماً سآتي لإبعادها بعد دقائق لا تقلق.

وضعتُ مصباحاً يدوياً في جيبي وسكينة صغيرة كي أدافع بها عن نفسي لو اضطررت إلى ذلك، ثم خرجت من المنزل ووجدته يقف بالقرب من سيارته وينتظر، فتصنعت الابتسام في وجهه وقلت:

ـ أنا أعتذر نيابة عن أختي، سأبعدها الآن عن طريقك.

صعدتُ إلى السيارة وأبعدتها ثم دخل هو إلى سيارته، وقال قبل أن يدخل إلى كراجه:

ـ شكراً لك يا آنسة، وآسف على الإزعاج في هذا الوقت.

فتحَ الكراج ليدخل وقبل أن يغلقه أسرعتُ خلفه أسير بحذر وأنا أخفض رأسي، ثم دخلت بسرعة ونزلت تحت سيارته من دون أن ينتبه لي، وبعد أن تأكدت بأنه دخل إلى منزله خرجت من تحت السيارة وبدأت أبحث عن مدخل للمنزل، ولكن كانت جميع الأبواب موصدة، تذكرت الفناء الخلفي فأسرعت الخطى نحوه.. وعندما دخلت إليه وجدت في إحدى الزوايا غرفة صغيرة مصفحة ومغلقة بإحكام، فابتلعت ريقي بتوتر وبعد تردد اقتربت منها وحاولت فتحها ومن سوء حظي أنها لم تكن مقفلة واستطعت الدخول إليها. الغرفة كانت صغيرة لا تتجاوز الثلاثة أمتار تقريباً ومظلمة وشديدة البرودة وكأنها ثلاجة، لذا أخرجت المصباح اليدوي من جيبي وأخذت أتلفّت

حولي. وقبل أن أكتشف أنني بداخل ثلاجة فعلاً سمعت صوت الباب يقفل عدة مرات فانزويث في إحدى الزوايا متمنية أن لا يكتشف وجودي. وبعد برهة رفعت رأسي لأصطدم بشيء ما فسلطتُ الضوء نحو ذلك الشيء لأجد جثة معلقة أمامي ومسلوخة بطريقة مخيفة!! كدت أن أصرخ بأعلى صوتي ولكنني وضعت يدي على فمي وقد سقط المصباح على الأرض لأكتشف وجود مجموعة من الجثث المقطعة، والتي لم أستطع أن أستوعب هل هي جثث بشرية أم لحيوانات! ولكنني وجدت مجموعة من الأقدام والأيدي مختلفة الأحجام فأخذت أصرخ ثم أمسكت بالمصباح اليدوي وذهبت نحو الباب وحاولت فتحه إلا أنه كان مقفلاً من الخارج!!

جلست على الأرض وأنا أبكي ويكاد البرد يكسر ضلوعي ويجمّدها، فاعتقدت أن حياتي ستنتهي في هذا المكان ومع هذه الجثث، كنت أنظر حولي بهلع وأتخيل كيف قتلهم وقام بسلخهم.. وتخيّلت أيضاً كيف سيسلخني ويقطّعني عندما يكتشف جثتي المتجمدة. وفجأة سمعت صوتاً وكأنّ أحدهم يحاول فتح القفل فأسرعت واختبأت في إحدى الزوايا وأنا أراقب ما يحدث. دخل مازن وأضاء المكان ثم اقترب من إحدى الجثث المعلقة وحملها على كتفه وكان يبدو غاضباً جداً حيث إنه ضرب إحدى قطع اللحم المعلقة بسخط، ثم خرج من الغرفة من دون أن يقفل الباب فوجدتها فرصة كي أهرب قبل أن يكتشف وجودي. وبسرعة فتحت الباب وخرجت مسرعة نحو منزلنا وأنا ألهث وقلبي يخفق بشدة.

في غرفتي جلست أفكر بكل ما رأيته وأنا منهارة تماماً، فذلك الرجل قاتل ويحتفظ بالجثث داخل منزله بكل وقاحة!! لم أستطع

تحمل الأمر أكثر وقررت الاتصال بالشرطة وتبليغهم بما رأيت وليحدث ما يحدث. فرفعت الهاتف بتردد وضغطت الأزرار حتى تحدّث معي أحد الموظفين في خدمة الطوارئ:

ـ نعم تفضل ما المشكلة؟

بصوت متردد قلت:

ـ أريد أن أبلغ عن مجرم يعيش بالقرب منا.

ـ حسناً ما هو نوع الجريمة؟ وأين الموقع؟

ـ قتل، لقد رأيت جثثاً مقطعة في منزل القاتل.

صمتَ الموظف لبرهة ثم سألني:

ـ وكيف دخلتِ إلى منزله؟ هل أنتِ أحد أقاربه أو معارفه؟

ـ نعم، إنه يسكن بالقرب منا.

ـ حسناً زوّديني بالعنوان وسنحاول معرفة ما حدث ونتأكد منه... ما هو اسمك يا سيدتي؟

أعطيته العنوان واسم مازن ثم أغلقت الهاتف من دون أن أعطيه اسمي، وأسرعت نحو النافذة وأخذت أراقب ما سيحدث..

وبعد عدة دقائق فقط رأيت مازناً يدخل إلى الفناء الخلفي وخلفه رجلان يبدو أنهما ضابطا أمن. ولم أستطع رؤية ما يحدث داخل غرفة الثلاجة. ولكن خرجَ رجلا الشرطة بعد برهة وهما يبتسمان وكذلك مازن وقد صافحاه ثم خرجا من منزله!! عاد مازن إلى الفناء وأنا ما زلت أراقبه وفجأة رأيتهُ يرفع رأسه نحو نافذتي ويبتسم،

ثم يُخرج من جيبه كاميرا المراقبة الصغيرة ويشير بها نحو نافذتي وأنا أختلس النظر بتوتر وخوف. وفجأة طرقَ أحدهم باب غرفتي ودخلت أختي لتقول:

ـ الشرطة تقف أمام منزل جارنا مازن!!

ـ وما دخلي أنا؟

ـ والدي يتحدث إلى الشرطة الآن، ولا أعرف لماذا أو ماذا يريدون منه؟!

ابتلعتُ ريقي بقلق، وعندما نزلت إلى الطابق السفلي كان أبي يتحدث إلى أمي وأخي بغضب وهو يصرخ معتقداً أن أحداً من أسرتنا قد قام بتبليغ الشرطة وإخبارهم عن مازن فقال لأخي:

ـ لماذا فعلتَ ذلك يا ماجد؟ هل تريد أن تتسبب لنا بالمشاكل؟

فرد أخي والدهشة تعلو وجهه:

ـ أقسمُ لك يا أبي إنني لم أفعلها! ثم لماذا أبلغ عن مازن وأنا لا أعرف عنه أي شيء!؟

التفتَ أبي إلينا وقال:

ـ إذن من فعلها منكنّ؟

قالت أختي مها:

ـ ربما يقصدون جاراً آخر، فمن سيقوم بتصوير منزله منا أو مراقبته؟!

فردّ أبي وهو ينظر إلينا واحداً تلو الآخر بشك:

ـ نحن الوحيدون الذين يطل منزلنا على فناء منزل مازن الخلفي.

ثم وكأنّه قد أدرك ما حدث ومن الفاعل، فالتفت إليّ وقال بدهشة وإحباط:

ـ هل أنتِ من فعل ذلك يا مريم؟!!

ابتلعتُ ريقي بصعوبة وقلت وأنا مرتبكة:

ـ ولماذا تتهمني يا أبي؟

ـ لأنّ غرفتك هي الوحيدة التي تطل على الفناء بشكل واضح.

دافعت أمي عني قائلة:

ـ لا أعتقد أنّ ابنتي غبية كي تفعل ذلك!! خصوصاً أنّ مازناً قد ساعدها قبل مدة وأنقذها من الحادث!

لكن ظلّ أبي يحدق إلي بغضب وشك، فلم أستطع أن أكذب عليه أكثر فقلت وأنا أشعر بالخجل والخوف من ردة فعله:

ـ نعم أنا من بلّغت الشرطة.

صرخَ أبي حينها في وجهي، ثم أمسك بمعصمي بقوة وقال:

ـ أيتها المجنونة لماذا فعلتِ ذلك؟ هل تريدين أن تتسببي لي بدخول السجن وتشويه سمعتي بين الجيران؟

ـ أنا لستُ مجنونة يا أبي، ذلك الرجل يخفي سراً في منزله، ويجب أن يُكشف أمره قبل أن يتسبب بكارثة لشخص آخر، لقد رأيت الجثث

معلقة...

قاطعني أبي وقد تحوّل غضبه إلى هياج، حتى إنه كاد أن يضربني لولا تدخل أمي التي وقفت أمامي كي تمنعه وقال:

ـ هل دخلتِ إلى منزله؟ لو علمَ أنك الفاعلة سيبلغ رجال الشرطة ويدخلكِ إلى السجن.

حاولت والدتي تهدئة أبي ومنعه من ضربي، بينما أنا أخذت أبكي وأقول:

ـ فليفعل ما يريد، ولكنني سأفضحه وأكشف حقيقته.

عندها صرخت أمي في وجهي قائلة:

ـ اذهبي إلى غرفتكِ بسرعة، ولا أريد أن أراك حتى تتعقلي.

فذهبت إلى غرفتي وأنا أبكي وألعن مازناً وأشتمه في سري، متمنية أن يفتضح أمره ويعلم الجميع حقيقته.

قام أبي بإغلاق نافذتي بحاجز خشبي، ومنعني من فتح النافذة أو الخروج من المنزل لعدة أيام، فقلت وأنا أبكي:

ـ ماذا عن ذهابي إلى العمل؟

ـ لن تذهبي إلى أي مكان، سأتصرف بنفسي وأبلغهم أنكِ مريضة.

وبالرغم من ذلك لم يمر الأمر بسهولة، فبعد عدة أيام جاء مازن إلى منزلنا وطلبَ الحديث معي ومع أبي.. ورغم رفض أبي لذلك إلا أنّ مازناً أصرّ بشدة. وعندما دخلتُ إلى الصالون حيث كان مازن يجلس مع أبي نظرتُ إليه نظرة احتقار، أما هو فقد ابتسم بلطف مما جعلني

أشعر بالاشمئزاز فقال لي أبي:

ـ اجلسي يا مريم، أريد أن أتحدث إليكِ قليلاً.

جلست وأنا أحاول أن أشيح بنظري عن مازن الذي استأذن قائلاً لأبي:

ـ كل ما أريده منك يا سيدي أن لا تقسو على الآنسة مريم، فلها الحق أن تشك بأمري خصوصاً أنها تراني بشكل يومي وأنا أقوم بتقطيع اللحم، وتسمع صراخاً في منزلي

فردّ أبي بحزم:

ـ يحقُّ لك أن تغضب يا مازن لأنها انتهكت خصوصية منزلك، ويحق لي أن أربّي ابنتي بطريقتي.

ـ أجل أنا لم أشأ أن أتدخل في طريقة تربيتك لابنتك، ولكن الآنسة مريم لم تكن تعرفني حق المعرفة لذا أتيت اليوم لأوضح لكم ولها طبيعة حياتي وعملي حتى لا يشعر أي أحد بالقلق فنحن جيران، وأتمنى أن تكون علاقتنا جيدة.

سحبَ أبي نفساً عميقاً وكاد أن يقاطع مازناً إلا أنه ظل صامتاً، فأكمل مازن قائلاً:

ـ قبل ثلاث سنوات توفيت زوجتي في حادث مأساوي وكانت حاملاً في شهرها الرابع، وحينها كنت أعمل كممرض في أحد المستشفيات في قسم الطوارئ، ولما أدخلت زوجتي إلى القسم أصبت بدهشة لأنني لم أكن أعلم أنها خارج المنزل أصلاً.

قاطعه أبي حينها قائلاً:

ـ لا يحق لنا التدخل في حياتك يا سيد مازن، فقصتك تهمُّك أنت وحدك.

ابتسمَ مازن بلطف وقال:

ـ أعلم ولكن أنا أريد أن أكون واضحاً للجميع خصوصاً جيراني، ولا أريد أن يساء فهمي أو أن يظنوا بي سوءاً.

صمتَ أبي، فأكمل مازن حديثه قائلاً:

ـ بعد وفاة زوجتي اكتشفتُ خيانتها للأسف، ومن كانت السبب في كشف الأمر هي أختي، وبسبب غبائي قسوت عليها معتقداً أنها تكذب وتفتري على زوجتي لأنها كانت تكرهها وبينهما مشاكل شخصية. فقمت بطرد أختي من منزلي وجعلت جميع أفراد عائلتي يكرهونها متهماً إياها بالفتنة، ولكن الحقيقة ظهرت بعد مدة لأكتشف اتصالات مجهولة على هاتف زوجتي المتوفية، وعرفت لاحقاً أن صاحب الرقم هو حبيبها... ولكن للأسف أصيبت أختي بحالة هستيريا بسبب ما حدث ورفض الجميع لها.

لاحظتُ الحزن في وجه مازن، ولكنني لم أستطع أن أشعر بالشفقة عليه فقلت:

ـ نحن لا يهمنا كل هذا، هل تستطيع أن توضح لنا سبب وجود جثث بشرية في ثلاجتك الكبيرة الموجودة في الفناء؟

عندها غضب أبي بشدة وكاد أن يطردني، إلا أنّ مازناً منعه وقال لي:

ـ أستطيع أن آخذكِ إلى المنزل كي تري تلك الجثث إن أحببتِ.

فضحكت بسخرية وقلت:

ـ من المؤكد أنكَ أخفيتها في مكان آخر، لا أظنك غبياً كي تتركها في نفس المكان.

ـ تستطيعين تفتيش منزلي بأكمله إن أردتِ، ولن أعترض.

فقلتُ بغضب:

ـ أنا أعرف أنك تقوم بتقطيعها وبدفنها في منطقة نائية، لقد لحقت بك ذات مرة ورأيت....

توقفتُ عن الكلام بسبب نظرات أبي الغاضبة الذي نهضَ من مكانه وصفعني بقوة على وجهي وقال:

ـ هل قمتِ بملاحقة الرجل أيضاً؟ اخرجي من هنا وعودي إلى غرفتك ولي حديث معك.

حاولَ مازن أن يمنعه من ضربي لكنه لم يستطع، فأسرعت وخرجت من الصالون وعدت إلى غرفتي وأنا أشعر بالصدمة؛ فهذه أول مرة أتلقى صفعة من أبي بهذه الطريقة ومن أجل شخص لا يستحق!

بعد عدة ساعات دخل أبي إلى الغرفة، وكان الغضب بادياً على وجهه ثم قال:

ـ لقد أخبرني بأمر الكاميرا التي كنتِ تراقبينه بها... أنا أشعر بالعار بسببكِ.

حاولت أن أبرّر موقفي، لكنني لم أستطع فأكمل أبي قائلاً:

ـ هل تعرفين أنه سيذهب إلى مركز الشرطة ويبلغ بأمر مراقبتكِ له وانتهاك خصوصيته؟

أخذتُ أبكي مجدداً لكنه أكمل:

ـ لكنّ مازن ساومني بين أمرين، إمّا أنه سيذهب إلى مركز الشرطة للتبليغ عنك وربما تُسجنين ولا أعرف كم ستكون المدة، أو تذهبين معه إلى المأذون وتوافقين على الزواج منه.

فتحتُ عيني بدهشة وقلت لأبي وكأنني لم أسمع ما قاله لي:

ـ لم أفهم ما تقصده؟!!

فسحبَ أبي نفساً عميقاً وهو يحاول أن يتمالك أعصابه وقال:

ـ إنه يريد الزواج منك.

استوعبت أخيراً ما قاله أبي، فأخذت أضحك وكأنني مجنونة وقلت:

ـ إنه مجنون حقاً، هل يعتقد أنني سأوافق عليه؟!

ـ إذن هل تفضلين دخول السجن؟ هل تعرفين عقوبة الدخول عنوة إلى منازل الآخرين والتجسس عليهم بكاميرات المراقبة؟! سيتم سجنك على الأقل لعامين كاملين أو ربما أكثر من ذلك.

صمتُ وأنا في حالة ذهول، لا أعرف هل ما أسمعه مجرد مزاح أم حقيقة؟ فأبي يريد أن يزوجني من شخص أكرهه وأعتقد أنه قاتل!!

حاول أبي أن يقنعني بشتى الطرق، فمرة بالترهيب والتهديد ومرة بالترغيب واللين، حتى إنّ أمي تدخلت وحاولت أن تتحدث إلى مازن كي تثنيه عن قراره إلا أن أبي منعها وقال:

ـ لن أذلّ نفسي لأحد بسبب أفعال ابنتكِ.. فلتتحمل عواقب تصرفاتها.

صرخت وأنا أبكي بغضب:

ـ هل ترميني إلى رجل قاتل؟ ألا تخاف أن يقتلني؟!

ـ أنتِ مجنونة، الرجل يعمل في صيد الغزلان ويبيع لحومها، وما رأيته في فنائه كانت ثلاجة لحفظ اللحوم.

ـ بل رأيت جثثاً بشرية، أنا متأكدة من ذلك.

نفذَ صبر أبي فقال لي:

ـ حسناً، إن كنت لا تريدين الارتباط به فلتذهبي إلى مركز الشرطة وحدك، ولن أعيّن أي محامٍ ليدافع عنك ويخلصك من الورطة التي وضعتِ نفسك فيها.

لم يكن أمامي سوى الخضوع وقبول الارتباط بمازن، فقام أبي بالاتصال به وأخبره بموافقتي، وفي أقل من يومين جاء هو وأخته لخطبتي رسمياً. أخته الوحيدة كانت أكبر منه سناً ولكنها تبدو أنيقة جداً ولطيفة، إلا أنني لاحظت أنها ترتجف أحياناً، وعندما مدّت يدها للسلام لم أبتسم لها بل أخذتُ أتفحصها وأنظر إلى عينيها مباشرة، فلاحظت تغيّر ملامحها إلى الضيق والتوتر.

ـ أهلاً بكِ سيدة ملاك.

قالت أمي ذلك مرحّبة بها، فردت بلطف:

ـ ناديني ملاك وهذا يكفي، فنحن سنصبح أهلاً.

ابتسمت أمي بتصنّع ثم التفتت إليّ كي تتأكد من أنني أتصرف بلطف، لكنني لم أهتم وظللت عابسة الوجه طوال الوقت حتى إنّ ملاك قالت لي وقد بدت حزينة:

ـ أعرف بكل شيء، وصدقيني كل ما تفكرين به خاطئ وليس حقيقياً.

فنظرت إليها من طرف عيني نظرة حقد وقلت:

ـ فليثبت لي عكس ذلك، وعندها ستتغير نظرتي إليه.

ـ وكيف تريدينه أن يثبت لكِ؟! ألا تذكرين أنه وبسببك قد قامت الشرطة بتفتيش المنزل ابتداء بالفناء الخلفي؟ لو كان هناك جثث كما تقولين لكانت الشرطة عرفت بذلك واعتقلته.

ـ ماذا عن الصراخ الذي نسمعهُ بين الحين والآخر؟

أخفضت ملاك رأسها بخجل وازداد ارتجافها، ولكنها قالت:

ـ ألم يخبركم أخي أنّني أعاني من مرض نفسي، وقد ازداد الأمر حدة بعد مقتل زوجته؟

قاطعتني أمي بضيق قائلة:

ـ توقفي يا مريم.

لكنّ ملاك قالت بلطف:

ـ دعيها تقول وتسأل عما تشاء؛ فلها الحق بذلك.

تمت خطبتنا وتحدّد عقد قراننا كما طلب مازن بعد أقل من شهرين لدواعي سفره لرحلة عمل وسيأخذني فيها معه. ورغم أنني عارضتُ القرار إلا أنّ أبي أصرّ على ذلك، وكان كلما جاء لزيارتي أتعلل بالمرض أو بالتعب حتى اضطررت في إحدى المرات أن أجلس معه رغماً عني بأمر من أبي. وعندما خرجت معه في سيارته لأول مرة كنت أرتعد خوفاً وأنا أتلفّت حولي وأحاول أن لا أنظر إلى وجهه فقال لي بسخرية:

ـ هل تريدين أن أفتح مؤخرة السيارة كي تتأكدي من عدم وجود أي جثة؟

لم يكن الأمر مضحكاً فهذا ما كنت أعتقد، ولكنني ظللت صامتة حتى وصلنا إلى أحد المقاهي الراقية وجلسنا سوياً، فسألته مباشرة:

ـ لماذا تريد الزواج مني؟

أخذ ينظر إليّ وعلى شفتيه ابتسامة هادئة ثم قال:

ـ لأنكِ جميلة وغريبة الأطوار وتتصرفين بجنون.

ـ غريبة الأطوار؟! أنتَ تقول ذلك لأنني الشخص الوحيد الذي استطاع اكتشاف حقيقتك، لذا أردت أن تمتلكني وتتحكم بي حتى لا أفضح أمرك أليس كذلك؟

ازدادت ابتسامته اتساعاً حتى ظننت أنه وسيم جداً وقال:

ـ خيالكِ واسع، لماذا لا تصبحين كاتبة؟ أظن أنك ستبرعين في هذا المجال.

صمتنا لبرهة ثم سألني عما أريد أن أشرب فقلت له:

ـ لا تعتقد أننا سنصبح زوجين طبيعيين، سيكون هدفي هو محاولة اكتشاف ما تخفيه وفضحك أمام الجميع والإبلاغ عنك، لذا لا تمثل دور الزوج معي.

ـ هذا جيد، وأنا لن أجبرك على أن تكوني زوجة أصلاً، بل سأترك لك حرية القرار ولكن بعد الارتباط الرسمي

ـ إذن تقصد أنني سأكون زوجة مع وقف التنفيذ؟ ممتاز وشكراً لك لأنني أعتقد أني سأصاب بالغثيان عندما تحاول الاقتراب مني وأنا أعرف حقيقة من تكون.

ورغم قسوة أسلوبي معه إلا أنه لم يغضب أو يبدي استياءه مني، بل ظل مبتسماً وهادئاً طوال الوقت!!

عندما عدتُ إلى المنزل أخذت أقرأ عن شخصيات القتلة المتسلسلين، ووجدت أنها تنطبق على مازن تماماً، فمعظمهم يبدون هادئين ومحبوبين لدى معارفهم والجميع يعرفون عنهم حسن الخلق، كما أنهم يمتازون بالوسامة والكاريزما العالية ومازن ملفت للنظر ويمتلك أجمل ابتسامة رأيتها على وجه رجل. كما أن نظراته الثاقبة جعلتني أفكر فيه طوال الليل وأنا أتخيل كيف لهذا الرجل الوسيم أن يقتل شخصاً ويقطعه بكل برود!؟. في اليوم التالي وقبل أن أذهب إلى عملي وجدت مكالمة في هاتفي من جمانة فشعرت

بالحيرة فهي لم تحدثني منذ مدة طويلة ولم ترد على اتصالاتي!! فقمتُ بالاتصال بها وأول ما قالته لي وهي غاضبة:

ـ كيف تسمحين لنفسك بالموافقة على رجل أخبرتكِ بنفسي أنني معجبة به؟!

كان صوتها الغاضب مستفزاً، مما جعلني أصرخ أيضاً قائلة:

ـ ومن قال لك إنني أريد الارتباط به أصلاً؟ لقد أُجبرت على ذلك بسببكِ أنت.

ـ وما دخلي أنا بالموضوع؟

لم أتمالك نفسي فقلت لها وأنا أصرخ:

ـ ألستِ أنت من اقترح عليّ أن نراقبه ونضع الكاميرا؟ لقد اكتشف أمرها وجاء إلى أبي مهدداً إما أن أرتبط به أو أنه سيبلغ الشرطة.

صمتت أخيراً، فأكملت حديثي:

ـ لكنني مصرة على فضحه وكشف حقيقته أمام الجميع، وبعد ذلك سأطلب الطلاق.

سمعت صوت أمي تناديني فقلت لجمانة:

ـ سأتحدث معك لاحقاً.. أمي تناديني.

عندما دخلت أمي إلى الغرفة سألتني:

ـ مع من كنت تتحدثين؟

فأخبرتها أنها جمانة، فسحبت نفساً عميقاً بضيق ثم قالت:

ـ إنّ مازناً على الباب ينتظرك.

ـ ما الذي يريده في هذا الصباح الباكر؟ ثم ألا يعلم أنني سأذهب إلى عملي؟

ـ اذهبي وتحدثي إليه وأنصحكِ أن تبتعدي عن جمانة.

ـ وما دخل صديقتي بالموضوع؟ هل كان أحد شروط العريس أن أترك أصحابي أيضاً؟!!

هزت رأسها بنفاد صبر ثم تركتني.

وقفتُ أمامه وأنا أنظر إليه بطرف عيني وسألته:

ـ ماذا تريد في هذا الصباح الباكر؟

فابتسم كعادته وقال:

ـ صباح الخير يا زوجتي العزيزة

رفعتُ حاجبي بدهشة وابتسمت بسخرية وقلت:

ـ أنت حقاً مجنون!! لا وقت لديّ لممارسة هذه اللعبة، ماذا تريد مني؟ لديّ عمل أذهب إليه أنا مشغولة جداً اليوم.

ـ وأنا من سيقوم بأخذك إلى هناك يومياً، هيا يا حبيبتي.

ضحكت بشدة ثم قلت:

ـ أنت تحلم!! لن أدع أي مخلوق يراني برفقتك، فما بالك بزميلاتي في العمل؟! اذهب في طريقك أو اذهب للبحث عن فريسة جديدة لتقوم بتقطيعها بمنشارك.

ظل واقفاً في مكانه ينظر إليّ نظرة جادة جعلتني أشعر بالخوف، لكنني لم أُظهر خوفي منه وقلت:

ـ لا أريد أن توصلني إلى أي مكان، لديّ سيارة وأنا لست طفلة.

ـ أنا مصر على ذلك، هيا اصعدي.

عندها شاهدتْ أبي ينظر إلينا أمام الباب وقد بدا مستاءً من سلوكي مع مازن، لذا لم يكن أمامي سوى الاستسلام والذهاب معه في سيارته.

ظل مازن يأخذني إلى عملي بشكل يومي وأنا أتصرف معه بقسوة، بينما هو بدا لطيفاً ومتفهماً ويحاول جهده أن يجعلني أبتسم وأكون سعيدة معه، وبعد شهر اقترب يوم الزفاف ولم يبقَ سوى بضعة أسابيع فقط، لا أعرف لماذا مالَ قلبي نحو مازن قليلاً رغم خوفي منه وتفكيري بالجثث الموجودة في مخزنه. لكن هل أتزوج من قاتل؟ هذا مستحيل. وفي أحد الأيام وقبل الزفاف طلبت منه مفتاح المنزل لأنني خططت للدخول إليه ومعرفة ما يخفيه فسألني:

ـ لماذا تريدينه؟

ـ ألن يكون منزلي مستقبلاً؟ ثم إنني أريد أن أنقل بعض حقائبي... هل أنت خائف من أن أقوم بتفتيش منزلك أثناء غيابك؟

أعطاني المفتاح بدون تردد وقال:

ـ فقط كوني حذرة حتى لا تصابي بالفزع، فأحياناً تكون أختي موجودة في المنزل لتنظيفه أو لتجهيز الطعام.

ـ لا تقلق، لست غبية.

لم أدخل منزله مباشرة حتى لا يحاول إخفاء الجثث، لذا اخترت يوماً لا يعتقد أنني سأكون فيه متفرغة لدخول منزله. واخترت يوم الزفاف. وفي صباح ذلك اليوم اتصل بي وسألني إن كنت أحتاج إلى أي شيء فقلت له:

ـ كلا شكراً، أنا سأكون مشغولة طوال اليوم في الصالون وفي تجهيزات الزفاف، لكن أنت أين ستكون؟

ـ سأبقى في المنزل، وبعد العصر سأذهب إلى الصالون للحلاقة وللتجهيز للحفل.

ـ ماذا عن أختك؟ ألن تذهب إلى الصالون؟

ـ ستذهب هي أيضاً وسأوصلها إلى هناك ربما بعد الظهر، لأنها تريد أن تتجهز وتعود مبكراً.

عندها ابتسمتُ بسعادة، فسيكون هذا الوقت مناسباً وكافياً لتنفيذ خطتي. راقبتُ المنزل وعندما خرجَ منه أسرعت بالنزول كي أنفذ خطتي، ولكن أمي استوقفتني قائلة:

ـ إلى أين ستذهبين؟ ستأتي خبيرة التجميل بعد قليل لوضع المكياج لك.

ـ لقد نسيتُ حذاء الزفاف في منزل مازن، سأذهب لإحضاره وأعود بسرعة لن أتأخر. دعيها تبدأ بك أو بإحدى أخواتي.

ثم خرجت مسرعة حتى وصلت إلى منزل مازن، وعندما دخلت

ذهبت مباشرة إلى الفناء الخلفي وأخذت أبحث عن طريقة لفتح الباب لكنني لم أستطع فقد كان مقفلاً، فقررت أن أبحث في منزله وفي غرفته بالذات. وقبل أن أدخل ابتلعت ريقي بتوتر وفتحت الباب ببطء وأنا أتخيل وجود جثة في الداخل، لكن الغرفة كانت مرتبة وغاية في الأناقة وبدلة الزفاف التي سيرتديها كانت على السرير. فخرجت من الغرفة وقررت أن أخرج من المنزل قبل أن يعود.. ولكن فجأة سمعت صراخاً قوياً جعلني أصرخ فزعاً بدوري وارتعدَ جسدي!! اقتربت من مصدر تلك الصرخة حتى وصلت إلى غرفة كان الصوت يخرج منها.. كان قلبي يخفق بشدة وأنا أضع يدي على مقبض الباب وأديره ببطء وترقب وعندما دخلت رأيت فتاة شبه عارية وشعرها منكوش وتصرخ بهستيريا فشهقت بقوة، مما جعلها تستدير بسرعة وقفزت نحوي لتهجم عليّ.. إلا أنَّ يد مازن سحبتني خارج الغرفة بقوة وأغلق الباب خلفه!!.

كنت في حالة صدمة وأنا أنظر إلى وجهه الشاحب! ولم أستطع أن أتحدث لذا أسرعت في الخروج من منزله إلا أنه أمسك بي بقوة وحاول ضمي إليه، فأخذت أصرخ وأضربه وأنا أبكي فقال لي:

ـ اهدئي ودعيني أشرح لكِ ما رأيته.

ـ اتركني ولا تلمسني أيها المجرم الحقير.

أجبرني على الدخول إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، بينما أنا أصرخ وأركل الباب بقدمي

ـ دعني أخرج وإلا صرخت مجدداً، سأفضحك وأخبر الجميع عما تفعله.

ـ توقفي عن التصرف كطفلة.. دعيني أشرح لك.

ـ هل تحرّشت بها؟ من هي تلك الفتاة؟ هل هي فريستكَ الجديدة؟ لماذا هي عارية؟

حينها صفعني على وجهي مما جعلني أتراجع إلى الخلف وأنا أضع يدي على خدي بدهشة!! لكنه قال وهو يحاول الاقتراب مني ويحاول تبرير ما فعله:

ـ أعتذر لم أكن أريد أن أصفعك، ولكن ما تقولينه قاسٍ جداً وأنت تتصرفين بهستيريا وترفضين الحديث بتعقل. هذه الفتاة هي ابنة أختي وهي تعاني من مرض عقلي وهي من كانت تصرخ طوال الوقت.

ـ أنت كاذب وحقير، هل تعتقد أني سأصدق هذه الكذبة؟

جلسَ على السرير ووضع رأسه بين يديه وقد رأيت دموعاً تخرج من عينيه لكنه مسحها بسرعة وقال:

ـ ابنه أختي هي من تسببت بمقتل زوجتي، وأصيبت بانهيار عصبي بعد أن اكتشفت خيانتها مع خطيبها.

ظللت واقفة في مكاني وأنا أنظر إليه بينما هو يمسح دموعه وأكمل قائلاً:

ـ كنت حينها مشغولاً جداً في عملي كمسعف وأغيب عن المنزل كثيراً، وفي نهاية الأسبوع كانت أختي وابنتها تقيمان معي بعد طلاقها، فأخذ خطيب ابنة أختي سناء يتردد إلى المنزل كثيراً ولا

أعرف كيف تكونت علاقة بينه وبين زوجتي، وعندما اكتشفت ابنة أختي ذلك أصيبت بانهيار عصبي مما جعلها تتصرف بجنون.

كان يحاول أن يتمالك نفسه حتى إنني شعرت بالشفقة عليه واقتربت منه وجلست أمامه، فأكمل قائلاً:

ـ حدث شجار قوي بينهما وحاولت أختي التدخل ولكن سناء دفعت زوجتي من أعلى السلم فسقطت وأصيبت بنزيف حاد وامتلأ السلم بدمائها، فلم تحتمل سناء ذلك المنظر فأخذت تتصرف بجنون وازداد الأمر سوءاً عندما علمت أن زوجتي كانت حاملاً، وهي بهذه الحالة منذ تلك الحادثة ولم نستطع أن نعالجها أو نخفف عنها.

صمتنا لبرهة، وقلت له:

ـ وما علاقة الجثث الموجودة في الفناء بالأمر؟

عندها أخذ يضحك وهو يمسح دموعه وقال:

ـ تعالي معي لأريك تلك الجثث.

سحبني من يدي وأخذني إلى الفناء، وعندما فتح الغرفة الصغيرة وقف أمامها وقال:

ـ هيا ادخلي وابحثي عن الجثث.

نظرت إليه وأنا أبتلع ريقي بصعوبة، وقلت:

ـ لست غبية، من المؤكد أنك قمتَ بإخفائها.

أمسك يدي مجدداً وأدخلني معه إلى الغرفة، وأشعل الضوء ثم قال وهو يشير إلى اللحوم:

ـ هذه لحوم غزلان، وهذه لحوم بقرية، ويوجد هنا لحم نعام، وهذا لحم جمل.

وفجأة ظهرت أمامي الجثة التي كانت معلقة فصرخت وأنا أبتعد عنه، ولكنه أمسكني مجدداً وقال:

ـ هذه جثة رجل الغاب، وهو نوع من القردة الكبيرة وتوجد واحدة أخرى هناك وهي لقرد الغوريلا.

كنت أغطي وجهي بيدي وأنا أرتعد، فأجبرني على النظر إلى الجثة المعلقة وأشار إليها قائلاً:

ـ انظري جيداً إلى يديه وقدميه، إنهما تشبهان البشر ولكنه مجرد قرد كبير.

اقتربت من الجثة المعلقة وتأكدت فعلاً أنها جثة قرد ضخم نظراً لحجم الرأس وتكوين الجسم فسألته:

ـ ولماذا تحتفظ بجثة قرد هنا؟

لاحظتُ أنه كان خجولاً وهو يجيبني قائلاً:

ـ بصراحة لقد كان هذا المسكين هارباً من حديقة الحيوان وتمّ إبلاغي بذلك من قبل السلطات الأمنية كي أقوم باصطياده لأنني أملك رخصة صيد، وقمت بذلك عدة مرات وعندما فعلت ذلك قمت بشراء الجثة من صاحب الحديقة، وقررت أن أحنّطها كي أحتفظ به كذكرى.. ولكن لانشغالي ظلت جثة القرد معلقة لفترة طويلة هنا.

وفجأة طرقَ أحدهم باب الغرفة مما جعلني أجفل، فابتسم لي

مازن بلطف وقال:

ـ هيا لنخرج فالمكان بارد هنا، ولا يجب أن تمرضي في يوم زفافك.

خرجنا من الغرفة وكانت ملاك تقف وهي بحالة توتر، فقال لها مازن مطمئناً:

ـ لا تقلقي كل شيء على ما يرام، لقد أخبرتها بأمر سناء.

أخذت ملاك تبكي وتنتحب فاحتضنها وقبّل رأسها.

ـ توقفي يا أختي أرجوك، كل شيء على ما يرام الآن.

وبعد أن هدأت أخذت تحكي لي عن معاناتها بعد تلك الحادثة، وما حدث لابنتها ثم أعادني مازن إلى منزل والدي ولكن قبل أن أتركه سألته:

ـ ماذا عن ابنة أختك؟ هل ستظل هنا في المنزل؟

ـ كلا بل ستعودان إلى منزلهما بعد مدة قصيرة، إنها تأتي لزيارتي فقط بين الحين والآخر للاطمئنان ولكن ما دمتُ سأتزوج فسيتغير الحال الآن خصوصاً بعد أن علمتِ بكل شيء وأصبح الأمر واضحاً.

أمسكَ بيدي وقبّلها بلطف ولم أعارض ذلك فبادلته الابتسام بخجل لأول مرة، فقال وهو ينظر إلى عينيّ بحب:

ـ سأنتظر الليل بفارغ الصبر حتى تكوني معي يا حبيبتي، وأعدكِ أنني سأسعدكِ وأفعل ما يرضيك، ولكن أرجوك ثقي بي.

بعد حفل الزفاف أخذني مازن مباشرة إلى أحد الفنادق الراقية

وبتنا ليلتنا هناك، كنت أشعر حينها باضطراب في مشاعري نحوه بين الحب والخوف والسعادة والقلق، إلا أنّ مازناً كان متفهماً جداً لذلك ولم يشأ أن يضغط على مشاعري كي أتجاوب معه أبداً، بل كان حليماً ولطيفاً طوال الوقت. وفي اليوم التالي سافرنا لقضاء شهر العسل إلى إحدى الدول الأوروبية، وكم كنت سعيدة حينها لأنها أول مرة أسافر فيها إلى مثل هذه الدول، وكنت أحلم بذلك. سألني مازن بينما نحن نتمشى في أحد الشواطئ المعروفة:

ـ هل أنتِ سعيدة معي يا مريم؟

أجبته بخجل بينما هو يحتضنني ويمسك بيدي:

ـ نعم سعيدة جداً

ضحك بلطف، ثم طبع قبلة سريعة على وجنتي وأضاف:

ـ ماذا عن خوفكِ مني هل تبدد؟ أم أنني ما زلت قاتلاً متسلسلاً في نظرك؟

شعرت بالإحراج حينها؛ فخلال هذه الأيام اكتشفت أنّ مازناً عطوف جداً على أخته وابنتها رغم ما تسببت به له ورغم اتصالاتها في أوقات غير مناسبة إلا أنه لم يغضب! وكان يحاول حل مشاكلها رغم سفرنا في شهر العسل فسألته مرة:

ـ هل ستذهب أختك إلى منزلها بعد عودتنا؟

ـ نعم إنها تنقل أثاثها الجديد وحقائبها بينما نحن هنا، وعندما نعود ربما تبقى معنا بضعة أيام ثم تذهب.

ـ ماذا عن ابنتها؟ ألن تدخلها إلى مركز للطب النفسي كي تتعالج؟

ـ الأمر ليس بيدي إنه بيد أختي، وهي ترفض ذلك لأنها تعبت كثيراً وهي تحاول مساعدة ابنتها وأخذها إلى الأطباء والرقاة بدون فائدة.

بعد عودتنا من الشاطئ إلى الفندق وأثناء نومي سمعت هاتف مازن يرن فاعتقدت أنها أخته ولم أفتح عيني بل أكملت نومي، فنهض من الفراش ودخل إلى دورة المياه وهو يحمل هاتفه، لكنه تأخر كثيراً مما جعلني أنهض من فراشي وأقف خلف الباب كي أسمع حديثه فسمعته يقول همساً:

ـ سينتهي كل شيء قريباً... كلا لا تفعلي ذلك بدوني... نعم كل شيء جاهز ولن تكتشف ما سنفعله لذا لا تقلقي، أجل ستكون مفاجأة لها.

عدت إلى الفراش، وعندما خرج سألته:

ـ هل هذه أختك؟ ماذا تريد في هذه الساعة؟

شعرت بارتباكه وهو يجيبني ولكنه قال:

ـ نعم إنها تسألني عن موعد وصولنا غداً، وأخبرتني عن نيتها بالخروج من المنزل قبل أن نصل، أخبرتها أن لا تفعل ذلك ولكنها مصرة ولا تريد أن تزعجنا.

لا أعرف لماذا شككت في حديثه واعتقدت أنه يكذب، ولكني لم أشأ أن أثير أية مشاكل فقررت أن أصمت وأراقب تصرفاته فقط.

عندما وصلنا إلى المنزل كان هادئاً جداً فأخبرني مازن أنّ ملاك

أصرت على الرحيل وأضاف قائلاً:

ـ لقد قامت بتحضير طعام العشاء لنا وذهبت إلى منزلها

ابتسمت وأنا أرى الأطباق معدة وجاهزة على الطاولة وقلت:

ـ كم هي طيبة! ولكن لماذا أتعبت نفسها بذلك؟

ـ أرادت أن تعتذر عما حدث في يوم الزفاف، ولم يسمح لها الوقت لفعل ذلك، لذا قامت بتجهيز هذه المائدة لنا.

شعرت بالشفقة عليها فالأمر لم يكن بيدها، فقلت لمازن:

ـ ما رأيكَ أن ندعوها لتناول الغداء معنا في الأسبوع القادم؟

ـ سنرى ذلك حينها، والآن لنتناول الطعام فأنا جائع جداً.

وعندما جلسنا على المائدة انتبهت لوجود علبة صغيرة مغلفة، فقال لي مازن:

ـ هذه هدية الزفاف من أختي، افتحيها.

كان عقداً جميلاً ومزيناً بالألماس، يبدو ثميناً جداً فوضعته حول عنقي مباشرة وأنا سعيدة وقلت:

ـ يجب أن أشكرها على هذه الهدية.

ثم وضعت أول لقمة في فمي، وفجأة سقطت على الأرض فاقدة وعيي.

عندما استفقتُ كنت أشعر بضغط كبير في رأسي وكأنه يكاد أن ينفجر، وبصعوبة استطعت فتح عينيّ لأكتشف أنني في مكان مظلم

وبارد جداً.. ولكن لم أفهم في البداية سبب شعوري بأنني أطير إلا بعد أن أضيء المكان، حينها أدركت أنني معلقة من قدمي ورأسي يتأرجح!! حاولت تحريك جسدي وتحرير يديّ وقدميّ إلا أنني كنت ملفوفة تماماً كالمومياء ما عدا رأسي فقط.. فأخذت أتأرجح أكثر وأكثر حتى أحسست بألم قوي في أقدامي يزداد كلما تأرجحت فرفعت عيني نحو قدمي لأكتشف أني معلقة في خطاف حاد قد أصابَ قدمي بجرح بالغ يؤلمني كلما تحركت. تساءلت في نفسي: هل أنا أحلم؟ ولماذا أنا معلقة بهذه الطريقة؟!. ولم تدم حيرتي طويلاً فقد رأيت مازناً يقترب مني وهو يحمل بيده سكيناً ويبتسم لي بخبث، وعندما وقف أمامي قال:

ـ أخيراً اكتشفتِ حقيقتي يا صغيرتي الفضولية، هل أنت سعيدة؟

أردتُ أن أصرخ، لكنه قال بسخرية:

ـ لا داعي للصراخ لأنه لن يسمعك أي أحد هنا، ثم إن أفراد عائلتك قد ذهبوا في رحلة صيد كانت من اقتراحي.

لم أفهم ما يعنيه، ولكنه أمسك بكرسي ووضعه أمامي ثم جلس عليه وقال:

ـ حسناً ما الذي تريدين معرفته عني قبل أن أقوم بسلخكِ وبتقطيع جثتك؟

أزالَ الشريط اللاصق عن فمي، فأخذت أبكي وأنتحب وقلت:

ـ لماذا تفعل كل ذلك بي؟!

سحبَ نفساً عميقاً ثم أغمض عينيه لبرهة وقال بعدها:

ـ لأنّ هناك شخصاً يحتاج إلى الغذاء.

ثم ابتسم وأكمل قائلاً:

ـ هل تذكرين الفتاة التي رأيتها يوم الزفاف؟

ـ هل تقصد ابنة أختك؟

ـ كلا إنها ليست ابنة أختي، فأنا ليس لديّ أخوة أو أخوات أصلاً.

ظللت صامتة وأنا أحدق إلى وجهه وأفكر بكل ما حدث، فأكمل قائلاً:

ـ إنها ابنتي أنا، لكنها مصابة بمرض غريب.. وقد تبيّن لي بعد ولادتها بمدة أنها مثل مصاصي الدماء تماماً وتفضل أن تذوق طعم الدم على الطعام الذي نأكله، وعقلها المريض يجعلها أقرب إلى الحيوانات.. حتى إنها لم تتكلم منذ ولادتها بل تعوي أحياناً وتئن، ألم تلاحظي أنها تمشي كالقردة تماماً؟

ثم تنهّد بحزن وأكملَ قائلاً بينما أنا أراقب ملامحه وأبكي:

ـ تعبث وأنا أصطاد الغزلان لها بشكل يومي، ولكن في إحدى المرات قامت بعضّ الخادمة التي تأتي مرة كل أسبوع للعناية بها وبالمنزل حتى سالت دماؤها، وعندما أحست بطعم الدم في فمها استمرت في مص الدماء حتى توفيت تلك المسكينة بعد أن جف الدم في عروقها تماماً، ولكن روحها لم تذهب سدى فقد ظلت ابنتي تشعر بالشبع لمدة شهر كامل، ومنذ ذلك الحين لم تعد تستسيغ دماء الغزلان وتبحث عن الدماء البشرية حتى إنها كادت أن تعضني!!

لم أصدق ما سمعته وشعرت بصدمة، وقلت:

ـ أنت مجنون حقاً؟!

لم يغضب بل ظل هادئاً وهو يقول:

ـ تخيّلي لو أنها ابنتكِ، هل كنتِ ستتركينها لتموت؟

ـ كنت سأطلب المساعدة من الأطباء، وأبحث لها عن علاج منطقي.

ـ لقد فعلت ذلك ولم يُجدِ نفعاً، حتى إنني قمت بحبسها في المنزل كما ترين، وأخذتها إلى أشهر الأطباء وجلبت لها معالجين نفسيين وروحانيين ولم يتغير شيء بل ازداد الأمر سوءاً، لذا لم يكن أمامي سوى أن أبحث لها عن الغذاء الذي يجعلها تصبح هادئة أطول مدة ممكنة وهي الدماء البشرية.

كنتُ أبكي وأنا أسمع ما يقوله فسألته:

ـ كم شخصاً قتلت؟ ألا تشعر بتأنيب الضمير؟

ـ بل أشعر بذلك وأكثر إلى درجة أنني كرهت نفسي، ولكن ليس بيدي حيلة ولا أستطيع التخلص من فلذة كبدي، أما الأشخاص الذين اضطررت إلى قتلهم فهم كثيرون جداً، وأنت ستنضمين إليهم قريباً.

ازداد صراخي وأخذتُ أرجوه أن يتركني، ولكنه اعتذر وأضاف:

ـ صدّقيني لو كنتِ مكاني ستفعلين نفس الشيء وربما أكثر.

نهضَ من الكرسي ووقف أمامي مباشرة، ثم طبع قبلة على شفتيّ وجبيني وقال:

ـ هل تعلمين أنكِ الشخص الوحيد الذي شكّ فيّ؟ وهذا ما جعلني ألتفت إليك وأعجب بك، بصراحة أنا كنت أنوي التخلص من والدكِ عن طريق اللحم الذي أعطيته إياه، ولا أعرف كيف لم يؤثر السم به!! ولكن عندما رأيتكِ سحرتني بجمالك وبذكائك.

ـ ماذا ستخبر عائلتي بعد أن تقتلني؟ كيف ستبرر اختفائي؟

ابتسم بلطف بينما هو يشحذ سكاكينه الحادة أمامي وقال:

ـ لا تقلقي كثيراً من هذه الناحية، أعدك أنني سأخبرهم بطريقة لطيفة وأجعلهم فخورين بكِ، وربما ينضمون إليكِ واحداً تلو الآخر.

لم أعد أرى أمامي جيداً بسبب دموعي وأنا أبكي وأرجوه قائلة:

ـ أرجوك لا تقتلني

لكنه كان يقترب مني من دون أن يهتم لصراخي ودموعي، ثم رفع سكينته الحادة أمامي وصرخ بصوت عالٍ كاد أن يصيبني بالصمم قائلاً:

ـ استفيقي...

الجو بارد جداً!! هل أنا ميتة الآن؟! أشعر بجفاف في حلقي وأسمع صوتاً مشوشاً لا أستطيع فهمه! حاولت أن أفتح عيني ولكنّ شيئاً ما كان يحجب الرؤية عني، إذن أنا ميتة وربما في المشرحة وربما.... تذكرت ما حدث لي فأخذت أصرخ بكل قوتي حتى انتفض جسدي عدة مرات، وفجأة شهقت شهقة أعادت الهواء إلى صدري وكأنني نهضت من الموت، واستطعت أن أسمع وأرى وأن أشعر بكل ما هو حولي. وأول شيء وجدته وسمعته كان صوت مازن وهو يقول:

ـ أخيراً استفاقت...

ثم رأيت أمي وأبي وإخوتي يقتربون مني ويحيطون بي، إلا أن الطبيب أبعدهم جميعاً وأنا ما أزال في حالة ذهول!! أخذ الطبيب يفحص نظري ودقات قلبي وقال:

ـ إنها بخير الآن، الحمد لله على سلامتكِ سيدتي.

كنت أتذكر ما حدث وأحاول أن أستوعب ما أراه أمامي. اقترب مازن مجدداً مني وأمسك بيدي لكنني أبعدته عني وأخذت أبكي وأصرخ وأنادي أمي التي اقتربت مني واحتضنتني وهي تحاول تهدئتي بينما مازن كان ينظر إليّ بدهشة وحزن، فقلت من بين صرخاتي:

ـ أبعدوه عني، لا أريد أن أراه إنه قاتل ومجرم، سيقتلني ويقتلكم..

واسترسلت في الكلام، وفجأة أدركت أن كل ما حدث مع مازن ومحاولته لقتلي كان مجرد كابوس!!.

توقفت عن الصراخ وكان الجميع ينظرون إليّ بدهشة واستفهام، ثم خرج مازن من الغرفة وتبعه أبي فسألتني أمي:

ـ لماذا تفعلين ذلك به وبنفسك؟ مازن كان خائفاً جداً حتى إنه كاد أن يبكي من شدة القلق عليكِ.

كنت مشوشة الذهن ولا أعي ما يحدث حولي، ولكنني سألت أمي:

ـ ما الذي حدث؟ لماذا فقدت وعيي؟

أجابتني أمي:

ـ لقد فقدتِ الوعي بعد تناولك للمحار.

ـ محار؟!

ـ نعم، أخبرنا مازن أن أخته قد أعدّت لكما طعام العشاء وقامت بشراء السوشي الذي يحتوي على المحار ووضعته على المائدة من دون أن تعلم أنكِ تعانين من الحساسية، وعندما تناولتِ أول لقمة سقطتْ على الأرض وأخذتِ ترتجفين ثم تغيّر لونكِ إلى الشحوب تماماً، حينها اتصل مازن بأبيك وأخبره بما حدث فأسرعنا بك إلى الطوارئ.

ـ ماذا عن أختهِ؟ أين هي؟

ـ إنها تقف خارج الغرفة، المسكينة كانت تبكي وتعتذر طوال الوقت رغم أنه لا ذنب لها فهي لم تكن تعرف أنك تعانين من الحساسية من المحار.

أخذتْ أبكي وأنا أتذكر كل ما حدث، وشعرت بالإحراج لإهانتي لمازن أمام الجميع، فقالت أمي:

ـ لماذا قلتِ ذلك له؟ مازن كان متوتراً وقلقاً طوال الوقت.

أخبرت أمي بالحلم الذي راودني وأنا في الغيبوبة، فأخذت تضحك بشدة ثم قالت:

ـ أعانَ الله مازناً على جنونك.

ثم خرجت أمي لبرهة وعندما دخلت مجدداً كان مازن خلفها ينظر إليّ نظرة عتاب وقال لي:

ـ هل أنتِ بخير الآن؟

أجبتهُ وأنا أشعر بالحرج من دون أن أنظر إلى وجهه:

ـ نعم، أعتذر عمّا بدر مني كنت...

ـ أرجوكِ لا تكملي، وأعدك أنني سأتركك وشأنك إن أردتِ الانفصال، فلن أعيش مع إنسانة تعتبرني مصدر تهديد بالنسبة لها.

قالت أمي له:

ـ توقف يا مازن أرجوك، ابنتي لم تقصد ما قالته لك، لقد أخبرتك أنها كانت تحلم.

ـ لكنها لا تثق بي وتعتبرني قاتلاً، كنت أعتقد أنها ستحبني بعد الزواج وتتفهم طبيعة عملي.

سألته حينها:

ـ هل تستطيع التضحية بهذا العمل من أجلي؟

ـ تقصدين أن أترك الصيد؟

ـ أجل

فكّر لبرهة، ثم قال مستسلماً:

ـ أعدك أنني سأحاول ذلك، أنت تعرفين أنني أحب هذه الهواية.

ـ وأنا لا أحبها، ولا يعجبني وجود تلك اللحوم المخزنة في منزلي.

سحبَ نفساً عميقاً ثم قال باستسلام:

ـ لا تقلقي؛ سأجد حلاً.

عدتُ إلى منزله في اليوم التالي ورافقتني أختي مها التي طلبتُ منها أن تبحث في كامل المنزل عن أي شيء مريب ففعلت ما طلبته منها، وعندما عادت أخبرتني أن المنزل خالٍ تماماً من اللحوم، فسألتها:

ـ أين مازن إذن؟

ـ أعتقد أنه في الفناء الخلفي

عندها نهضت من السرير وأسرعت نحو الفناء الخلفي وقلبي يخفق بشدة، أردتُ أن أفاجئه بدخولي لأرى ردة فعله.. وعندما دخلت غرفة الثلاجة وجدته يحمل اللحوم المعلقة ويضعها في صناديق فسألته:

ـ ماذا تفعل؟

التفتَ إليّ وقال:

ـ ألم تخبريني أنك لا تريدين أن أصطاد الغزلان وأن أتخلى عن هذه الهواية؟ ها أنا أتخلص من اللحوم وأعدكِ أنك لن ترينها مجدداً، هل أنت راضية الآن؟

ـ وماذا ستفعل إذن؟

ـ ربما أعود إلى عملي السابق كمسعف، أو ربما أعمل في التجارة، لا أعلم لم أقرر بعد، ما يهمني فقط هو أن تكوني راضية وسعيدة معي.

فسألتُ نفسي حينها: هل أنا راضية؟!! السؤال الأهم: هل أثق بهِ، أم

أثق بحدسي؟!.

استحواذ

لم يكن الأمر رومانسياً أبداً ، وليس كما صورته الروايات الخيالية عندما أخبرتنا أنه يمكن أن يعشق جنيٌ إنسياً أو العكس...نظرتُ إلى وجهي في المرآة وأخذت أبكي ندماً على ما اقترفته بحق نفسي...

ما هي القصة؟!

اجتمعت مع صديقاتي في حديقة المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسي، وأخذنا نستمع إلى إحدى الصديقات والتي كانت مولعة بالقصص وخصوصاً روايات الرعب التي تتحدث عن الجن وتواصلهم مع الإنس، فأخذت صديقتي سعاد تمتدح كاتباً معيناً قد برع في وصف حالة من الحب والهيام التي نشأت بين صبية من الجن وشاب من الإنس وهي تقول بحماس:

ـ أنصحكنّ بقراءة الرواية، ستأخذكنّ إلى عالم آخر

ـ هل تعتقدين أن هذا الأمر حقيقي؟! أنا أعتقد أنه مجرد خيال كاتب فقط وغير واقعي أبداً ، فلا يمكن للجن أن يعشق الإنس بهذه الطريقة التي يصفها الكاتب أبداً!!

لكن إحدى الصديقات ردت على سؤالي بثقة:

ـ بل هذا حقيقي يا نور، ولقد سمعت الكثير من القصص التي تتحدث عن ارتباط الإنس بالجن، كما أنني شخصياً أعرف سيدة من عائلتنا كانت مرتبطة بجني يعشقها، ولكن والدها فعل المستحيل كي يتخلصوا منه، ولكن تلك السيدة رفضت الارتباط بأي رجل رغم بلوغها الخمسين من عمرها وما تزال وحيدة حتى إنها انعزلت عن

العالم.

ـ ربما ما تزال تحب ذلك الجني ولا تستطيع نسيانه

تنهدت سعاد صديقتي وقالت:

ـ أشعر أن هذا النوع من الارتباط رائع ومميز ومختلف تماماً عن الارتباط بالإنس

فسألتها أروى وهي صديقتي أيضاً:

ـ ماذا عن الأبناء؟ كيف سينجبان أبناءً وهما من عالمين مختلفين ولهما خصائص جسدية مختلفة؟

فتحت سعاد الرواية وقالت:

ـ الكاتب يوضح قائلاً إن الطفل سيولد ولديه خصائص من العالمين، فلربما يكون مظهره كالبشر ولكنه يستطيع الاختفاء أو التحول كالجن

ضحكث بسخرية وقلت لسعاد:

ـ أنت متأثرة كثيراً بالكاتب!! صدقيني إن ما يكتبه هو مجرد خيال، وقد بالغَ في وصف هذه العلاقة لجذب القراء فقط

لكنها لم تغضب من سخريتي بل قالت:

ـ إن كنت لا تصدقيني، فلماذا لا تجربين بنفسك؟

ـ أجرّب ماذا؟

نظرت سعاد إلى وجوهنا واحدة تلو الأخرى، ثم قالت لي:

ـ هل أنت واثقة يا نور أنه لا يوجد هذا النوع من العلاقات؟

أجبتها بثقة:

ـ نعم ولا يمكن أن تكون، فنحن نعرف أن التكوين البشري يختلف عن تكوين الجن، فهم خلقوا من نار ونحن من الطين

رفعت سعاد حاجبيها بتحد ثم قالت:

ـ إذن أنا أدعوكِ إلى جلسة استحضار سنحاول فيها التحدث مع الجن ونسأله عن الارتباط بالإنس.

ابتلعت ريقي وأخذت أنظر إلى وجوههن وكأنهن ينتظرن الإجابة مني فقلت:

ـ وما الفائدة؟ أنا أتحدث عن الارتباط والزواج وليس ظهورهم لنا

ـ نعم سنسأله إن كان يستطيع الارتباط بالإنس وكيف يحدث ذلك، هل أنتن موافقات؟

جميعهن وافقن على ذلك، ولكن أنا كنت مترددة وشعرت ببعض الخوف، فماذا لو أراد ذلك الجني الارتباط بي أنا مثلاً أو تسبّب بأذية لنا؟ لاحظت سعاد خوفي فأخذت تضحك وقالت بسخرية:

ـ لا تتحدثي بثقة عن شيء أنت لا تعرفينه مره أخرى أيتها الجبانة

عندها شعرت بالغضب، خصوصاً بعد أن أخذن يضحكن بسخرية مني فقلت بتحدٍّ:

ـ أنا موافقة ولكن إن ثبت العكس فعليكِ أن تعترفي أنكِ غبية أمام الجميع، وأن ما تقرئينه من قصص وروايات مجرد خزعبلات من

اختراع الكاتب.

في الإجازة الأسبوعية حددنا موعد بدء الجلسة في منزل صديقتنا أروى، واخترنا القبو لأنه منعزل ولن يضايقنا أي أحد خصوصاً أنها وحيدة والديها والمنزل كبير، فاجتمعنا بعد العشاء في منزل أروى وكنا أربع صديقات، أروى وسعاد وصديقتنا منال وأنا، جلسنا سوياً في القبو ننتظر بدء الجلسة التي حضرت لها سعاد بنفسها، فقد أشعلت مجموعة من الشموع وأضاءت نوراً أحمر ووضعت في وسطنا ورقة كتب عليها كلمتا: نعم ولا، وقلمان وضعتهما بشكل متعاكس على بعضهما البعض فوق الورقة وقالت لنا:

ـ أنا من سأقود الحديث، وهذه الورقة ستشير إلينا بجواب الجني الذي سيكون معنا في الجلسة

فقالت منال:

ـ هل ستكون الإجابة بنعم أم لا فقط، مثل لعبة شارلي شارلي؟

ـ نعم يا منال، فليس لدينا لوح الويجا ليسهل الحديث معه.. ولكن نحن نريد فقط أن نثبت لنور أن الارتباط وارد بين الإنس والجن

ابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أنظر إلى الورقة وإلى وجوههن بعد أن جلسنا في حلقة دائرية ثم قالت:

ـ لدى والدي كتاب فيه طريقة لاستدعاء الجن أخذتها من مكتبته الخاصة، وأنا كتبتها هنا في ورقة وسوف أتلوها بنفسي.. ولكن عليكن أن تغلقن أعينكنّ بينما أنا أقرأ.

ثم استطردت قائلة:

ـ أوه هناك شرط لم أنتبه إليه أيضاً، وهو وجود الدم في منديل تحت الورقة.

سألتها أروى:

ـ ولماذا الدم؟ أعتقد أن الأمر مريب!

ضحكت سعاد بسخرية:

ـ أيتها الجبانة، إنها مجرد قطرات قليلة من الدم لا تهلعي.

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت دبوساً صغيراً حاد الطرف، وقالت وهي تجرح إصبعها:

ـ عليكنّ أن تفعلن مثل ما أفعل، ونضع هذه القطرات في المنديل

ثم أمسكت منال بالدبوس وأخذت تنظر إلينا برهبة وقالت لسعاد:

ـ لا أستطيع فعل ذلك بنفسي.

أخذت سعاد الدبوس وقالت:

ـ حسناً أنا سأفعل ذلك لكِ، هيا أعطني يدك.

وكذلك فعلت بأروى، ولما حان دوري أمسكت أنا بالدبوس بنفسي وجرحت إصبعي ولكن لا أعرف لماذا لم أضع قطرات الدم على المنديل وتظاهرت بأنني فعلت ذلك، ثم وضعت سعاد المنديل تحت الورقة وطلبت منا إغلاق أعيننا قائلة:

ـ الآن سأقرأ التعويذة، ويجب عليكن إغلاق أعينكن ولا تفتحنها

حتى أطلب منكن ذلك.

فعلنا ما طلبته منا وأخذت تتلو كلمات التعويذة، وأحسست بحرارة غريبة تسري في جسدي. ولا أعرف لماذا جعلني فضولي أفتح إحدى عينيّ خلسة وأنظر إلى ما يحدث، ولكن ما رأيته خلف سعاد جعلني أسارع إلى إغلاق عيني مجدداً وأنا أرتعد وأتصبب عرقاً، فقد رأيت ظلاً أسود يقف خلفها ويتشكل ببطء على هيئة جسد طيفي ليس له ملامح. وعندما توقفت سعاد عن القراءة قالت لنا:

ـ افتحنَ أعينكن ولكن لا تحدقن إلى وجوه بعضكن بعضاً، بل انظرن إلى الورقة فقط

فتحت عيني ببطء ومباشرة نظرت إلى الورقة كما قالت سعاد، ولكنها وجهت الكلام إلي وقالت:

ـ هل أنتِ مستعدة يا نور؟ الآن سأثبت لكِ أن الإنس والجن يمكنهم الارتباط

ابتلعتُ ريقي بخوف وقلبي يكاد يقفز من شدة التوتر، فقالت سعاد بصوت عالٍ:

ـ هل يوجد أحد معنا هنا؟

أحسست أن حبات العرق تسري في ظهري حتى أصابتني قشعريرة هزت أطرافي، وفجأة رأيت القلم يدور ويتحرك نحو كلمة نعم!! شهقنا سوياً، ولكن سعاد قالت:

ـ لا تُظهرن توتركن وخوفكن منه، وإلا سيستغل ذلك لإخافتكن أكثر

توقفنا عن الحديث فقالت سعاد:

ـ أخبرني أيها الجني، هل يستطيع الجن والإنس الارتباط بزواج حقيقي؟

ظللنا لفترة نحدق إلى الورقة والقلم، لكنها لم تتحرك فقلت بسخرية رغم توتري:

ـ يبدو أنه لا يملك جواباً أيضاً

ضحكت أروى، لكن سعاد نهرتها وقالت:

ـ توقفي عن الضحك، وإلا اعتبرها إهانة له

ثم أعادت السؤال مجدداً:

ـ هل يستطيع الجن والإنس....

وقبل أن تكمل جملتها تحرك القلم نحو كلمة نعم!! فسألته سعاد:

ـ هل تستطيع إظهار نفسك لنا؟

أردتُ أن أعترض ولكن الأخريات كن متحمسات للأمر، وبعد برهة تحرك القلم نحو كلمة نعم مجدداً!!

ـ سيظهر لنا، هل تعتقدين أنه وسيم ويملك عضلات مفتولة وجسداً ضخماً؟

قالت أروى ذلك وتبعتها منال

ـ ربما يملك ذيلاً أو قروناً في رأسه أيضاً، وأنياباً حادة.. أنا أتخيله يشبه دراكولا

أما سعاد فظلت صامتة بشكل غريب، وكم أردت أن أرفع رأسي كي أنظر إليها، لكنني شعرت بالخوف والتردد فقلت لها:

ـ سعاد، لمَ أنت صامتة؟

لكنها لم ترد، وفجأة انطفأت جميع الشموع في وقت واحد وكذلك النور الأحمر، وبقينا في الظلام فما كان من منال إلا أن صرخت بذعر وتركت يدي

ـ سعاد ما الذي يحدث؟ تكلمي!

لم نسمع صوت سعاد، ونحن ما زلنا غارقات في الظلمة فقلت لأروى:

ـ أشعلي الضوء يا أروى، يبدو أنه قد حدث شيء لسعاد، إنها لا تتكلم

تركت أروى يدي وذهبت لتضيء الغرفة، لكنني فجأة سمعتها تصرخ مرة واحدة فقط، ثم انقطع صوتها فأخذت أناديها:

ـ ما بك يا أروى؟ لماذا تصرخين؟ أشعلي الضوء بسرعة أنا خائفة

وفجأة أضيئت الشموع مجدداً ولكن الضوء كان خافتاً ولم أستطع أن أرى جيداً، فأخذت أتلفت حولي وأبحث عنهن...أين الجميع؟ لقد اختفت أروى وكذلك سعاد ومنال!! أين هن ولماذا أنا هنا وحدي؟! حاولت صعود أدراج القبو وفتح الباب لكنني لم أستطع! وعندما حاولت الصراخ لطلب النجدة شيء ما قذفني بقوة من أعلى السلم فسقطت على الأرض وارتطم رأسي بالجدار وفقدت الوعي.

فتحت عيني لبرهة ولاحظت أن هناك شيئاً ما يقترب مني ويحيطني من كل جانب، فأحسست أن حرارة جسدي ترتفع وخفقات قلبي تزداد علواً، وأخذت قدماي ترتعشان بشكل غريب.. ولم أستطع التحكم بهما، فحاولت أن أصرخ وأستنجد إلا أنني لم أستطع. وكأنّ هناك شيئاً ما يكتم أنفاسي ويثقل لساني. وسمعت همساً قرب أذني يقول لي:

ـ سأريكِ كيف يرتبط الإنس بالجن يا نور

وفقدت الوعي مجدداً.

عندما فتحت عيني وجدت نفسي في المستشفى، وكانت أمي تجلس بالقرب مني وهي تبكي وتقرأ القرآن، فقلت وأنا أنظر إليها بدهشة:

ـ ما الذي حدث يا أمي؟!

احتضنتني بسعادة، وأخبرتني قائلة:

ـ ألا تذكرين ما حدث لكِ يا حبيبتي أنت وصديقاتك؟ لقد احترق قبو منزل أروى وأنتنّ بداخله!!

لم أكن أتذكر أي حريق، ولكنني سألتها:

ـ ماذا عن صديقاتي، هل هنّ بخير؟

مسحت أمي دموعها وشعرتُ أنها مترددة في إخباري، ولكن بعد إصراري قالت:

ـ أروى بخير، أما سعاد فقد توفيت بسبب الاختناق، ومنال تعرضت

إلى الإصابة ببعض الحروق البليغة في جسدها، وما تزال في غيبوبة

أخذت أبكي حزناً على سعاد، فحاولت والدتي تهدئتي، ولكن شعوري بالحزن والذنب كان كبيراً جداً حينها.

بعد عدة أيام تماثلث إلى الشفاء، وأقامت عائلة سعاد عزاء لها فذهبت أنا وأمي للتعزية. وبعد أن خرجنا من العزاء اقتربث مني أروى التي كانت موجودة في العزاء أيضاً وقالت:

ـ أريد أن أتحدث إليكِ، ولكن على انفراد

ـ ليس الآن يا أروى، فالوقت غير مناسب

لاحظث توترها، حتى إنها كادت أن تبكي فقلت لها:

ـ حسناً، سأستأذن من أمي وسنذهب إلى أحد المقاهي القريبة

عندما جلسنا في المقهى، لاحظت أنها تتلفت حولها كثيراً لكنني لم أعلق وظللث صامتة أنتظر حديثها فسألتني:

ـ هل لاحظتِ أي شيء غريب منذ أن استفقتِ من الغيبوبة؟

لم أفهم ما الذي تقصده، فقلت:

ـ عن أي شيء تتحدثين؟ هل تقصدين صحتي مثلاً؟

ـ أقصد هل...

ثم توقفت لبرهة، وأكملت وهي ما تزال تتلفت حولها:

ـ هل لاحظتِ الشخص الغريب الذي يجلس في عزاء النساء؟

ـ شخص غريب؟! هل تقصدين رجلاً أم ماذا؟ أنا لا أفهم!

ـ لا أعلم إن كان رجلاً أو امرأة أو شيئاً آخر. ولكن كان هناك شخص يجلس من دون حراك ولم يكن له أي ملامح واضحة وينظر إلينا بين الحين والآخر، لمحته يلاحقكِ عندما ذهبت لتعزية والدة سعاد.

رفعت حاجبي بدهشة:

ـ عمّ تتحدثين؟ أنا لم أرَ أي أحد؟

عندها انفجرت أروى بالبكاء، فربتُّ على كتفها كي تهدأ لكنها قالت:

ـ من بعد تلك الحادثة كنت أرى ظلالاً سوداء في منزلنا، واعتقدت في البداية أن ما حدث قد أثّر على بصري أو تسبّب لي بمشكلة عصبية، لكنني ذهبت إلى الطبيب وأخبرني أن كل شيء سليم وجميع فحوصاتي طبيعية. ولكن استمرت الخيالات السوداء تطوف أمام ناظري حتى غدت أكثر وضوحاً. واليوم رأيته متجسداً في عزاء سعاد

ـ ما هي تلك الخيالات؟ وما علاقتها بعزاء سعاد؟!

ابتلعت ريقها ومسحت العرق عن جبينها وأجابتني:

ـ أعتقد أنّ سعاد استطاعت استدعاء أحد الجان، وهو يلاحقنا الآن

ـ أنتِ متوهمة يا أروى، أخبرتكِ من قبل إنه لا يوجد شيء كهذا، وأن كل ما حدث مجرد وهم

ـ وهم؟!! أنتِ بنفسك رأيتِ القلم يتحرك والشموع تنطفئ فجأة، ورأيت اشتعال النيران الغريب رغم عدم وجود أي مصدر لها سوى الشموع!

ـ ربما سعاد هي من دبّرت كل هذا فقط لتقنعني برأيها، أما مسألة النيران فأعتقد بأنّ شرارة قد حدثت عندما انطفأت الشموع فجأة ونحن لم نلاحظها، هذا كل ما في الأمر صدّقيني

ضحكت أروى بشكل هستيري وقالت:

ـ أنتِ تحاولين إقناع نفسك بهذه الكذبة كي لا تخافي فقط

ـ ولماذا أخاف؟ لنفترض أنها استدعت أحد الجان، فما الذي يجعلني أخاف من شيء لا أراه؟

ـ أيتها الغبية، ربما يتسبب بأذية لنا

ـ لا تنسي أن سعاد من قامت باستدعائه، ونحن فقط كنّا متفرجات

فجأة سمعت همساً قرب أذني، وكأنّ أحدهم يقف خلفي ويقول لي:

ـ سأريكِ كيف يقترن الجن بالإنس يا نور، أنتِ قرينة لي

اقشعرّ جسدي وكأنّ الدماء قد تجمدت في عروقي، فالتفتُّ خلفي بسرعة لكنني لم أجد أحداً!! فسألتُ أروى:

ـ هل رأيتِ الشخص الذي مرّ خلفي الآن؟

قطبت حاجبيها وهي تنظر خلفي:

ـ كلا لم أرَ أي أحد يمر خلفك، لماذا؟

ابتعلتُ ريقي بصعوبة، وراح عقلي يقنعني أنه مجرد وهم، وأن هناك شخصاً قد مرّ خلفي لم تنتبه إليه أروى، ولكن لماذا يهمس في

أذني قائلاً إنني قرينة له؟! قاطعني صوتُ أروى:

ـ أعلم أنك لا تريدين تصديق ما حدث، ولكن كوني حذرة فهناك من يتربص بنا نحن الثلاث وأنا أشعر بالخوف

سألتها عن منال، فأجابتني:

ـ ما تزال في المستشفى تحتاج إلى عناية أكثر بسبب الحروق البالغة التي أصابت يديها ورجليها لكنها بخير

ـ ربما أذهب لزيارتها غداً، ما رأيكِ لو ذهبنا سوياً؟

***

في اليوم التالي ذهبنا لزيارة منال، وكانت حينها تبكي قبل أن ندخل عليها، وعندما رأتنا مسحت دموعها ورحّبت بنا، جلسنا سوياً نتحدث عن سعاد حتى قالت أروى لمنال:

ـ هل أنتِ بخير الآن؟ متى ستخرجين من هنا؟

ـ لا أعلم ربما نهاية الأسبوع، ماذا عنكما؟ هل أنتما بخير؟ ألا تجدان صعوبة في النوم مثلاً؟

قلت لها:

ـ نعم أنا لا أستطيع النوم جيداً، وكلما أغلقت عيني أتذكر ما حدث، كما أن ذكرى سعاد تجعلني أشعر بالحزن

أومأت برأسها بالإيجاب، ولاحظتُ أنها تريد قول شيء آخر لكنها مترددة، فقالت لها أروى:

ـ ماذا عن بصركِ؟ هل ترين كل شيء بشكل طبيعي؟ ألا تشعرين أنّ هناك شيئاً غريباً أو ظلالاً؟

عندها انفجرت منال بالبكاء، وقالت:

ـ أرى كل شيء طبيعياً، ولكن أنا أتعرض إلى الضرب والتعذيب أثناء نومي.. انظرا إلى جسدي.

أبعدت منال كمّ قميصها عن ذراعها فشاهدنا كدمات قاتمة جداً هي أقرب إلى السواد فقلت لها:

ـ ربما هذه من تأثير الحروق.

ـ كلا يا نور، فلم تكن هذه العلامات موجودة بالأمس، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ظهري وساقي.

ـ هل طلبتِ من الطبيب أن يقوم بفحصك؟

ـ نعم لقد أجريث جميع التحاليل وأخبرني الطبيب أنها سليمة، وربما تكون هذه الكدمات نتيجة الصدمة النفسية التي تعرضتْ لها

ـ إذن ربما ما يقوله صحيح، ولا علاقة لما حدث بها

ـ ماذا عن الكوابيس التي أراها، وأرى فيها كياناً أسود بدون ملامح يؤذيني ويحاول تعذيبي والتحرش بي؟

التفتُ إلى أروى التي كانت تحدق إليّ وكأنها تنتظر إجابة مني، فقلت وأنا أبتسم لمنال مطمئنة:

ـ صدّقيني إنه مجرد تأثير للحادثة، وسيختفي كل شيء عندما تتماثلين للشفاء

وفجأة سمعت الهمس في أذني مجدداً:

ـ أنتِ قرينة لي يا نور

التفتُ خلفي بسرعة، ولكن لم أجد أحداً، فنحن نجلس في غرفه منال الخاصة ولا يوجد سواي أنا وأروى التي كانت تجلس بعيداً عني في الجهة المقابلة لي من السرير!! أصابتني قشعريرة جعلتني أنهض من مكاني وأقول:

ـ حسناً، أنا سأذهب إلى المنزل، أشعر ببعض التعب

ـ ما زال الوقت مبكراً يا نور، ابقي معنا قليلاً

ـ لا أستطيع فوالدتي تنتظرني.. إلى اللقاء.

أخذت أفكر بكل ما قالته أروى وأضافته منال، وظللت طوال الليل أشعر بالخوف وأتلفت حولي حتى إنني أصبت بالأرق ولم أستطع النوم إلا بعد آذان الفجر ، وفجأة استيقظت مفزوعة إثر كابوس مخيف جعلَ جسدي يرتعد وقلبي يخفق بشدة، فقد رأيت نفسي عارية وأقف وسط بركة قذرة لا أستطيع الخروج منها، ورأيت يداً ممدودة نحوي، وعندما أردتُ الإمساك بها لم أستطع وكأنّ يدي تنزلق. ثم رأيت يداً أخرى كانت مخيفة ومضرجة بالدماء والقاذورات تخرج من البركة وتمسك بعنقي وتحاول إغراقي وشدي نحو البركة القذرة وأنا أصرخ وأستنجد وأكاد أختنق. ورغم محاولاتي الهروب منها إلا أنها كانت تتغلب عليّ وتغرقني!! أخذت ألهث وأنا أتذكر تفاصيل الكابوس. عندها دخلت أمي إلى الغرفة وهي تمسك بعصا وأخذت تضربني بها على ظهري وهي تصرخ

بصوت مفزع، وعندما حاولت النظر إليها اكتشفت أنها لم تكن أمي، بل كانت كياناً مخيفاً له وجه بشع فاستفقتُ من الكابوس وأنا أرتجف!! أسرعت نحو نافذتي وفتحتها كي أستنشق الهواء ثم خرجت من الغرفة لأبحث عن أمي، إلا أن أبي أخبرني إنها خرجت من المنزل لزيارة إحدى الجارات. لاحظ أبي توتري وارتجاف جسدي فسألني عن السبب فقلت له:

ـ لقد حلمت بكابوس أخافني كثيراً

ربّت على كتفي بتعاطف وقال:

ـ إنه مجرد كابوس، حاولي أن تحصني نفسك قبل النوم ولا تنسي الوضوء، ولن تتعرضي إلى أي كابوس مرة أخرى

ولكن مع مرور الأيام ازداد الأمر سوءاً فأصبحتُ أرى خيالات وظلالاً سوداء تتحرك حولي، وعندما التفتُ نحوها لم أعد أرى شيئاً!! كما أن الكوابيس ازدادت وأصبحت مخيفة حتى إنني كنت أقاوم النعاس كي لا أتعرض لها. وفي إحدى المرات لم أستطع مقاومة نعاسي وغلبني النوم وأنا أمام التلفاز ، فرأيت شيطاناً أسود له قرن فوق رأسه ووجه مخيف ينظر إلي من خلال التلفاز وهو يضحك ويقول:

ـ لقد اقترب موعد اقترانا يا نور

ثم رأيته يخرج من التلفاز ويقترب مني، حاولت الهرب لكنني لم أستطع فأمسك بي وأخذ يتحسس جسدي بطريقة جعلتني أصاب برعشة، فصرخت بقوة كي أستيقظ من الكابوس ولكنه أطبقَ على

عنقي وأخرجَ لسانه الذي كان مشقوقاً إلى نصفين ولونه أحمر كالدم وهو يضحك بصوت عالٍ!! شيء ما بداخلي جعلني أفكر بآية الكرسي، ولكن كيف سأقرؤها وأنا أكاد أختنق ولا أستطيع الكلام؟! قاومت اختناقي وأخذت أقرأ آية الكرسي بصعوبة، وكأنّ فمي مخدر ولساني ثقيل. وفجأة شهقت بقوة وعاد النّفس إليّ مجدداً واستيقظت من كابوسي وأنا مفزوعة وأصرخ كالمجنونة. دخلت أمي الغرفة واحتضنتني ثم أخذت تقرأ القرآن وتمسح على رأسي وجسدي، فرفعتُ وجهي نحوها وأنا أبكي وقلت:

ـ لقد تملّك مني يا أمي، كان يحاول معاشرتي وأخبرني أنه سيرتبط بي

كانت أمي تنظر إليّ بدهشة، ولكنها احتضنتني مجدداً وقالت:

ـ لا تقلقي؛ كل شيء سيكون على ما يرام، إنه مجرد كابوس

ولكن في هذه المرة أيقنتُ أنه ليس مجرد كابوس عادي، بل إن ذلك الكيان الذي استدعتهُ سعاد في ذلك اليوم المشؤوم ما زال يطاردني ويحاول أن يقترن بي!!

عندما تمالكتُ نفسي اتصلتُ بأروى، ولكن أجابتني والدتها على الهاتف وعندما سألتُها عنها قالت بصوت حزين:

ـ أروى مريضة يا نور، لقد دخلت في حالة نفسية بسبب وفاة سعاد، وهي تصرخ كل ليلة كالمجنونة حتى إنها حاولت الانتحار

ـ ألم تخبركم ما بها؟

سمعت بكاء والدتها وهي تقول:

ـ بصراحة لم أفهم ما كانت تقصده، ولكنها كانت تتحدث عن الجن وأن سعاد قامت باستدعاء جني تزوجَ منها

أحسست بحرارة تصعد إلى صدري ووجهي عندما قالت ذلك، فسألتها:

ـ هل أستطيع زيارتها؟ هناك أمر مهم أريد أن أحدثها بشأنه، وربما يخفف حالتها

ـ نعم يا عزيزتي أرجوكِ افعلي، فلربما عندما تراك تتحسّن حالتها

ذهبتُ إلى منزل أروى فاستقبلتني والدتها التي كانت تبدو شاحبة الوجه وقالت:

ـ للتو استفاقت بعد كابوس وأخبرتني أن هناك شخصاً يعاشرها في كوابيسها لا تستطيع رؤيته بشكل واضح ويخيفها!! أنا خائفة من أن تفقد عقلها

ربتُّ على كتف أم أروى وصعدت إلى غرفتها فوجدتها تبكي، وعندما انتبهت إليّ احتضنتني وازداد نحيبها وهي تقول:

ـ خلّصيني منه يا نور، أرجوكِ افعلي أي شيء، وافقي على الارتباط به إنه يهددني

حدقت إلى وجهها بدهشة وقلت:

ـ أنا أيضاً أتعرض إلى نفس الأمر يا أروى.

ـ لكنه يريدك أنتِ ويهددني بالقتل إن لم توافقي على الارتباط به

فتحت عيني بدهشة ثم سمعت هاتفي يرن، وعندما نظرت إلى المتصل رأيت اسم منال

ـ أهلاً منال كيف حالك؟

لم يكن صوت منال، بل والدتها التي كانت تبكي وتقول:

ـ نور أرجوكِ وافقي على الارتباط به، إنه يعذب منال أيضاً

ثم تغيّر صوتها ليصبح خشناً ومخيفاً وأخذ الصوت يهددني قائلاً:

ـ وافقي وإلا قتلتها كما فعلث بسعاد

وانقطع الاتصال!! نظرث بدهشة إلى هاتفي وازداد تعرق جسدي وضربات قلبي، فقررت الاتصال بمنال مجدداً، ولكن عندما ردت سألتها:

ـ هل قامت والدتك بالاتصال بي قبل قليل؟

ـ كلا ولماذا تفعل أمي ذلك؟!

ـ والدتك اتصلت بهاتفي قبل قليل، وقالت: وافقي على الارتباط لأنه يعذبكِ أيضاً!!

توقفت منال عن الحديث، ولكنها قالت بعد برهة:

ـ أمي لم تتصل، وأرجوكِ لا تزعجيني مجدداً، وأتمنى أن تقطعي علاقتك بي نهائياً.

ثم أغلقت الهاتف قبل أن أكمل حديثي معها!!

لم نجد أي تفسير لما حدث، وظللت أنا وأروى في حالة ذهول

وصمت حتى قالت:

ـ ربما منال أيضاً تعاني ولكنها لا تريد أن تعترف بذلك وخائفة من الحديث عنه معنا

ـ ماذا سنفعل الآن؟ وكيف نتخلص منه؟

بكت أروى وأخبرتني بكل ما يفعله معها في كوابيسها مما جعلها تشعر بالخجل حتى من إخبار والدتها بكل التفاصيل

ـ أحياناً أراه بشكل حيوانات غريبة ومشوهة، ويتحدث معي ويهددني بالقتل لأنكِ ترفضينه

شعرت باختناق غريب وبألم في صدري وكأنّ هناك من يعتصر قلبي. بينما أروى تتحدث لم أكن أسمع ما تقول وكأنها تتحدث معي عبر نفق بعيد وأنا أبتعد عنها ولا أكاد أسمعها!! أخذت ألهث وأمسح العرق عن جبيني، وفجأة انطفأت الأنوار في غرفة أروى، وشاهدنا غطاء سريرها يرتفع إلى الأعلى وكأن أحدهم كان مستلقياً بالقرب منها. فأخذت أروى تصرخ وهي تقفز من فوق السرير حتى ارتطمت بي من دون أن تقصد بسبب الظلمة، فسقطنا سوياً على الأرض. وعندما نهضنا عاد الضوء مجدداً ودخلت والدة أروى وهي في حالة دهشة.

ـ ما بكما؟ لماذا تصرخان هكذا؟

كنا نلهث ونحن ننظر إلى بعضنا بعضاً، ثم التفتنا سوياً إلى السرير ولم نجد أي شيء!! أخبرناها بما حدث وبما رأينا، ولاحظنا الذعر على وجهها وقالت:

ـ منذ متى وأنت ترين ذلك يا أروى؟

شعرت أروى بالخوف لأنها لا تريد أن تخبر والدتها بما قمنا به تلك الليلة مع سعاد، ولكن أنا لم أستطع كتمان الأمر أكثر فقلت لأم أروى:

ـ قبل أن تتوفى سعاد قمنا باستدعاء لأحد الجان

شهقت بذعر ولطمت وجهها وقالت:

ـ لماذا فعلتنّ ذلك؟ وهل تعلم والدتكِ بما حدث يا نور؟

أنزلت رأسي بخجل وقلت:

ـ كلا لم أخبرها، لقد كنت خائفة من ردة فعلها

وبسرعة أمسكت أم أروى بالهاتف، وقامت بالاتصال بأمي وأخبرتها بكل شيء.

لم يمر الأمر بسلام فقد وبّختني أمي عندما وصلت إلى منزل أروى، وكادت أن تضربني إلا أن والدة أروى قد منعتها وقالت لها:

ـ لا فائدة من الضرب الآن يا أم نور، يجب أن نجد حلاً يخرجهن من هذه المشكلة قبل أن تتفاقم.

أخذت أمي تبكي وهي تنظر إلي بعتاب ثم قالت:

ـ وكيف نفعل ذلك؟ نحن لا نعرف ماذا فعلنَ وما الذي يريده منهن!؟

تشجعت أروى حينها وقالت:

ـ تجمّعنا في قبو منزلنا واستدعيناه بلعبة اسمها شارلي شارلي... كان مجرد تحدٍّ بين نور وسعاد وأنا ومنال شاركنا فيه أيضاً

لاحظتْ نظرات أمي وهي تسأل:

ـ وما الغرض من التحدي؟

أجبتها وأنا أرتجف:

ـ لأنني أنكرت مسألة زواج الإنس من الجن، وسعاد كانت مصرة أن الأمر حقيقي ويمكن حدوثه.

شهقت أمي وضربت رأسها بحسرة:

ـ أنتنّ مجنونات!! ما دخلكنّ بهذه المسائل؟ ألا تعرفن ما الذي يمكن أن يحدث لكنّ لو قرر جني الارتباط بكن!؟ هذا يسمى بالمس العاشق وهو أمر خطير

قالت أروى:

ـ سعاد كانت تعتقد أن الأمر كما في الروايات التي نقرؤها، وأنه يأخذنا إلى عالمه ونعيش بسعادة وننجب أطفالاً مميزين

لم أستطع النظر إلى وجه أمي، فصوت شهيقها ودموعها يكفيني، قالت والدة أروى:

ـ ما تقرأنهُ في القصص مجرد خيال لا علاقة له بالواقع، فلهم عالمهم وخصائصهم ولا يمكن الارتباط بهم كما البشر أبداً، وعواقب الدخول إلى ذلك العالم وخيمة جداً.

قاطعتها أمي وهي تصرخ بغضب:

ـ قد يتحكم ذلك الجني بأجسادكنّ حتى يتغلغل إلى أرواحكن وعقولكن، وربما يتسبب لكنّ بالجنون.

رفعت رأسي حينها، فأكملت أمي قائلة:

- ولن يخرج حتى يسلب الروح منكن بأي طريقة، وسلبه للروح ليس زواجاً ولا ارتباطاً بل هو استحواذ!

فجأة انتفض جسد أروى وأخذت تتلوى وتصرخ بهستيريا وتحاول أن تمزق ملابسها فأمسكناها بصعوبة، وعندما حملتها والدتها بمساعدة أمي لإخراجها من الغرفة أغلقَ الباب وحده فجأةً، فحُبسنا في الداخل!! شعرت أن هناك من يخنقني ولم أعد أستطيع التنفس، وبينما أمي ووالدة أروى منهمكتين في محاولة فتح الباب رأيت ظلاً أسود يتشكل فوق سرير أروى التي كانت مطروحة على الأرض، فأخذت أنظر إليه وقد عُقد لساني وثقل، وشعرت أن الزمن قد توقف وأنا أنظر إليه يتشكل حتى أصبح أكثر وضوحاً. ورأيته بكامل هيئته المخيفة يقف أمامي وينظر إليّ بغضب. حاولت قراءة آية الكرسي ولكن لم أستطع، حاولت الالتفات إلى أمي ومناداتها وأيضاً لم أستطع، وعندما أردت الابتعاد عنه أحسست كأنّ قدميّ مغروستان في الأرض ولا أقوى على رفعهما وكأنني أغوص في الأرض!! فلم يكن أمامي سوى النظر إليه وانتظار ما سيحدث لي. فرأيته يفتح فمه على اتساعه وكأنه قد تمزق لتظهر أنيابه التي كانت كأنياب الخنازير البرية، ثم اقترب مني بطريقة سريعة حتى أصبح وجهه ملاصقاً لوجهي وهو يفتح فمه الواسع وأنا أنظر إليه بلا حول ولا قوة!! وفجأة سمعت صراخاً قوياً صمّ أذني وشعرت أنّ يداً تربّت على وجهي و...لا أعرف بعدها ماذا حدث لي!!

- (الحي القيُوم لا تأخذهُ سنةٌ ولا نوم....)

كنت أسمع صوت أمي وهي تردد آية الكرسي، ولكن كان صوتها ضعيفاً جداً ويختفي بين الحين والآخر ويحل محلّه صوت دقات قلبي المتسارعة

ـ (من ذا الذي يشفع...)

حاولتُ جهدي أن أردد معها لكن لم أستطع، فقد كنت في حالة خدر وثقل في جميع أعضاء جسدي وأشعر بتنمل غريب في رأسي مع إحساس بالهدوء، فأغلقت عيني واعتقدت أنني قد فارقت الحياة.

فجأة تغيرت حالة الهدوء وأصابتني حرارة قوية وكأنني أقف وسط النيران، وأخذت دقات قلبي تتزايد حتى إنني كنت أسمعها في أذني. وعندما فتحت عيني وجدت نفسي في قبو منزل أروى ولكن المكان ليس كما أعرفه أبداً!! فقد كان قذراً ومتهالكاً وكأنه منزل مهجور. ولاحظت وجود ظلال سوداء تتحرك في كل مكان ويحاول أصحابها أن يحيطوا بي وأنا أحمي نفسي منهم، ولكني رأيت أروى وسعاد ومنال يدخلن إلى القبو وخلفهنّ أنا وكأني أشاهد إعادة لما حدث بيننا سابقاً!! جلسنا على الأرض فقالت سعاد:

ـ أنا من سأقود الحديث، وهذه الورقة ستشير إلينا برد الجني الذي سيكون معنا في الجلسة.

ـ ستكون الإجابة بنعم أو لا فقط، مثل لعبة شارلي شارلي؟

ـ نعم يا منال، فليس لدينا لوح الويجا ليسهّل الحديث معه.. ولكن نحن نريد فقط أن نثبت لنور أن الارتباط وارد بين الإنس والجن..

أخرجت سعاد من جيبها ورقة وقالت:

ـ لدى والدي كتاب فيه طريقة الاستدعاء، وأنا كتبتها هنا في ورقة وسوف أتلوها بنفسي. ولكن عليكنّ أن تغلقن أعينكنّ بينما أنا أقرأ، اوه هناك شرط لم أنتبه إليه أيضاً، وهو وجود الدم في منديل تحت الورقة.

وفجأة وبينما سعاد تقرأ الورقة أخذت تلك الظلال تقترب منا وأحاطت بنا وغشتنا بشكل كامل حتى إنني لم أعد أستطيع أن أراهن، ولكن كان هناك أحد الظلال يقف خلف سعاد وينظر إليّ أنا فقط من دون أن يتحرك كالباقين!! ثم رأيت نفسي أفتح عيني وأبادله النظر خلسة أثناء قراءة سعاد للتعويذة. وعندها انطفأت الشموع وأصبح المكان مظلماً وعندما أضيء فجأة وجدته يقف أمامي وجهاً لوجه بفمه الواسع وبلسانه المشقوق وأخذ يصرخ بصوت كالرعد قائلاً:

ـ أنتِ من جعلني أقع في عشقكِ، لذا لن أتركك

صرخت بكل قوتي وأخذ جسدي ينتفض، وحاولت جهدي أن أتنفس، وبصعوبة فعلت ذلك وأنا ألهث وأبكي، وعندما فتحت عيني كانت أمي تقرأ آية الكرسي واستطعت سماعها بوضوح أخيراً.

أدركث حينها أنه سيحاول المستحيل كي يستحوذ على جسدي وعقلي وهذا ما حدث، فمنذ ذلك اليوم وبعد عودتي من المستشفى مباشرة بدأت الصراع معه في محاوله إنقاذ نفسي، وكان أول موقف عندما وقفت تحت الدش كي أستحم، فقد شعرت أن هناك شيئاً ما يلمس أقدامي صعوداً ونزولاً!! انتفضَ جسدي وأخذت أنظر إلى

ساقي لكنني لم أجد أي شيء سوى أنهما كانتا محمرّتين وكأنهما تعرضتا إلى حرارة شديدة، فظننت أن الماء الدافئ هو السبب، ولكن عندما وقفت أمام المرآة كي أسرّح شعري لاحظت أن هناك بخاراً متراكماً خلفي فظننتُ أنني لم أغلق صنبور المياه، وعندما التفتُ لاحظت أنه كان مغلقاً!! شعرت بالدهشة فالحمام قد امتلأ بالبخار ولم أعد أستطيع رؤية أي شيء حتى نفسي. ولكن استطعت أن أرى انعكاس وجهي في المرآه!! وعندما دققتُ النظر لاحظت أن هناك شخصاً ما يقف خلفي، فالتفتُ بسرعة ولم أجد أحداً سوى البخار المتراكم، وعندما أعدتُ النظر إلى المرآة مجدداً وجدت انعكاس وجهٍ مخيف يحدق إلى وجهي، فأخذت أصرخ بهستيريا وأنا أبحث عن الباب كي أخرج فسقطت عدة مرات على الأرض، وخرجت من الحمام وجسدي يرتعد وأنا أتألم جراء سقوطي وتعثري!! وسمعتُ صوت أمي خلفي:

ـ ما بك يا نور؟ لماذا تصرخين؟ ولماذا أنتِ عارية؟!

أسرعت بارتداء المنشفة وأشرت إلى أمي نحو الحمام بيد مرتعشة وقلت:

ـ هناك رجل داخل الحمام، لقد كان يراقبني

وبحذر دخلت أمي إلى الحمام، وأخذت تتلفت يميناً وشمالاً:

ـ لا يوجد أحد يا نور!!

لم يكن هناك أحد داخل الحمام، بل إن البخار الذي غطى المكان قد اختفى نهائياً!! فقلت لها وأنا أشير بيدي نحو الحمام غير مصدقة:

ـ صدقيني يا أمي، لقد رأيت انعكاس وجهه في المرآة، كان مخيفاً جداً

لاحظت الحزن على وجه أمي وهي تقول:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، يجب أن نتصرف بسرعة قبل أن يحدث لكما أي شيء أنتِ وأروى، لقد كنت أتحدث مع والدتها قبل قليل وأخبرتني أن ابنتها كانت تبكي وتضحك بشكل مخيف طوال الليل بعد خروجنا من منزلهم

أخذت أبكي وأنتحب، فاحتضنتني أمي وهي تبكي أيضاً وقالت:

ـ أعدكِ يا عزيزتي أننا سنتخلص منه، ولكن أرجوكِ ليكن هذا درساً لكِ ولا تتصرفي بحماقة في أمور لا تعرفين عنها أي شيء.

في المساء وبعد أن نام الجميع كنتُ أجلس وحدي في غرفتي وأحاول أن أشغل نفسي بمشاهدة التلفاز أو بمطالعة بعض الكتب، ولكن فجأة سمعت صوت شيء يقع على الأرض، وعندما التفتُّ كانت الشمعة المعطرة التي بالقرب من سريري قد سقطت على الأرض وتحطمت!! نهضت من مكاني وأخذت ألملم الزجاج وأمسح الأرض ولكن بدون قصد جرحت إصبعي، ولا أعرف لماذا جعلني منظر الدم أشتهي لعق إصبعي لتذوق طعمه وفعلت ذلك. وفجأة سقطت على الأرض فاقدة الوعي، وعندما فتحت عيني وجدت نفسي في مكان أشبه بالقصور ولكنه كان مهجوراً ورائحته خانقة، كما لاحظت أن جدرانه مغطاة بلون أحمر مائل إلى السواد وكأنها دماء!! وسمعت همهمات وأصوات هامسة بين الحين والآخر قرب أذني تصيبني بالقشعريرة. وعندما صعدت أدراج القصر تغيّر المكان

ووجدت نفسي وسط حفلة زواج لم أرَ فيها سوى ظلال سوداء تطوف حولي، وكنت أسمع أصوات الدفوف وكلمات غناء لم أفهم معناها وكأنه شريط تسجيل مسرع جداً.. وصوت الدفوف كان يزداد علواً واقتراباً مني، وعندما التفتُ رأيت رجلاً برأس يشبه رأس الكلب وله لحية كالتيس وأذنان تشبهان آذان الحيوانات، وبشرته سوداء محمرة كالجمر يجلس على كرسي ضخم وينظر إليّ بطريقة أخافتني، ثم رأيته ينهض من مكانه ويقترب مني، لكنني تراجعت إلى الخلف وقد شعرت أن جسدي ثقيل ولا أكاد أستطيع المشي أو الحركة. تلفتُ حولي أبحث عن أحد ليساعدني ولكن لم أجد سوى تلك الظلال السوداء تحيط بي وهي تقرع الدفوف.. ثقل لساني وعجزت أن أقرأ آية الكرسي واهتز بدني بقوة فأمسكَ بي ذلك الكيان، وأخذ يقرب وجهه المخيف من وجهي و....!!

- (لا إله إلا هو.. الحي القيوم)

صوت أمي من بعيد هو ما أعادني إلى الحياة مجدداً، ففتحت عيني وأخذت أتصرف كالمجنونة وقد حطمت أثاث غرفتي بشكل كامل ونشرت شعري ومزقت ملابسي!! وأدركت لاحقاً أنني كنت في صراع معه وهو يحاول أن يستحوذ على جسدي ليرتبط بي كقرينة...

لم تنتظر أمي حتى الصباح بل قامت بالاتصال بإحدى خالاتي وأخبرتها بكل ما حدث وهي في حالة من الخوف والذعر، بينما أنا مسجاة على الأرض ألهث وأرتعد حيناً وأضحك بهستيريا حيناً آخر، فسمعتها تقول:

ـ لا أعرف ماذا أفعل أو إلى أين أتوجه يا أختي، ابنتي ستضيع مني

ثم أخذت تبكي وتضرب رأسها بحسرة وهي تشرح لخالتي ما حدث لي، وبعد دقائق فقط وجدت أمي وأبي وخالتي يحاولون حملي وإيقاظي، وعندما استطعت فتح عيني حدقت إلى خالتي فتركت ذراعي وأخذت تصرخ وهي تبتعد عني. أما أمي وأبي فقد كانا يتحدثان من دون أن أسمع حديثهما بشكل واضح! وكأن هناك صفيراً قوياً في أذني يحجب السمع عني!! اقتربنا من باب الغرفة لكنني وجدته يبتعد عني فأخذت أضحك وأبكي وأسأل نفسي: لماذا الباب يبتعد وأنا أقترب منه؟! وضعني أبي على الكرسي ثم رأيته يحاول فتح الباب لكنه لم يستطع، فأخذت أضحك بهستيريا وخالتي تبكي وتولول وأمي تحاول الاتصال بأحد ما والباب لا يفتح مهما حاول أبي. ازداد المكان سخونة أو ربما أنا وحدي من كنت أشعر بالحرارة فقررت أن أخلع ملابسي، لكن أمي وخالتي حاولتا منعي فقمت بدفعهما بقوة حتى سقطتا على الأرض بينما أنا أمزق ملابسي وكأنّ ناراً تشتعل في جسدي.

انطفأت الأنوار فجأة وعمّ الظلام غرفتي، وأحسست أن هناك شيئاً ما يقترب مني من دون أن أراه، فأخذت أتلفت حولي حتى وقعت عيني على المرآة التي في غرفتي، ورأيت ذلك الجني ينظر إلي عبر المرآة ثم قال:

ـ أنتِ من أريد أن أرتبط بها

تراجعت إلى الخلف وأنا أرتجف بينما هو يقترب مني ببطء، فحاولت أن أتذكر الآيات التي اعتدت على قراءتها وترديدها ولكنني

نسيت ما اسم تلك الآيات!؟ فنظرت إلى وجه أمي وخالتي وأبي الذي كان ما يزال يحاول فتح الباب وأنا أحاول أن أتذكر، فسمعت ذلك الكيان يقول:

ـ فاتَ الأوان على الهروب، الآن سنرتبط وأثبت لك أن للجان سلطة على أجسادكم الضعيفة.

اقترب مني حتى التصقَ بي، وفتح فمه الواسع وظهرت أنيابه المخيفة، وازداد وجهه القبيح قبحاً ثم فجأة تذكرت:

ـ (الله لا إله إلا هو الحي القيوم.....)

وأخذت أردد الآية وأنا أغمض عيني متمنية أن يختفي كل شيء، أو يكون ما أراه مجرد كابوس فقط. ولكن عندما فتحت عيني وجدتُ نفسي في مكان آخر وأخذت أسمع قرع الدفوف وأرى تلك الظلال ترقص من حولي وأنا بينها أقف عارية وأبكي بضعف ويأس. ليتني لم أتحدّ سعاد، ليتني لم أطعها وأساعدها في استدعاء هذا الشيطان، ليتني أخبرت والدتي بكل شيء منذ البداية وطلبت مساعدة أهلي.. لكن الآن لا ينفع الندم فهذا الشيطان قد استحوذ على جسدي، وقريباً سيسطر على عقلي وروحي وسيسلبني إنسانيتي

ـ نور افتحي عينيكِ يا بنتي...

***

صوت قوي وكأنه قرع طبول يخترق رأسي، وحرارة غريبة تجتاح كياني جعلتني أفتح عيني لأجد امرأة غريبة تبكي وهي تجلس

بالقرب مني وتحتضنني فابتعدت عنها بسرعة، لكنها كانت تحاول الإمساك بي وشدّي نحوها فقمت بدفعها بقوة حتى ارتطمت بالحائط خلفها وهي تئنّ وتنتحب. ثم انقضّ عليّ رجل لا أعرف من يكون!! فنهضت مسرعاً ووضعت يدي على عنقي وأخذت أضغط بقوة.... لحظة!! من أنا؟! ولماذا يداي نحيفتان ولديّ شعر فوق رأسي وجسد هزيل؟!! أطلقت ضحكة قوية وشعرت بنشوة الانتصار، فقد أدركت أنني استطعت التحكم بجسد نور وسيطرتُ بشكل كامل على عقلها أخيراً...

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...

استدرتُ ناحية الصوت الذي كان يردد هذه الكلمات، فرأيت رجلاً يمسك بكتاب!! فعرفتُ مباشرة أنه سيقرأ القرآن ليحاول إخراجي من جسدها، فأخذت أضحك بسخرية وأنا أنظر إليهم وقلت وأنا أشد شعر نور وأغرز أظافرها في وجهها وجسدها كي أشوهها:

ـ لن أخرج ولن أتركها، إنها لي وحدي، ولا تستطيعون تخليصها مني

اقتربَ الرجل الغريب مني وهو يردد كلمات جعلتني أصاب بالغضب أكثر، وأحسست أن جسدي يحترق، فهجمتُ عليه وأخذت أغرز أظافر نور الحادة في وجهه وأنا أضحك، ثم تركته بينما جثا على الأرض وأخذ يئن، فقررت أن أهرب وأتسلق الجدران وأرى كيف سيستطيعون التخلص مني. وعندما فعلت ذلك كانت هناك سيدة تصرخ كالمجنونة وهي تطلب من نور أن تنزل، لكنني أخذت أضحك.. ثم قفزتُ على تلك السيدة الباكية فقام الرجل الآخر

بالإمساك بي، وكذلك ساعدته سيدة أخرى واستطاعا أن يقيداني إلى السرير. ازددتُ غضباً وحقداً فقلت لهم بصوت غاضب:

ـ لن أخرج، إنها لي وحدي

فرأيت الرجل قد اصفر وجهه، وحدق إلى وجهي بذهول قائلاً لي:

ـ من سلّطك عليها؟ ولماذا اخترتها؟

ـ هي من طلبت ذلك، لقد تحدّتني وحدّقت إلى وجهي بكل جرأة وأنا لم أستطع مقاومة نظراتها المغرية فنفذت إلى روحها

رحتُ أهتزُّ بقوة وحاولت جهدي أن أفك قيدي ولكن لم أستطع، فجسد نور هزيل وقد أضعفَ قوتي بداخلها ولكن... قررت أن أتلاعب بأعصابهم فأشعلت النيران في الستائر وأغلقت الباب بقوة عدة مرات، ثم جعلت الأنوار تهتز وتنطفئ وأنا أضحك بهستيريا بينما هم يصرخون بهلع. ثم رأيت امرأة أخرى تدخل إلى الغرفة وهي تحمل كتاباً وتعطيه للرجل الذي كان يتكلم معي، ورأيتهم يتحدثون همساً.. ثم قال الرجل موجهاً حديثه لي:

ـ اسمع، إن كنت تريد أن أحرقك وينبذك قومك فباستطاعتي أن أفعل ذلك بكل سهولة، ولكن لو خرجت بنفسك وتركتها وشأنها أعدك أنني لن أفعل شيئاً يؤذيك.

هل يهددني ذلك الأحمق؟ ألا يعرف من أكون!؟ قلت له:

ـ فك قيدي فأنا لا أخاف منك، وأعرف جميع الأمور الخبيثة التي قمت بها قبل أن تصبح ما أنت عليه الآن أيها.... الشيخ

وأخذت أضحك بصوت عالٍ والأنوار تضيء وتنطفئ، وزدت الأمر سوءاً عندما جعلت نور تضغط على أسنانها بكل قوتي حتى سالت الدماء من لثتها وتحطمت بعض أسنانها، فأخذت تلك السيدة تولول كالمجنونة وأنا أضحك وأهز رأس نور يميناً وشمالاً بشكل مضحك، ففتح الرجل الكتاب الذي كان يحمله وقرأ بصوت عالٍ

ـ عزمث عليك أيها.....

عندها أدركث أنني في ورطة، فأخذت أصرخ وأتلوى وأبكي حتى شعرت أن ضلوع نور قد تحطمت، فتوقف الرجل لبرهة ثم قال:

ـ هل تريد أن أكمل؟ أم أنك ستخرج بإرادتك؟

توقفت عن الحركة ورحت أنظر إلى وجوههم وأنا ألهث وتكاد روحي أن تخرج، وقلت باستسلام:

ـ سأخرج، ولكن بشرط

ـ تخرج بدون شروط أيها الكافر

شعرت باليأس، ولكن كيف سأتركها وشأنها بهذه البساطة؟! سيسخر مني قومي وسأكون منبوذاً بينهم، ولكن سأحتفظ على الأقل بمكانتي وقوتي، فاستسلمت وقلت:

ـ حسناً سأخرج بدون شروط، ولكن إن استدعتني مجدداً لن أخرج مهما حاولتم

ـ لا تقلق، لن تفعل ذلك، فقط اتركها بسلام

شعرث بحرارة جسدي وكأنها تهوي فجأة، فأخذت أنتفض وجسد

نور ينتفض بشدة معي وعيناها ترمشان وتختلجان وأنا أحاول أن أسلخ نفسي منها رغماً عني حتى أغمضت عينيها وانفصلتُ عنها وأنا ألهث من شدة الضعف والإنهاك، ثم التفتُّ لألقي عليها نظرة فوجدتها في حالة أقرب إلى الموت، وكان جسدها مشوهاً وشعرها منكوشاً وعيناها الجميلتان يحيط بهما السواد، وأظافرها قد اقتلعت، ثم فجأة انتفضت بكل قوتها وأخذت تتقيأ الدماء، وكتلٌ سوداء تخرج من أنفها وفمها فابتعدتُ عنها وعن عائلتها الذين كانوا يلتفون حولها ويتلون عليها من كتابهم المقدس.

***

فتحتُ عيني وأنا أشعر بالتعب وبالإرهاق وجسدي يؤلمني في كل جانب، رأيتُ وجه أمي الباكي وأبي الذي كان يقرأ القرآن وصديقتي أروى تستلقي بقربي ووالدتها تمسك بيدها. وأخذت أسأل نفسي: ما الذي حدث؟ ولماذا هم يبكون؟! هل أنا ميتة؟

- نور، هل أنتِ ابنتي نور؟

نظرتُ إلى أمي بحيرة وأجبتها بصوت متعب:

- نعم أنا نورا! ما بكِ يا أمي؟ هل نسيتني؟!

ازداد نحيبها وبكاؤها ثم احتضنتني وهي تحمد الله وتشكره. لاحقاً أخبرتني أمي بكل ما حدث، وكيف أن ذلك الجني حاول التحكم بجسدي، فنظرت إلى وجهي في المرآة وأنا أرى تلك الجروح وآثار أظافري على وجهي وأسناني متكسرة، فأخذت أبكي ندماً على ما اقترفتهُ بحق نفسي وبحق عائلتي.

بعد عدة أسابيع عدتُ إلى الدراسة، وكم كنت سعيدة لأن أروى بخير وكذلك منال، رغم أنها ابتعدت عنا ولم تعد من ضمن أصدقائنا ولا أعرف ما السبب!! فاستقبلتني أروى بالأحضان وأخذت تبكي:

ـ حمداً لله على سلامتكِ

ـ وأنتِ أيضاً يا أروى، أخبريني هل كل شيء بخير؟

تنهدت أروى ثم قالت:

ـ نعم الحمد لله لم أعد أراه ولا حتى في أحلامي، رغم أنني ما زلت أشعر بالخوف، لذا انتقلت أختي الكبرى للنوم معي حتى أتأقلم مجدداً مع حياتي الطبيعية، ماذا عنكِ؟

ـ كل شيء بخير أيضاً

التفتُّ إلى منال التي كانت تقف بعيداً عنا وسألت أروى:

ـ هل حاولتِ التحدث إليها؟

ـ نعم ولكنها رفضت وابتعدت عني.. لا أعرف لماذا منال تتصرف معنا بهذه الطريقة وهي تعلم تماماً أننا لم نجبرها على ذلك!؟

ربتُّ على كتف أروى:

ـ دعيها وشأنها، فلربما والداها هما من طلبا منها أن تبتعد عنا معتقدين أننا السبب فيما حدث، عموماً الحمد لله أن الأمر مرّ بسلام وانتهى

بعد عودتي من المدرسة جلستُ في غرفتي وأنا أحدق في الزاوية إلى ذلك الشيء المظلم الذي يحتلها، ولكن لم أكن خائفة منه، فأنا

أعلم أنه لا يستطيع أن يؤذيني الآن فسألته:

ـ ماذا تريد مني؟ ألم تخبر أبي وعائلتي أمام الشيخ إنكَ لن تعود ولن تضايقني؟

دخلت أمي فجأة، وسألتني بغضب:

ـ مع من كنتِ تتحدثين؟

ابتلعت ريقي بتوتر وقلت:

ـ لم أتحدث أبداً يا أمي، ربما كان صوت التلفاز فقط

التفتت أمي إلى التلفاز وقالت:

ـ إنه مغلق!! أخبريني مع من كنتِ تتحدثين؟

ـ أرجوكِ يا أمي، اتركيني وشأني

لم تناقشني أكثر بل تركتني وخرجت من دون أن تضيف أي كلمة، لكنني لاحظت الضيق على وجهها وكأنها تعلم ما أعانيه وأن ذلك الجني ما يزال يلاحقني ويتقرب مني، ثم أغلقت الباب فوجدتهُ خلفه ينظر إليّ:

ـ لم آتِ كي أستحوذ على جسدك مجدداً، بل كي أنذركِ وأحميكِ

ـ تحميني؟! ممّن؟

اقترب مني أكثر ورغم أنني لم أكن أراه بشكل واضح، بل بدا مجرد ظل أسود إلا أنني شعرت به يقف أمامي وسمعته يقول:

ـ من منال وأروى، إنهما تخططان لأذيتك

ـ أنت كاذب

ـ بل أنا صادق جداً، وأستطيع أن أثبت ذلك لكِ أيضاً، ولكن يجب أن تطيعيني

ابتلعث ريقي بصعوبة وسألته:

ـ ما الذي تخطط له أروى ومنال؟

ـ إنهما تنويان أذيتكِ وتشويه سمعتك بسبب ما حدث

ـ وما دخلي فيما حدث؟ من فعلت كل ذلك كانت سعاد ولست أنا!!

ـ سعاد ماتت، وأنتِ من قبلت التحدي

ـ لكنّهما شاركتا بإرادتهما، ولم أجبر أحداً على فعل شيء

ـ ولكن عندما رفضتني قمت أنا بإيذائهما كي تخضعي لي، وهما تعتقدان الآن أنكِ السبب فيما حدث، لذا عليك إطاعتي كي أحميكِ

فجأة دخل أبي إلى الغرفة، وأخذ يصرخ بغضب:

ـ لماذا تحدثتِ إليه مجدداً؟

لم أستطع أن أرد عليه، فاستمر بالصراخ في وجهي قائلاً:

ـ ألم أخبركِ إنكِ عندما ترينه أو عندما يحاول مهاجمتك حتى لو في الكوابيس فيجب أن تخبريني مباشرةً؟ لماذا تحدثتِ إليه؟ هل تعرفين خطورة ما تفعلينه؟!

حاولت أن أشرح لأبي قائلة:

ـ إنه لا يريد أن يؤذيني، بل سيساعدني ويحميني من أروى ومنال

ـ إنه يسخر منك ويريد العودة إلى جسدكِ أيتها الغبية، منال وأروى تخلصتا منه والآن لم يبقَ سواكِ. لذا يحاول أن يفرق بينكنّ ويجعلك تصدقينه كي يستحوذ عليكِ مجدداً

ثم دخلت أروى إلى غرفتي وهي تبكي وقالت:

ـ إنه كاذب يا نور، أنتِ تعرفين أن علاقتي بمنال انقطعت، وأقسم لكِ إنني لا أحاول أذيتكِ، بل هو من يريد أن يؤذيكِ مجدداً، أرجوكِ لا تصدقيه.

حدقت إلى وجهها وأحسست أنها كاذبة، وكأن شيئاً ما يحدثني إنها تدّعي محبتي كي تؤذيني، فأبعدتها عني وطلبتُ منها الخروج من الغرفة وأنا أصرخ:

ـ اخرجي ولا أريد أن تكوني صديقتي بعد اليوم، أنتِ هيَ الكاذبة

شهقت أروى بدهشة، ولكنها لم تحتمل أكثر فخرجت وهي تبكي ولحقتها أمي، أما أبي فأخذَ يحوقل ويضرب كفاً بكف، ثم تركني وأغلقَ الباب خلفه.

في الظلمة وجدتهُ مجدداً يقف في الزاوية وينظر إلي، فتجرأت واقتربتُ منه وقلت له بعد أن ابتلعت ريقي:

ـ ما الذي تريده مني؟

ـ أريد أن أحميكِ فقط

ـ أنا لا أريد حمايتكَ، أريدكَ أن تتركني وشأني فقط

ضحكَ بسخرية ثم قال:

ـ ستكتشفين الآن أن ما قلته صحيح بخصوص صديقتيكِ

وفجأة دخلت أمي واحتضنتني وهي تبكي وتعتذر قائلة:

ـ لقد كنتِ على حق يا نور، أروى كانت تنوي أن تؤذيك ومنال كشفتها على حقيقتها لنا وللجميع!!

أصبتُ بالدهشة وسألت أمي عما حدث، وكيف استنتجت ذلك فقالت لي:

ـ قبل قليل اتصلتُ أنا بوالدة منال وتحدثت معها عن كل ما جرى لكِ، في البداية لم تتجاوب معي ولكن عندما أخذت أبكي وأرجوها أن تتفهمني قالت لي: أبعدي أروى عن ابنتك، إنها منافقة وهذا هو السبب الذي جعل منال تبتعد عنهما

شعرتُ بالحيرة ولم أفهم ما تعنيه، فأكملت أمي:

ـ أروى كانت تتحدث بسوء عنكِ عند سعاد قبل موتها وكذلك عند منال، وبعد موت سعاد أخبرتها إنكِ أصبحتِ مجنونة وتعاشرين الجن

شهقتُ غير مصدقة، فأروى صديقتي منذ أكثر من خمس سنوات وأعرفها قبل منال وسعاد، فكيف تفعل ذلك بي وتتحدث بسوء عني!؟ أردتُ أن أتصل بها ولكن أمي منعتني قائلة:

ـ الوقت متأخر أولاً، ثم إنها ستنكر كل ذلك، ولكنّ لدى أم منال إثباتات ورسائل بينهنّ.. وكذلك لديها هاتف سعاد الخاص ولا أعرف كيف وصل الهاتف إلى أم منال!! لكنها أقسمت لي بذلك وأخبرتني

إنني إن أردتُ أن أتأكد بنفسي فإنها ستثبث ذلك لي، وستأتي لزيارتي غداً.

بعد أن خرجت أمي من غرفتي وجدته مجدداً يبتسم لي بسخرية وقال:

ـ هل صدّقتِ الآن؟

لم أستطع أن أتحدث، بل تسمرت في مكاني غير مصدقة لما أسمعه، ثم قلت له:

ـ لماذا تفعل ذلك؟ ما غرضكَ من كل هذا؟

ـ أريد أن أقنعكِ بأنني أعشقكِ حقاً

فتحث عيني وفمي بدهشة، ثم أخذت أضحك كالبلهاء

ـ تعشقني!!؟؟ لا يبدو أن ما فعلته بي هو دليل الحب!! لقد دمّرتَ حياتي وتسبّبتَ بمقتل صديقتي وفرّقت بيننا، وشوّهت وجهي وجسدي، وجعلتَ أهلي في حالة من الخوف والقلق... عن أي عشق تتحدث؟!!

فجأة تشكّل ذلك الكيان الأسود أمامي على هيئة رجل غاية في الجمال والوسامة وهو يقترب مني، حتى وقف أمامي مباشرةً وقال بصوت حسن:

ـ أستطيع أن أكون ما تريدين وأحقق لكِ أمنياتك وما ترغبين به، فقط اخضعي لي

ازدادت دهشتي؛ فالرجل الواقف أمامي رغم جماله وحسنه إلا أنّ

هناك ما يعيبهُ، فقد وجدت منه رائحة نتنة أشبه برائحة البول قد خنقتني، فابتعدت عنه بنفور وقلت:

ـ لن أكون لك، ولن أخضع فالحب لا يعني الخضوع.. ثم إنكَ من عالم مختلف عن عالمي وارتباطنا يعني هلاكي!

عاد إلى مظهره كظل أسود ثم قال:

ـ حسناً ما دمتِ مصرّة على عنادك وتجاهلك لي فأنا أيضاً مصر على البقاء حولك، ولن أبتعد عنكِ. ولكن أعدكِ أنني لن أؤذيكِ أبداً، ولن أحاول الاستحواذ على جسدك.

لم أستطع النوم تلك الليلة، ولكن في اليوم التالي عندما زارتنا والدة منال وأخبرت أمي بكل شيء وجعلتها ترى المحادثات بين منال وسعاد وأروى، شهقتُ بدهشة وقلت:

ـ إذن جميعهنّ يكرهنني؟! لماذا؟

تنهدت والدة منال وقالت:

ـ أنتِ كنت صديقة أروى، وعندما تعرفتِ بمنال وسعاد أحست أروى بالغيرة، فهي تريدك صديقة لها فقط، وقررت أن تفسد علاقة الجميع بكِ، خصوصاً بعد مسألة تلبُّس الجني بكِ.

شعرتُ بالضيق وأخذت أبكي، فاحتضنتني أمي وقالت:

ـ لا تحزني يا بنتي هذه مجرد صداقة تتعوض إن شاء الله، المهم أنكِ بخير الآن.

أردتُ أن أخبرها إنني لست بخير، ولم أعد أثق بأحد، ولكنني

لم أفعل وعدت إلى غرفتي وأنا أبكي وأشعر بالحزن لأنني كنت مخدوعة بصديقاتي طوال الوقت من دون أن أشعر. وعندما رفعت عيني وجدته ينظر إلي فقلت بغضب:

ـ ماذا تريد مني؟ اتركني وشأني واخرج من عالمي

ـ والدكِ وجد عريساً لك وسيأتي لخطبتكِ بعد أيام، لا توافقي على الزواج منه

ـ كيف عرفتَ ذلك؟

ـ هذا غير مهم، المهم هو أن لا توافقي على هذا الارتباط

صحتُ بغضب:

ـ بل سأوافق، من أنتَ لتتحكم بحياتي؟

عندها تحرّك نحوي وقال بصوت غاضب:

ـ إذن سأدمّره وسأجعله يهرب منكِ كالمجنون، سأجعله يراك بصورة مخيفة.. ربما أجعله يراكِ كخنزيرة أو ككلب أسود، أو ربما أتلبّس جسده أيضاً وأجعلهُ يقتل نفسه أو يصاب بالجنون.

ـ إن فعلتَ ذلك ستندم، وسأطلب من الشيخ أن يأتي مجدداً

عندها أخذ يضحك بسخرية:

ـ شيخكِ لا يستطيع فعل أي شيء ما دمتُ أنا خارج جسدك، لذا لا تفكري بهذا الحل

خرجتُ من الغرفة، وذهبتُ إلى أبي وقلت لهُ مباشرة:

ـ أنا موافقة على أي رجل يأتي لخطبتي

حدّق أبي إليّ بدهشة، وكاد أن يتكلم، لكنه توقف فقلتُ له:

ـ أعلمُ أن هناك من تقدّم لخطبتي، وأنكَ تريدني أن أوافق، وأنا موافقة على الزواج حتى من دون أن أعرف من هو العريس.

ولكن لم يأتِ الخاطب بل غيّر رأيه بدون سبب!! ولا الخاطب التالي ولا الثالث أو الرابع والخامس!! كلهم غيروا رأيهم قبل إتمام الخطبة بدون سبب واضح، فقط كانوا يقولون:

ـ لا يوجد نصيب يا أبا نور، ونتمنى السعادة لابنتك.

مرت السنوات وتزوجت أخواتي وكذلك إخوتي وأنجبوا الأولاد وأنا بقيت وحدي مع والدي في المنزل أنتظر أن تحدث معجزة تغيّر حياتي، أو أن يملّ ذلك الجني مني ويختفي. وفي أحد الأيام رأيتُ ظله الأسود مستلقياً على سريري، فاقتربت منه وقد اعتدتُ على وجوده ولم أعد أخاف منه وقلت:

ـ متى ستشعر باليأس وتغرب عن وجهي؟

ـ لا أعلم يا نور ولكن أنا مرتبط بك ولا أستطيع أن أتركك، وأنتِ تعلمين أن مهمتي هي حمايتك فقط.

ابتسمت بسخرية وجلست بالقرب منه وأنا أفكر بنفسي وبسوء الحظ الذي يلاحقني بسبب هذا المخلوق، وبعذاب أبي وأمي في كل مرة يَريان فيها حياتي تزداد تعقيداً. فقلت لنفسي: لمَ لا أخلصهما مني ومن الشقاء الذي يعيشانهِ بسببي؟ عندها سحبتُ نفساً عميقاً وقلت له:

ـ أنا موافقة.

تشكّل مجدداً على هيئة رجل، وابتسم لي بسعادة فأكملت:

ـ ولكن لن أعيش هنا، بل في عالمك

اختفت الابتسامة من وجهه، وقال بحرج:

ـ لقد تمّ نفيي من عالمي، ولا أستطيع العودة إلى قبيلتي

ـ إذن عرفت الآن لماذا أنت تلاحقني، لأنك أصبحتَ منبوذاً بعد كل تلك السنوات، حسناً.. إذا ارتبطتُ بك أينَ سنعيش؟

ـ في أحد الأودية.. هناك مكان مناسب لي ولكِ لا يسكنه بشر، ويهابه الجن أيضاً

ـ إذن من يعيش فيه؟

أجابني بعد تردّد خوفاً من رفضي:

ـ لا أعرف، ولكنهم جنس مختلف من المخلوقات لا ينسجمون معنا أو معكم

لم يكن أمامي خيار آخر، وفي إحدى الأمسيات ودّعت أمي وقبّلتها وكذلك أبي، كانا يعتقدان حينها بأنني سأخرج كي أرفّه عن نفسي قليلاً وأعود، ولكنني خرجت من منزلهما ولم أعد مجدداً، وذهبتُ معه إلى ذلك الوادي.

مرّ الآن أكثر من أربعين عاماً وأنا أعيش معه في هذا المكان المقفر، وكل من يمر بالوادي صدفة يعتقد أنني من الجن فيفر هارباً وهو

يبسمل ويحوقل، وأنا أضحك بسخرية.

البناية رقم 639

طلبتُ منها ألا تتصل بي مجدداً، وأخبرتها قائلة:

ـ ابحثي عنه، ربما تجدينه لدى إحدى عشيقاته.. أنتِ تعرفين أن علاقتي بابنكِ قد انتهت منذ أن تطلقنا، فلماذا تتصلين بي بحثاً عنه؟!

أجابتني وهي تبكي:

ـ لأنه يحبكِ

ما هي القصة؟!

فقدتُ كل شيء، منزلي وأحلامي الجميلة وحياتي الهادئة، ولم أستطع تأمين مكان أفضل من هذه الشقة الصغيرة التي انتقلت إليها بعد طلاقي من رائد. هل أنا مخطئة وقد تسرعت في الطلاق؟ في الحقيقة لا أعلم ولكن ما أعلمه جيداً هو أنني لا أستطيع العيش مع رجل يخونني ويسرق أموالي ثم يأتي ليمثل دور الضحية ويعتذر وهو يبكي كالأبله. لقد مللت من كل هذا وأصبحت حياتي مليئة بالشكوك والحيرة وعدم الثقة، فكيف سأثق برجل قد حوّل حياتي إلى جحيم لا يطاق!؟ تنهدت بضيق وأنا أتذكر كيف قلت له بكل جرأة: طلقني! وكيف كانت ردة فعله المتفاجئة، فهو يعرف أنه لا سند لي في هذه الدنيا بعد وفاة أبي وأمي، أما إخوتي فكل منهم مشغول بنفسه. كما أنني أخاف أن أخبرهم فلا أجد سوى الشماتة ونقل الأحاديث والنميمة بين زوجاتهم، لذا قررت أن أقوم بكل شيء بنفسي، وأن لا أنتظر المساعدة من أحد.

قمتُ ببيع جميع مجوهراتي واستأجرت شقة صغيرة مكونة من غرفة واحدة فقط، وكان إيجارها زهيداً وتقع في الطابق الثاني من بناية قديمة جداً تكاد تبدو مهجورة، كما أن المؤجر كان كريماً معي وخفّض لي من قيمة الإيجار أكثر عندما علمَ بظروفي وأخبرته أني قد انفصلت عن زوجي حديثاً، وقبلَ بأول مبلغ اقترحته من دون أن يزيد عليه قائلاً لي:

ـ المهم أن يعجبك المكان وتشعري بالراحة فيه، فهو كما ترين قديم جداً

بعد هذه الخطوة طلبتُ الطلاق، ورغم معارضة إخوتي ورفض رائد زوجي الذي كان يرجوني ويبكي كالأطفال قائلاً:

ـ أرجوك يا سارة لا تتركيني، لا أطيق الحياة بعيداً عنك، سامحيني ولنبدأ من جديد.

إلا أنني لم أهتم ولم أتنازل عن موقفي، خصوصاً بعد أن أخبرتني إحدى صديقاتي أن زوجها شاهد رائداً برفقة سيدة جميلة جداً في أحد المقاهي. ذلك الأبله كان يحرمني من التزين والخروج من المنزل وحدي بحجة شعوره بالغيرة، بينما هو يتنقل من فتاة إلى أخرى وكأنه مراهق.

والآن بعد أكثر من شهر تقريباً تم الطلاق وانتقلت إلى شقتي الصغيرة متمنية أن أعيد بناء حياتي بنفسي والاهتمام بصحتي بعد أن استنزف رائد كل طاقتي. لم يكن المبنى قديم فقط ومتهالك، بل إنه كان مظلماً أيضاً، ولم أرَ أي أنوار عبر النوافذ في الشقق الأخرى!! لكني لم أهتم فلربما سكانه نائمون خصوصاً أن الوقت متأخر جداً،

فشغلت نفسي بترتيب المكان ثم أعددت لي طعام العشاء وجلست على الأرض أتناوله، فأنا لم أستطع شراء شيء من الأثاث سوى سرير ودولاب ملابس فقط، حتى إنني لا أملك تلفازاً، فأخذت أتصفح مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات التوظيف لعلّي أجد وظيفة جيدة أستطيع بها أن أؤمن نفسي. فجأة سمعت طرقاً على الباب فنهضت من مكاني معتقدة أنه أحد الجيران أو ربما المؤجر جاء ليتأكد من وصولي، فسألت قبل أن أفتح الباب:

- من الطارق؟

لكن لم يرد أي أحد!! فعدت إلى مكاني وأكملت تناول طعامي بصمت، ثم فتحت أحد الكتب وأخذت أقرأ كي أشغل نفسي عن التفكير بمصيري وحدي هنا، ومن شدة الإرهاق غفوت على الأرض.

فجأة سمعت طرقاً قوياً فنهضت مفزوعة وأخذت أتلفت حولي، ثم نظرت إلى هاتفي لأعرف كم الوقت فشعرت بالحيرة! فمن سيأتي لزيارتي في هذا الوقت المتأخر؟ إنها الساعة الثانية فجراً!! نهضتُ بتكاسل واقتربت من الباب وقلت:

- من الطارق؟

لكن لم يرد أي أحد!! حينها شعرت بالفضول وقررت أن أفتح الباب قليلاً لأتأكد من عدم وجود أحد خلفه، وبحذر وببطء فتحت الباب لأجد ممر البناية خالياً تماماً ومظلماً ولا أحد خلف الباب!! أخذ عقلي يبحث عن سبب منطقي قبل أن يقفز به الخوف إلى موضوع الأشباح والجن فقلت لنفسي: ربما هم أطفال الجيران قد قرروا أن يتسلوا بطرق الأبواب ثم يهربوا، لكنها الساعة الثانية فجراً وجميع

الأطفال نائمون كما أظن!؟ ربما لأنها ليلة الجمعة وهناك الكثير من الأشخاص يسهرون حتى هذا الوقت المتأخر. وربما كان الطرق على الجدران وليس على الباب. هل أصدق منطق عقلي أم أبدأ بتخيل وجود أشباح في الشقة؟ استعذتُ بالله من الشيطان الرجيم ثم ذهبت إلى غرفتي وقررت أن أكمل نومي وأتجاهل ما يفكر به عقلي.

في اليوم التالي صباحاً انقطعت المياه في الشقة، فاضطررت إلى الاتصال بالمؤجر، فأخذت أبحث عن رقم هاتفه. وجدتُ رقماً مسجلاً على جدار البناية باسم السيد منذر، فقمت بالاتصال به وأخبرته بما حدث فقال مطمئناً:

ـ لا تقلقي يا سيدتي، سيعود الماء مجدداً

ـ لكنه مقطوع منذ الصباح، وأنا يجب أن أخرج من المنزل الآن

ـ اذهبي للاستحمام في الشقة رقم ثمانية، إنها خالية

قلت بدهشة:

ـ ولماذا لا تأتي لتصليح العطل؟

ـ اذهبي إلى وجهتكِ وأعدكِ أنكِ عندما تعودين سيكون الماء قد عاد، وإن لم يكن كذلك فأنا سآتي لإصلاح العطل.

سحبتُ نفساً عميقاً متمنية أن لا تحدث مشاكل أخرى، وقررت أن أذهب إلى الشقة ثمانية كي أستحم بسرعة وأعود إلى شقتي، وعندما خرجت من الغرفة وقبل أن أدخل إلى الشقة رأيت سيدة تبدو في الثلاثين من عمرها ذات جسد ممتلئ قليلاً برفقة ابنتها تخرج منها وهي تلف شعرها بمنشفة، وعندما انتبهت إلى وجودي

ابتسمت بحرج وقالت:

ـ صباح الخير، هل الماء مقطوع عندك أيضاً؟

ـ نعم، وقد أخبرني المؤجر أن آتي إلى هذه الشقة للاستحمام.

ـ في أي شقة تقيمين؟

ـ شقة رقم سبعة، وأنتِ؟

ـ رقم عشرة.. تشرفت بمعرفتكِ، أنا مارية وهذه ابنتي لينا، وأنتِ ما هو اسمكِ؟

ـ أنا سارة وأقيم وحدي.

ثم سألتها بعد تردد:

ـ هل طرق أحدهم باب شقتكم البارحة بعد منتصف الليل؟

قطبت مارية حاجبيها وهي تفكر ثم قالت:

ـ لا أعتقد ذلك ، لماذا تسألين؟

ـ لا لشيء، كنت أسأل فقط، والآن اعذريني سأذهب لأستحمّ وربما ألتقي بك في وقت لاحق إن شاء الله.

دخلث إلى حمام الشقة وتأكدت من إقفال الباب جيداً، وحاولت أن أسرع في استحمامي، فلربما أحدهم يحتاجه أيضاً، وبعد أن انتهيت وخرجت من الحمام أفزعني وجود رجل وزوجته وطفلتين إحداهما كانت تبدو في العاشرة والأخرى أصغر بقليل يقفون خلف الباب وكأنهم ينتظرون الدخول، فقلت بخجل وأنا أضع يدي على شعري

المبلل:

ـ أنا أعتذر، لم أكن أعلم أنّ هناك أحداً ينتظر!

كانوا ينظرون إليّ نظرات حادة من دون أن يبتسموا فاستأذنت منهم، وقبل أن أخرج قالت الطفلة الكبيرة:

ـ لا تعودي مجدداً إلى هنا

التفتُّ إليها وأنا أشعر بالصدمة وقلت:

ـ لكن المؤجر هو من سمح لي بذلك.

ظلوا يحدقون إليّ من دون أن يتحدثوا، فخرجت من الشقة وأنا أشعر بالخجل والحيرة، وأسأل نفسي: يا ترى، هل هم أصحاب الشقة؟ إذن كيف سمح لي المؤجر بدخولها والاستحمام؟ وكذلك سمح للسيدة مارية وابنتها؟! الأمر كان محيراً جداً، ولكنني نسيت كل شيء عندما وردني اتصال من والدة طليقي:

ـ سارة أرجوكِ، أخبريني أين ذهب رائد؟

ـ لماذا تسألينني عن مكانه؟! أنتِ تعلمين بأمر انفصالنا، فما أدراني أين هو؟

أخذت والدته تبكي، ثم قالت:

ـ لقد مضى أكثر من ثلاثة أيام على اختفائه.

ضحكتُ بسخرية وقلت:

ـ اختفاؤه!؟ هل هو طفل حتى يختفي؟ أنا متأكدة أنه سافر إلى

إحدى عشيقاته اللواتي يتحدّث إليهن عبر السناب شات، أو ربما وجد له عشيقة جديدة ونسيَ نفسه معها.

ـ أعرف أن ابني قد آذاكِ كثيراً وتسبّب لكِ بالمتاعب...

قاطعتها:

ـ لقد انتهى كل شيء بيني وبينه، وأرجوكِ لا تعاودي الاتصال بي كي تسأليني عنه، وسأقوم بتغيير رقم هاتفي حتى أقطع كل علاقة بكما، لذا اخرجي من حياتي أنت وابنك.

أقفلت الهاتف وأخذت أبكي من شدة الغضب والقهر، ولكني سمعت صوت الباب يطرق!! فرفعت رأسي ومسحت دموعي وناديت بصوت عالٍ:

ـ من الطارق؟

لم يجبني أحد! ثم سمعت الطرق مرة أخرى فأسرعت نحو الباب وفتحته مباشرة، ولم يكن هناك أي أحد يقف خلفه!! لكنني رأيت جارتي مارية تطل برأسها من باب شقتها وتتلفت حولها فسألتها:

ـ هل تحتاجين إلى مساعدة؟

لكنها لم تلتفت إلي وكأنها لا تراني!! فأعدتُ السؤال مجدداً، ثم رأيتها تعود إلى داخل شقتها وتغلق الباب!! يا ترى هل هي من كانت تطرق الباب ثم تفر هاربة؟ لكن لماذا ستفعل ذلك؟ أغلقت الباب خلفي وقررت ألا أفكر بالأمر كثيراً، فيجب أن أذهب إلى الشركة التي قمت بالتقدم بطلب العمل إليها من أجل إجراء المقابلة ولا أريد أن أتأخر أكثر، لماذا هذا الممر مظلم دائماً؟ آه.. لقد نسيت علبة البنزين

في سيارتي، يجب أن أعيد تعبئتها فلربما أحتاجها.

في المساء عدت إلى الشقة وأنا أشعر بصداع قوي، فاستلقيت على الفراش وأخذت أتنفس بعمق كي أبعد الصداع عني، ووضعت الحاجيات التي قمت بشرائها من السوق على الأرض، ثم سمعت طرق الباب، فأطلقت زفرة ضيق وفتحته مباشرة لأجد جارتي مارية تقف عند الباب وعلى وجهها علامات التوتر والخوف وهي تتلفت حولها، فسألتها:

ـ ماذا هناك؟ هل تحتاجين إلى شيء؟

رأيت يديها ترتعشان وقالت لي:

ـ هل أستطيع التحدث معك قليلاً؟

دعوتها إلى الدخول إلى شقتي وقلت معتذرة:

ـ اعذريني، لم أقم بشراء أي أثاث بعد.

ـ لا تفعلي ذلك، بل اخرجي من هذه البناية بأكملها!

كانت تتحدث همساً، فنظرت إليها بحيرة وسألتها عن السبب، لكنها قالت:

ـ لا أستطيع إخبارك فالجدران لها آذان، ألا تشمين تلك الرائحة الخانقة؟

ابتسمت ببلاهة، وعندما رأيت الجدية على وجهها قلت:

ـ ماذا تقصدين؟ أنا لا أفهم شيئاً؟!

ـ كل ما أريد قوله لك هو أن هذه الجدران لها آذان وعيون تراقب... وأكثر مكان مخيف هو الشقة رقم ثمانية، إنهم يعرفون كل شيء، لذا لا تذهبي إليها مجدداً

ثم خرجت مسرعة من شقتي رغم أنني حاولت الحديث معها أكثر إلا أنها رفضت. وقفتُ مكاني وأنا أشعر بدهشة، هل هي مجنونة يا ترى؟ أم أنها صادقة وهناك شيء ما يخيفها في هذه البناية حقاً؟! ثم سمعت طرق الباب مجدداً ففتحته ظناً مني أنها مارية قد عادت، ولكن لم يكن هناك أحد!! ظللت واقفة قرب الباب لبرهة متمنية أن أسمع الطرق مجدداً.. وحدث ما تمنيته ولكن صوت الطرق لم يأتِ من الباب!! بل من الجدار الذي قربَ الباب!! اقتربت منه ووضعت أذني على مكان الطرق لأتأكد مما أسمعه، وفجأة سمعت صراخاً مدوياً وكأنه يخترق الجدار إلى أذني، فابتعدت وأنا أرتعد ذعراً وأنظر إلى الحائط بخوف، ثم أسرعت إلى شقة جارتي مارية وطرقت الباب بقوة لكن لم يجبني أي أحد، فأمسكت بهاتفي واتصلت بالمؤجر وقلت له:

ـ تعالَ بسرعة إلى البناية

ـ ماذا هناك يا سيدتي؟

قلت له وأنا ما أزال أقف بالقرب من شقة مارية وأرتعد:

ـ هناك أحد في الجدار كان يصرخ!

سمعته يضحك ساخراً:

ـ أحد في الجدار؟ ماذا تقولين؟ هل أنتِ تمزحين؟

لن يصدقني؛ فما أقوله غير منطقي، لذا سألته:

ـ هل تعرف هاتف السيدة مارية التي تقطن في الشقة رقم عشرة؟

صمت لبرهة ثم قال:

ـ لا أعتقد أنها تريد التحدث مع أي أحد، إنها انطوائية وقد تغضب إن فعلتِ ذلك

لم أحتمل برودة أعصابه، فقلت بغضب:

ـ أعطني رقم الهاتف بسرعة، أنا أحتاج إلى وجود أحد معي يسمع الصوت الذي في الجدار.

ـ سيدتي أنتِ تتوهمين، أو ربما من كان يصرخ هو أحد الأطفال الموجودين في الشقة المجاورة فقط.

صمتَ لبرهة ثم أكملَ قائلاً:

ـ حسناً سآتي لرؤية الجدار ولكن ليس الآن، ربما غداً.. فأنا مشغول أيضاً

في اليوم التالي أردتُ أن أتعرف على جميع الموجودين في البناية، لذا صنعت كعكة وقسمتها إلى عدة قطع وقررت أن أزور كل شقة لأتعرف عليهم، وخصوصاً على الأشخاص في الشقة المجاورة لغرفتي، شقة رقم ثمانية، ثم حملت قطع الكعك معي وطرقت جميع أبواب الشقق عدة مرات ولكن لم يجبني أي أحد! فظللت واقفة في مكاني وأنا أشعر بالحيرة وأفكر بما أفعله تالياً. ثم ذهبت إلى الشقة رقم ثمانية وطرقت الباب مجدداً، فأطلت الفتاة الصغيرة والتي تبدو

في السادسة من عمرها وفتحت الباب قليلاً، فابتسمت لها بلطف وقلت:

ـ مساء الخير يا عزيزتي..

لكنّ الطفلة قاطعتني بفظاظة وصرخت في وجهي:

ـ ألم نطلب منك الخروج وأن لا تأتي إلى هنا؟

ثم أغلقت الباب بقوة!! نظرت إلى الباب وأنا في حالة دهشة وأتساءل: هل هذه طفلة؟ فمنظرها وصوتها عندما صرخت لم يكن طبيعياً أبداً، لقد بدت وكأنها عجوز غاضبة بوجهها الشاحب وبتلك الكدمات التي تملأ جسدها ووجهها!! أكملت طريقي نحو باقي الشقق، ولا أعلم لماذا قررت أن أضع أذني على باب شقة مارية كي أستمع إلى حديثها مع ابنتها، وما سمعته كان همسات خفيفة جداً، لكنها كانت واضحة حيث كانت الطفلة تقول لوالدتها:

ـ ما زالت تطرق الباب... هل أفتح يا أمي؟

ـ كلا.. لا نريدها أن تبقى هنا، يجب أن ترحل

ـ لكن ربما تستطيع مساعدتنا

ـ لن تفعل، أنا واثقة من ذلك.. اصمتي يا بنتي كي لا تسمعنا، إنها لا تستحق أن نساعدها.

لم أصدق ما سمعته!! فلماذا يريدون رحيلي ولا يفتحون أبوابهم لي!؟ عدت إلى الشقة رقم تسعة ووضعت أذني على الباب وسمعت صوت رجل يقول بهمس:

ـ أظن أنه يجب أن نخبرها عن الحقيقة ونطردها من هنا قبل وقوع كارثة

لتردّ عليه سيدة:

ـ لا دخل لكَ في الأمر.. ستشعر باليأس وستذهب عاجلاً أم آجلاً

فأكملتُ طريقي نحو الشقة رقم ستة ووضعت أذني على الباب، فسمعت سيدة تقول همساً:

ـ أنا لم أعد أحتمل طرق الأبواب، يجب أن نتخلص منها، لا نريد أن يتكرر الأمر مجدداً.

فترد سيدة أخرى:

ـ كلا لا تفعلي ذلك، وإن تكرّر فما باليد حيلة

سألتُ نفسي: من يقصدون؟ ومما يريدون تحذيري؟ ولماذا يختبئون!؟ وفجأة سمعت صوت ضحكات طفلة خلفي فالتفتُ بسرعة، ولكن السيدة التي تعيش في الشقة رقم ثمانية أمسكت بيد الطفلة بسرعة وأدخلتها ثم أغلقت الباب!! حاولتُ أن أتحدث إليها ولكنها لم تمهلني، فطرقتُ الباب وقلت:

ـ أعلم أنكِ في الداخل، فلماذا لا تريدين الحديث معي يا سيدتي؟

فتحت الباب بسرعة وقد كانت ترتعد وتتلفت حولها، ثم قالت:

ـ اخرجي أرجوكِ ولا تعودي إلى هنا... صدقيني الذنب ليس ذنبي، لقد حاولت مساعدتهم لكنهم لم يستمعوا إليّ.

سمعت صراخاً قوياً يأتي من إحدى الشقق، فالتفتُ بسرعة ثم

توقف الصوت! وعندما أردتُ الحديث مع السيدة مجدداً كانت قد دخلت وأغلقت الباب خلفها!!

عدت إلى غرفتي وأنا أحمل الكعكة وقد أصابني الإحباط، فوضعتها جانباً وأخذت أفكر بكل ما حدث وما سمعته عبر الأبواب المغلقة. وتساءلت: لماذا يريدونني خارج البناية ويعاملونني بهذا الجفاء!؟ ثم سمعت طرقاً على باب الغرفة مجدداً، وترددت كثيراً في فتحه ولكني فعلت ذلك، وكان يقف خلف الباب رجل غريب يبدو في العشرين من عمره تقريباً ويبتسم بلطف.

ـ مساء الخير يا سيدتي، انتقلت حديثاً إلى هذه البناية، هل لك أن تساعديني؟

ـ ما الذي تريده يا سيدي؟

ـ أحتاج إلى بعض المواد الغذائية كالملح والبهارات، لقد نسيت أن أقوم بشرائها

كان يبتسم بلطف طوال الوقت، فقلت له:

ـ ما هو اسمك يا سيدي؟ وفي أي شقة تقيم؟

ـ أنا أقيم في الشقة رقم تسعة

ـ لكن تلك الشقة تقيم فيها سيدتان، لقد سمعتهما.....

توقفت عن الحديث، ولم أخبره أنني كنت أسترق السمع خلف الأبواب وقلت:

ـ لقد رأيتهما من قبل تخرجان منها

ـ أنت مخطئة، بل أنا من يقيم هناك صدقيني، وهذا هو المفتاح

لم أستطع تصديقه، لكنني قلت:

ـ حسناً ما هو اسمك؟

ـ انا اسمي ماهر، وأنتِ؟

ـ اسمي سارة، وأقيم هنا منذ عدة أيام فقط

ـ تشرفت بمعرفتك يا سيدتي، هل يقيم أحدهم معك أم تعيشين لوحدك مثلي؟

فسألته عوضاً عن إجابته:

ـ هل أنت أعزب؟

ـ كلا أنا مطلق، وابنتي تعيش مع والدتها وأحياناً تأتي لزيارتي

وأثناء حديثنا عند الباب رأيت الطفلة الشاحبة والتي تقيم في الشقة رقم ثمانية تخرج منها ثم تنظر إليّ بطريقة عدوانية، وتشير إلى عنقها وكأنها تهددني بالقتل، ثم أخذت تجري مبتعدة وتضحك بصوت عالٍ!! فسألت ماهراً:

ـ هل تعرف من يعيشون هنا؟

ـ بصراحة لم أتعرف على أحد سواكِ، وأنتِ؟

ـ لقد حاولت التعرف عليهم والحديث معهم، ولكنهم كانوا يرفضون ذلك، ولا أعرف ما السبب!!

ـ هذا أمر غريب!!

ثم تذكرت أنه يريد بعض الملح والبهارات، فقلت له:

ـ اعذرني لقد نسيت طلبك، سأعود بعد قليل.

دخلت إلى شقتي وتأكدت من إغلاق الباب، ثم أخذت أبحث عن البهارات ووضعت له القليل منها في علبة، وكذلك أخذت علبة ملح أيضاً. وعندما خرجت لأعطيه ما طلب لم أجده، ورأيت تلك الطفلة تقف عند باب الشقة ثمانية وتضحك بسخرية ثم تدخل وتغلق الباب بقوة!! لم أستطع فهم ما يحدث هنا ولكن قررتُ أن أخرج قليلاً كي أستنشق بعض الهواء النقي، ولأشرب كوباً من القهوة لعلّي أصفّي ذهني كي أستطيع التفكير جيداً.

جلست في المقهى وحدي وأنا أتصفح مواقع التواصل وأنظر إلى المارة وأسمع حديث الناس حولي متمنية أن أكون في لحظات سلام وهدوء كي أتخلص من التوتر الذي خلّفه التفكير في هذه البناية وسكانها غريبي الأطوار، فسمعت سيدة تتحدث وتشير إلى نفس البناية التي أقيم فيها قائلة لسيدة أخرى تجلس معها:

ـ لقد قُتل أكثر من سبعة أشخاص في تلك البناية

قالت السيدة الأخرى:

ـ هل ألقوا القبض على مفتعل الحريق؟

ـ لا أعرف، فالأخبار تكتمت على الأمر تماماً لوجود شخصية مهمة كانت تقطن هناك

ـ حقاً؟ ومن يكون؟!

ـ لا أعلم، ولكن كل ما سمعته أنه أحد رجال الأعمال المشهورين في العاصمة، وقد انتقل قريباً من هنا هرباً من ملاحقة بعض الأشخاص الذين يدين لهم بالمال.

فضولي جعلني أنهض من مكاني وأقترب منهما قائلة:

ـ مساء الخير، لقد سمعتكما تتحدثان صدفة عن حريق في البناية، متى حدث ذلك؟

رفعت السيدة حاجبيها بدهشة وقالت:

ـ نحن لم نتحدث عن أي حريق!! كنا نتحدث عن معرض العطور المقام في العاصمة

فضحكت السيدة الأخرى وقالت:

ـ ربما تعني أن الأسعار في المعرض كاللهب من شدة ارتفاعها

ابتسمت بلطف:

ـ لكنني أجلس هنا بالقرب منكما وسمعتكِ تتحدثين عن بناية حدث فيها حريق راح ضحيته سبعة أشخاص!!

ـ أنتِ مخطئة يا عزيزتي، بل كنا نتحدث عن العطور، يبدو أنكِ متوهمة، أو ربما سمعت شخصاً آخر يتحدث

لم أحتمل أكثر، فقلت بطريقة جادة:

ـ أنا أقيم في إحدى البنايات القريبة من هنا، لذا أريد أن أعرف: هل تقصدان البناية التي أقيم فيها أم لا؟

نهضت السيدة من مكانها وهي غاضبة، وقالت بنبرة حادة:

ـ إن لم تبتعدي سأطلب من رجل الأمن أن يتصرف معك.. أخبرتكِ إننا كنا نتحدث عن معرض العطور

شعرت بالحرج عندما التفتُّ حولي ولاحظتُ أن الجميع ينظرون إليّ بدهشة وحيرة فاعتذرتُ وخرجت من المقهى مطأطئة الرأس، وقبل أن أدخل إلى البناية سمعت أحدهم خلفي ينادي:

ـ يا سيدة، توقفي أرجوكِ.

التفتُّ خلفي لأجد رجلاً يتوجه نحوي ثم يقف ويقول لي:

ـ ما تحدثتِ عنه في المقهى قبل قليل قد حدث بالفعل ولكن... قبل عشرين عاماً تقريباً

لم أفهم ما يعنيه، فقلت:

ـ ما الذي تقصده؟! لقد سمعتهما تتحدثان قبل قليل عنها!!

ابتسمَ بلطف وقال:

ـ لقد سمعتُ السيدتين أنا أيضاً، ولكنهما كانتا تتحدثان عن معرض العطور حقاً

ـ إذن هل كنتُ أتوهم؟!

سحبَ الرجل نفساً عميقاً وقال بعد تردد:

ـ هل تسمحين لي بدعوتكِ إلى كوب قهوة وأخبركِ بما حدث؟

جلستُ مع الرجل الذي عرّف بنفسه قائلاً:

ـ اسمي حسام، وكنت أقيم في البناية المجاورة للبناية التي تقيمين فيها.. ولكنني انتقلت مع عائلتي قبل عشرين عاماً

ـ أهلاً بك سيد حسام، أنا اسمي سارة. ما الذي تريد أن تخبرني به بخصوص السيدتين والمبنى؟

ـ ما سأخبركِ به لا يصدقه عقل ولا أعرف كيف حدث!! فقبل عشرين عاماً تقريباً كنت أعيش مع والديّ في هذه البناية الملاصقة للمبنى الذي تعيشين فيه، ونعرف جيداً أنّ هناك عائلة مكونة من زوج وزوجته وفتاتين يسكنون في الشقة رقم ثمانية...

توقف لبرهة كي أستوعب ما يقوله لي وهو ينظر في وجهي، وكأنه ينتظر ردة فعلي، ثم أكمل:

ـ ذلك الرجل معروف بأسلوبه الوقح وبسرعة غضبه وبكثرة شجاره مع عائلته ومع الناس، حيث كان يضرب زوجته وابنتيه بلا رحمة ولا يهمه رأي أي شخص فيما يفعل ولا يخاف من أي تهديد. فبحسب ما سمعتُ أنّ لديه أصحاباً ذوي نفوذ يستطيعون إخراجه من أي ورطة يقع فيها، ولاحقاً عرفت أنه كان تاجر مخدرات.

ـ ما علاقة كل هذا بما سمعته من السيدتين؟!

ـ لقد افتعلَ المشاكل مع الجميع، جيرانه والمؤجر وعامل النظافة ولم يسلم من يده أحد، وزوجته لا حول لها ولا قوة.. ورغم محاولاتها تهدئة الأمور إلا أنها لم تقوَ على ذلك، فأصبح الجميع يتجنبونها وكذلك يتجنبون ابنتيها اللتين تعرضتا إلى التنمر والسخرية بسبب وجهيهما المشوهين من الكدمات، وملابسهما الرثة

والقديمة، فالرجل أيضاً كان بخيلاً على عائلته و ينفق أمواله على الخمر ولعب القمار.

بقيت صامتة أنتظر ما سيقوله كي أفهم.

ـ في أحد الأيام وبعد عودة الفتاتين من المدرسة سمعَ الجيران صوت صراخ قوي وتحطيم وبكاء الفتاتين، وشاهدنا ألسنة اللهب تخرج من المبنى من كل مكان، ولم ينجُ أي أحد من تلك البناية سوى الفتاة الصغيرة ابنة ذلك الرجل، وكانت في حالة هستيرية ومشوهة بسبب الحريق.

شعرتُ بالدهشة وسألته:

ـ هل احترقَ المبنى بأكمله؟ كيف حدث ذلك؟!

ـ قيل إن الفتاة هي الفاعلة، وقد قامت بسكب البنزين في كل مكان انتقاماً لنفسها ولأختها من الجميع، فرائحة البنزين كانت طاغية، ولكن حتى هذا اليوم لا أحد يعرف حقيقة ما حدث.

تخيلت ما حدث هناك، وكيف كانوا يحاولون إنقاذ السكان، فشعرت بالأسى والحزن، وسألته:

ـ ماذا عن الفتاة؟ أين هي الآن؟

ـ إنها في المصحة العقلية، تعيش هناك منذ الحادثة ولا أعلم ما هو مصيرها، ربما هي في الثلاثين من عمرها أو أكبر قليلاً، فقد كانت قريبة إلى عمري عندما حدثت الحادثة.

لم أفهم ما علاقة السيدتين في الأمر، رغم أنّ ما حدث غريب!

فقلت له:

ـ إذن لماذا أنكرت السيدتان حديثهما حول الحريق، وقالتا إنهما كانتا تتحدثان عن العطور!!

ـ لأنهما فعلاً كانتا تتحدثان عن العطور، ولكن لا أعرف كيف سمعتِ أنهما تتحدثان عن الحادثة، وكأنّ أمراً خارقاً للطبيعة قد حدث لكِ هناك في المقهى، ربما كي تصلكِ رسالة مهمة حول المكان الذي تعيشين فيه، أو تحذير ينبهك إلى ضرورة الخروج من البناية.

ـ وأين تقيم أنت الآن؟

ـ في مكان قريب من هنا

ـ هل تعرف أي أحد يقيم في نفس البناية التي أقيم فيها؟

هز رأسه نافياً ثم قال:

ـ في الحقيقة كنت أعتقد أن صاحب البناية قد باعها أو تركها مهجورة. لم أتصور أن هناك من يستطيع العيش فيها بعد ما حدث، خصوصاً أنها ظلت مهجورة لزمن طويل.

صدمني ما قاله فشعرت بالخوف معتقدة أنني ربما أسكن في بناية مليئة بالأشباح، لكنه سألني:

ـ هل حاولتِ التعرف على أحد من سكان البناية؟

ـ أجل، ولكنهم كانوا يتجنبونني

ـ لماذا؟! الأمر غريب!

ـ لا أعرف، وهناك طفلة تقطن في الشقة رقم ثمانية تتصرف بطريقة مريبة وعدوانية، وتنظر إليّ نظرات مخيفة كلما رأتني.

ظل حسام صامتاً وكأنه لا يعرف بماذا يرد، وفجأة رنّ هاتفي باتصال من والدة طليقي، وعندما رأيت الرقم تنهدت بضيق، واستأذنت من حسام كي أستقبل المكالمة فقال لي:

ـ هذه بطاقة عملي وأرقامي موجودة فيها. إن احتجتِ إلى أي مساعدة لا تترددي بالاتصال.. والآن إلى اللقاء يا سيدتي.

رفعت الهاتف، وكانت والدة طليقي تبكي وهي تتحدث:

ـ رائد لم يعد حتى الآن يا سارة، ولا أحد يعلم عنه أي شيء

أطلقتْ زفرة ضيق بنفاذ صبر وكدت أن أصرخ في وجهها، ولكنني حاولت جهدي أن لا أفعل، وقلت بهدوء:

ـ ما دخلي أنا برائد!؟أخبرتكِ أنني لم أره منذ أن تطلقنا، فلماذا تتصلين بي؟

ـ لأنه كان يبكي ندماً، وأخبرني أنه سيتحدث معك كي تعودي إليه، ومنذ تلك اللحظة لم أسمع عنه أي شيء، لقد مضى أكثر من أسبوع الآن!!

قلت في نفسي إنه يستحق ما يحدث له، ولكنني أجبتها:

ـ لمَ لا تتصلين بأصحابه؟ أو ربما تحاولين البحث عن عشيقاته وتتواصلي معهنّ؟

ازداد بكاؤها فشعرتُ ببعض الندم على ما قلت، فهي لم تكن سيئة

الخلق معي، ولكن أنا لم أعد أحتمل أكثر فقلت معتذرة:

ـ أعتذر إن كنت قد جرحت مشاعرك، ولكن أنا لا أعلم أي شيء عنه، وأرجوكِ لا تعاودي الاتصال بي فأنا مشغولة

أغلقت الهاتف وأنا أشعر بالسوء والغضب، فيكفيني ما أمرّ به في تلك البناية من متاعب حتى يأتي أمر اختفاء رائد ويزيدني قلقاً وضيقاً....

عدتُ إلى الشقة ووضعت رأسي على الوسادة متمنية أن أستطيع النوم بعد كل ما سمعته من حسام، وقررتُ أن أتحدث مع المؤجر كي أستفسر عن الحادثة لأطمئن أكثر. ما هذه الرائحة الغريبة التي أشمها؟ إنها تشبه رائحة البنزين، من أين تأتي يا ترى؟ وضعتُ يدي على أنفي لأكتشف أن الرائحة تملأ يدي فأسرعتُ بغسلها كي أتخلص منها ثم عدت إلى فراشي وغفوت بسرعة، وفي اليوم التالي اتصلت بالمؤجر.

ـ صباح الخير سيدي، أنا سارة المستأجرة في بنايتك، وأريد أن أستفسر بخصوص البناية التي أقطن فيها

ـ عن أي بناية تتحدثين؟

ـ أقصد البناية التي في وسط السوق رقم 639

صمت الرجل لبرهة ثم قال:

ـ سيدتي، تلك البناية مهجورة منذ سنين، فكيف تعيشين فيها؟

رفعتُ حاجبي وقمت من مكاني، وأخذت أتلفت حولي وأنظر إلى

الشقة وأنا في حالة ذعر!

ـ ماذا تقول يا سيدي؟ لقد اتفقت معك قبل شهر تقريباً ودفعت لك الإيجار.. هل نسيت؟

ـ سيدتي أنا لم أركِ من قبل ولم أستلم منك أي مبلغ، وكيف أجعلكِ تسكنين في بناية مهجورة كهذه؟!

أصابني دوار ولم أستطع تمالك نفسي أكثر، فسألته:

ـ ألستَ أنت السيد منذر صاحب البناية؟

ـ كلا، اسمي جمال، وأبي هو منذر وكان يمتلك البناية، لكننا تركناها منذ سنوات.. ربما أنتِ لست من هذه المنطقة ولا تعلمين بما حدث قبل أكثر من عشرين عاماً.

لم أعرف كيف أتصرف أو ماذا أقول! فطلبت منه أن نلتقي في أقرب وقت.

ـ حسناً يا سيدتي، هذا المساء سأكون في المقهى القريب من البناية، هل تعرفينه؟

ـ أجل، سأنتظرك هناك في الساعة السادسة.

وبعد أن أغلقت الهاتف سمعت طرقَ الباب، فابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أنظر إليه ثم أتلفّت حولي وقلت بصوت عالٍ:

ـ من الطارق؟

لكن لم يجبني أحد ولم يتوقف الطرق، بل ازداد حدة وأصبحت اسمعهُ من جميع الجدران وليس فقط على الباب!! فوضعتُ أصابعي

في أذنيّ وأغلقت عينيّ فانطفأت الأنوار وعمّ الصمت فجأة!! كان قلبي يخفق بشدة ويداي ترتعشان.. وما زاد الطين بلة هو صوت صراخ تلك الطفلة المخيفة الذي أسمعه يتردد حولي، لذا لم أستطع البقاء أكثر وخرجت مسرعة من الشقة. وعندما فتحت الباب ارتطمت بماهر الذي كان يجري هو الآخر.

ـ ما بكِ يا سيدتي؟

سألته وأنا ما أزال أرتعد:

ـ هل سمعتَ الصراخ؟

ـ أي صراخ؟ المبنى يحترق ألا ترين؟!

تلفتُ حولي ووجدت ألسنة النار تحرق كل شيء، فأخذت أصرخ كالمجنونة. ثم تذكرت أوراقي وأموالي داخل الشقة فأسرعت كي أجمع ما أستطيع، لكن تلك الطفلة المخيفة كانت تقف أمام الباب وتمنعني من الدخول، فحاولت أن أبعدها لكنها صرخت في وجهي وقالت:

ـ أخبرتكِ أن تخرجي، لكنك لم تستمعي لما قلته، انظري ماذا حدث!!

كانت ألسنة اللهب تقترب منا وشعرت بحرارة شديدة تكاد تخنقني، فأمسكت بيد الطفلة وأبعدتها بقوة عن طريقي، ثم دخلت الشقة وأخذت أجمع حقيبتي بسرعة، وفجأة سمعت طرق الباب فالتفتُ إليه وأسرعت لفتحه معتقدة أنه ماهر أو أحد سكان البناية قد جاء لتحذيري، لكنني لم أجد أي أحد، ولم يكن هناك أي حريق والمكان

هادئ تماماً!! ووسط الهدوء والظلمة سمعت صوت ضحكات تلك الطفلة، وعندما التفتُ إليها وجدتها تقف عند الشقة ثمانية وهي تحمل بيدها قنينة البنزين، ثم دخلت بسرعة إلى الشقة وأغلقت الباب خلفها!! عدتُ إلى شقتي وحملت حقيبتي ولملمت ما استطعت ثم خرجت من البناية بأكملها. وما رأيته عندما التفتُ جعلني أسقط على الأرض فاقدة الوعي، فقد كانت البناية -التي عشتُ فيها لعدة أسابيع تقريباً - مبنىً قديماً ومتهالكاً وآثار الحريق ما تزال موجودة عليه!!. كيف لم أرَ كل ذلك من قبل؟ ومن الذي كتبَ العقد وجعلني أقيم هنا!؟ ساعدني بعض الأشخاص على النهوض وأنا ما أزال في حالة ذهول وخوف، فبحثت في جيبي عن رقم حسام واتصلت به وأخبرته بكل شيء فسمعته يقول:

ـ إنّ ما حدث لكِ أمر غريب جداً، كيف لم تلاحظي أن المبنى متهالك؟ كنتُ أعتقد أنكِ ترينهُ وهذا ما جعلني أشك أكثر

ـ صدّقني لم أره من قبل بهذه الصورة، بل كان مختلفاً تماماً كأي مبنى قديم طبيعي.

ـ ماذا ستفعلين الآن؟

ـ سألتقي بصاحب البناية وأتحدث إليه، إنه ينكر معرفته بي وأخبرني بأنه لم يأخذ أي أموال مني!!

ـ ماذا عن عقد الشقة؟

بحثتُ في حقيبة الأوراق خاصتي، لكنني لم أجد عقد الإيجار

ـ أنا متأكدة أنني وضعته في حقيبتي، لكنني لا أجده الآن!!

ـ هل أستطيع المجيء ولقاء صاحب البناية معكِ؟

ترددت في الموافقة؛ فأنا لا أعرف حساماً جيداً، ولكن لا يوجد شخص آخر يدعم ما أمرّ به سواه، فقلت:

ـ أجل، إن كنت تريد ذلك.

في المساء التقيت بجمال ابن صاحب العمارة، وقد رافقني حسام أيضاً وجلسنا في المقهى المقابل للبناية. وطوال الوقت كنت أنظر إليها بشيء من الخوف والقلق حتى قاطعني صوت جمال. وعندما رأيته صعقت؛ فلم يكن نفس الشخص الذي اتفقت معه على الإيجار، بل كان شاباً ربما في أواخر الثلاثين من عمره فقط!!

ـ هل أنتَ جمال؟

ابتسمَ بلطف وهو يمد يده للمصافحة:

ـ نعم أنا جمال منذر، وهذه البناية كانت من ممتلكات أبي

تنهّد بحزن، ثم أخذَ يخبرني بكل ما حدث فسألته:

ـ لماذا لم تعيدوا إصلاح المكان مجدداً؟

لاحظت تردده، لكنه أجابني:

ـ بعد تلك الحادثة توفي أبي وانشغلت بالعزاء والحزن عليه، فأهملت الكثير من الأمور ومن ضمنها مسألة البناية التي تسببت لي بحالة من التشاؤم والضيق، حتى إن والدتي طلبت مني عرضها للبيع لكن للأسف لم يتقدم أي أحد لشرائها، وما زاد الطين بلة هو ذلك الشاب ماهر

تذكرتُ ماهراً الذي يسكن في البناية وسألته:

ـ هل تقصد ماهراً الذي كان يسكن في البناية؟

هز رأسه بالنفي وقال:

ـ ماهر لم يكن من سكان البناية، بل إنه أحد الأشخاص الذين يهتمون بأمور ما وراء الطبيعة، وقد قرر أن يبيت ليلة في البناية وحده كي يصور مقطع فيديو ليوهم أصحابه أنّ هناك أشباحاً فيها، ولكن ما حدث له أثبتَ حقاً أنّ هناك أمراً غير طبيعي بداخل تلك البناية، مما جعل بيعها والتخلص منها أمراً مستحيلاً.

ساد الصمت بيننا، فسأله حسام:

ـ هل تمّ التعرف على مفتعل الحريق؟ لأنني أذكر أن الجميع قد أشاروا بأصابع الاتهام إلى الطفلة الموجودة حالياً في المصحة العقلية

أجابه جمال:

ـ لا أعتقد أنها هي الفاعلة كونها الناجي الوحيد من الحريق فهي مجرد طفلة، كيف ستنجو من حريق كهذا ويموت الباقون؟! أعتقد أنّ في الأمر سراً آخر ولم يستطع أحد معرفته.

أخبرتُ جمالاً عن الأشخاص الذين تعرفت عليهم داخل البناية، فأخرج من جيبه قصاصة من جريدة قديمة وقال:

ـ إنها نفس أسماء الأشخاص الذين قتلوا في ذلك الحريق، إلا ماهر لن تجدي اسمه طبعاً.

كل تلك الأحداث جعلت رأسي مشوشاً ولم أعد أستطيع استيعاب الأمر أكثر. لاحظ حسام توتري فقال:

ـ اعتبري ما حدث مجرد تجربة خارقة للطبيعة

ـ لكن لقد دفعت مبلغاً من المال من أجل الإيجار لمدة ستة أشهر، والآن لا أعرف من أخذ المبلغ مني!!

سألني جمال:

ـ هل تذكرين شكل الشخص الذي اتفقتِ معه وأخذ المبلغ؟

ـ نعم أتذكره جيداً، فقد كان كبيراً في السن، ربما بلغ السبعين من عمره وهو قصير القامة، ولديه شعر خفيف جداً لونه أبيض.

قطّب جمال حاجبيه، وظل يفكر لبرهة ثم سألها:

ـ هل هو من أخذكِ إلى البناية؟ أم أتيتِ لوحدك؟

ـ بل أتيت لوحدي، وكل ما فعله هو أنه قد أخذ المال مني وكتبَ العقد، ثم سلمني المفتاح وأخبرني برقم الشقة!! وعندما طلبتُ منه في إحدى المرات أن يأتي لإصلاح عطل في المياه، أخبرني بأنه عندما أعود سأجد أن كل شيء على ما يرام، ولكنني لم أره مجدداً.

ـ هل أستطيع الحصول على رقم هاتفه؟

أعطيته رقم الهاتف فقامَ بالاتصال به من هاتفه الخاص، لكن لم يرد عليه أي أحد!

ـ الأمر غريب! سأحاول معرفة من هو صاحب هذا الرقم، ثم سأخبرك لعلّه محتال يقوم بتأجير الشقق من دون علمي.

لم أقتنع بما قاله جمال، فقلت:

ـ لكن أخبرني: كيف لم ألاحظ أن المبنى متهالك وقديم؟ حتى إنني لم أكتشف أن الكهرباء مقطوعة بشكل دائم!!

ـ صدّقيني هناك تفسير منطقي لما حدث لكِ يا سيدتي، عموماً سأحاول معرفة مَن يقف خلف هذا الأمر وسأتواصل معك

نهض جمال من مكانه ثم ابتعد، فقال حسام بعد أن ذهب:

ـ ألم تلاحظي توتر جمال عندما أخبرته بمواصفات الرجل الذي أخذ نقودك؟

ـ كلا ، لكن ما الذي تقصده؟

تردّد حسام قليلاً، ثم قال:

ـ ماذا لو أنه هو من يفعل ذلك، وقد اتفق مع ذلك العجوز؟

ـ حسناً، فسّر لي رؤيتي للمنزل بطريقة مختلفة عن الحقيقة

ـ أنا أعتقد أن المنزل مسكون حقاً، وجمال يعلم بالأمر وربما استعان بالعجوز ليقوم بتأجير الشقة لك، أما مسألة رؤيتك المغايرة للبناية... فلربما حدث لك نوع من التأثر الخارق للطبيعة.

ـ لا أظن أن الأمر كما تقول.. نعم هناك تفسير ولكن لا أظن أنّ جمالاً له علاقه بالأمر.

ساعدني حسام على نقل باقي حقائبي والأثاث القليل الذي قمتُ بشرائه، واستأجرتُ غرفة صغيرة في أحد المجمعات السكنية بشكل

مؤقت، إلى أن أسترجع أموالي أو أجد حلاً آخر.

ـ شكراً لك يا سيد حسام، لن أنسى معروفك

ـ حسام تكفي يا سيدتي، لا داعي للرسميات

ابتسمث بلطف:

ـ حسناً ما دمث سأناديك حساماً، إذن أنت ستناديني سارة فقط

ـ حسناً يا سارة، تشرفت بمعرفتك، وألقاكِ غداً متمنياً لكِ ليلة سعيدة.

رغم تغييري لمكان إقامتي إلا أنني ما زلت أشعر بالخوف والتوتر كلما فكرت بالفترة التي قضيتها وأنا أتحدث مع أشباح كانوا يحاولون أذيتي وأنا أظن أنهم بشر مثلي!! لكن هل كانوا حقاً ينوون ذلك؟! أذكر أنهم حاولوا إخراجي من البناية... ربما كانوا يحذّرونني!! لم أستطع التفكير بشكل منطقي وأصبح عقلي مشوشاً مليئاً بالشكوك وبالحيرة.

في اليوم التالي قررث أن أعود إلى الشقة لآخذ باقي حقائبي. وربما الفضول هو ما قادني إلى هناك أيضاً. وعندما دخلت كان المكان مظلماً وقذراً كأنني لم أره من قبل! ثم دخلت إلى الشقة وأخذت أتلفت حولي وقد لاحظت وجود شقوق كبيرة في الجدران لم ألاحظها من قبل!! اقتربث من أحدها وأخذت أمعن النظر إليه فرأيته يزداد اتساعاً، قرّبت وجهي أكثر كي أرى ما بداخله، وفجأة خرجت يد من ذلك الشق وأمسكت بعنقي وأخذت تهزني بقوة وأنا أصرخ وأستنجد وأحاول جهدي أن أتخلص منها، ثم سمعت طرقاً

على الجدران فعادت اليد إلى الجدار واختفى الشق أيضاً! استمر الطرق على الجدران وازداد قوة، فأخذت بعض حقائبي وأسرعت خارج الشقة واصطدمت بشخص ظننت في البداية أنه جمال، ولكن عندما رفعت رأسي نحوه أدركت أن من يقف أمامي هو طليقي رائد!! شعرت بالدهشة لوجوده هنا، فسألته عن السبب وقد لاحظت شحوب وجهه ونظراته المخيفة الموجهة إلي مما زاد توتري، فابتسم لي بسخرية وقال:

ـ هل اعتقدتِ أنكِ تخلصت مني؟ إنها فرصتي كي آخذك معي

حاولت الابتعاد عنه، إلا أنه وقف في طريقي، فقلت بغضب وأنا أصرخ:

ـ أنا لا أخاف منك، أنت مجرد شبح

ثم عدت إلى شقتي وأغلقت الباب خلفي وقلبي يكاد يخرج من مكانه، قمت بالاتصال بحسام وطلبت منه أن يأتي لمساعدتي فسألني بدهشة:

ـ لماذا عدتِ إلى الشقة يا سارة؟

ـ لا أعلم، ولكن الفضول جعلني آتي كي أتأكد مما رأيته

ـ حسناً أنا قادم إليك، لا تخافي

سمعت طرق الباب مجدداً فجلست على الأرض وقلبي يرتعد ذعراً كلما ازدادت الطرقات، ثم سمعت صوت رائد خلف الباب يقول بغضب:

ـ افتحي الباب يا سارة ودعينا نتحدث، أخبريني ما هي الطريقة المفضلة التي تريدين أن أنهي حياتك بها؟ هل تفضلين أن أغرقكِ في حوض الاستحمام؟ أو ربما رصاصة في قلبك الأسود تنهي حياتك بسرعة؟ أو ربما بنفس الطريقة التي تخلصتِ بها مني.. فأقومُ بحرق الشقة وأنتِ بداخلها؟ أعتقدُ أنها طريقة مناسبة لهذا المكان.

ثم أخذ يضحك بصوت عالٍ وأنا أتذكر ما حدث بعد انفصالنا بعدة أيام فقط، ألا يحق لي أن أغضب؟ ألا يحق لي أن أنتقم منه؟ النار التي استعرت في قلبي بعد أن رأيته يخونني بعيني جعلتني لا أفكر إلا بالانتقام حينها، ارتفع صوت رائد قائلاً:

ـ أعتقد أنني سأحرق هذه الشقة ولن يلاحظ أي أحد ما حدث لك، وستنضمين إلى تلك الأشباح الهائمة هنا بروح معذبة ومذنبة

ـ مستحيل أنا متأكدة أنك ميت، لقد رأيت الشقة تشتعل وأنت بداخلها!! هل أنا أحلم؟

صرخ بصوت عالٍ:

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟

ـ كي أثأر لنفسي منك، وأستعيد ثقتي بذاتي التي جرحتها عندما تخليتَ عني بكل بساطة من أجل حبيبتك الرخيصة.

تذكرت ما حدث عندما داهمتهُ في شقة عشيقته بعد أن أخبرني شخص مجهول بذلك، فذهبت إلى العنوان وأمسكت به بالجرم المشهود، لم يكن بيدي أي حيلة سوى أنني أخذت قنينة البنزين التي كانت في سيارتي وأشعلت النار في سريرهما وأغلقت باب الغرفة

بالمفتاح، ثم خرجت ووقفت خارج المنزل أنظر إليه وهو يحترق من دون أن يرف لي جفن... هل أنا قاسية؟ ماذا عنه؟! لقد حرق قلبي بما فعل وأفقدني ثقتي بنفسي وحطّم كل الأحلام التي بنيتها في مخيلتي، حتى إنني فقدت جنيني بسبب الحزن، ألا يكفي كل ذلك كي أنتقم!؟

لم أعد أسمع صراخ رائد ولا طرق الجدران، فجأة رأيت حساماً يدخل إلى الشقة وهو يلهث وينظر إلي بدهشة:

ـ ماذا تفعلين هنا؟ ألم تشعري بالنيران التي اشتعلت في البناية؟ إنها تحترق بالكامل!

وخلف حسام وقف رائد ومعه كل سكان البناية ينظرون إلي بغضب، وتلك الطفلة الصغيرة تحمل زجاجة البنزين وهي تضحك بسخرية.. صرخت كالمجنونة فأمسك بي حسام وأنا ما أزال أصرخ بهستيريا رغم أنه حاول تهدئتي حتى أصبت بحاله تشنج وفقدت الوعي بعدها.

عندما استفقت كان البعض منهم ينظرون إلي بغضب، وآخرون يبتسمون بشماتة وسخرية، فرفعت رأسي وأنا أتلفت يميناً وشمالاً ثم قلت لهم:

ـ لماذا تفعلون ذلك بي؟! ألا يكفي أنني تعذبت وشعرت بالإهانة؟

أحاطوا بي من كل جانب حتى شعرت أنني سأختنق، وفجأة رأيت حساماً وجمالاً فاستنجدت بهما:

ـ أرجوكما أنقذاني من هذه البناية.

ـ لا تخافي يا سارة كل شيء على ما يرام الآن، لقد عرفنا سر البناية ومن هو الرجل الذي أخذ أموالكِ.

فتحت عيني بدهشة فأكمل جمال:

ـ للأسف أنا لا أعرفه شخصياً لكن يبدو أنه يعرفك ويعرف سر البناية المسكونة، فاستغلّ انتقالك إليها كي يخدعك

ـ من تقصد؟ أنا لا أفهم؟!

ـ هل تعرفين سيدة اسمها أنوار؟ أعتقدُ أنها والدة زوجك أو أخته

ـ نعم أعرفها، إنها والدته؟

وقبل أن أكمل حديثي طرق الباب فجأة، ودخل رجل شرطة وقال لي:

ـ سيدتي أنتِ مقبوض عليك بتهمة محاولة قتل زوجك رائد

فتحت عيني بذعر وقلت:

ـ محاولة قتل!؟ إذن رائد لم يمت؟ لقد كنت أدافع عن نفسي وأثأر لكرامتي التي أهانها، لماذا لم يمت؟!

قيّدني رجل الشرطة، وقبل أن أخرج لاحظت نظرات الخبث والسخرية على وجه حسام وجمال اللذين كانا يتهامسان فيما بينهما وأنا أبتعد. لاحقاً عرفتُ أنهما قد اتفقا مع والدة رائد على الانتقام مني والإيقاع بي واستغلا البناية المسكونة كي ينفذا خطتهما!! أخذتُ أضحك وأبكي كالمجنونة وأنا أجلس وحدي في زنزانتي وأتساءل: كيف تحولتُ من مظلومة ومخدوعة إلى ظالمة بهذه

الطريقة الغريبة!؟

مرت الآن أكثر من خمس سنوات وقد قاربَ وقت خروجي من هذه الزنزانة، ولكن إلى أين أذهب؟ وإلى مَن ألجأ بعد أن عرفَ الناس بقصتي وبما فعلته بطليقي الذي تزوجَ من أخرى وعاشَ حياته بسعادة معها؟ ثم تذكرتُ أنني ما أزال أملك مفتاح تلك الشقة في البناية ٦٣٩.

الراكبة

كنت مصاباً بجرح عميق وأشعر بالدوار، ولا أعتقد أنني أستطيع التوازن كي أساعدها في تبديل عجلة السيارة المثقوبة، ولكن لمحت سيارة تأتي من بعيد، فقررت أن أشير لهم كي يساعدوها وليتني لم أفعل....

ما هي القصة؟

كعادتي كل يوم بعد أن أنتهي من عملي وفي طريق عودتي إلى المنزل، أعمل كسائق أجرة لأنقل الركاب وآخذهم إلى حيث يريدون ما داموا في طريقي، فهذه فرصة لأجمع بعض المال لمساعدتي على دفع إيجار شقتي المتواضعة، وكي أهدي زوجتي التي تتعب معي كثيراً هدية صغيرة آخر كل شهر. وأنا أنوي هذا الشهر أن أشتري لها خاتماً ماسياً كانت ترغب به بشدة، فقد وعدت حبيبتي سمر منذ زواجنا بأنني سأقدم لها هدية كل شهر من اختيارها، وهذا ما أواظب عليه منذ أن ارتبطنا. كان الجو ماطراً أثناء عودتي، ولم أجد أي ركاب للأسف! فأخذت أسير ببطء وأتلفت حولي لعلي أجد أحدهم، خصوصاً بالقرب من الفنادق أو المنازل، ولكن بعد أن تجاوزت تلك المنطقة ووصلت إلى الطريق السريع زدتُ من سرعة السيارة لأنني شعرتُ باليأس من وجود أي راكب في طريقي، خصوصاً بعد أن ازدادَ المطر قوة وأصبحت الشوارع زلقة وقد قارب وقت غروب الشمس.

وبينما أنا أسير لمحتُ أحدهم يقف في طرف الطريق، يحمل مظلة ويشير بيده نحوي، عندها شعرت بالسعادة فاقتربتُ منه ببطء وحذر

لأقف بمحاذاته وأكتشف أنها فتاة!! صعدت مباشرة إلى السيارة من دون أن تتحدث وكانت تضع على وجهها قناعاً طبياً كعادة الكثير من الناس خصوصاً بعد جائحة كورونا، كما أنها تضع نظارات شمسية مما جعلني أتساءل في نفسي عن السبب، خصوصاً أن الجو غائم والشمس لا وجود لها!؟ عموماً لم أهتم، فكل شخص حر بما يرتديه أو يفعله، وكل ما كان يهمني هو المبلغ الذي سأحصل عليه بعد أن أوصلها حيث تريد، فسألتها قبل أن أدير محرك السيارة:

ـ مساء الخير يا آنسة، إلى أين ستذهبين؟

قالت لي باختصار وبصوت خافت:

ـ سر إلى الأمام فقط

قطبث حاجبي بحيرة، ولكنني لم أشأ أن أناقشها أكثر، وحركت السيارة كما طلبت مني..

لاحظت أنها لم تتحرك من مكانها أو حتى تتلفت يميناً أو شمالاً، ولم تتكلم أبداً، فقلت لها بعد أن سرنا مسافة قصيرة:

ـ هل تعرفين إلى أين ستذهبين؟

فردّت باختصار وبصوت جاد:

ـ فقط سر إلى الأمام، وسأخبرك عن وجهتي

سحبث نفساً عميقاً فكما بدا لي أن الفتاة لا تحب الحديث، لذا لم أشأ أن أضايقها فقررت أن أصمت إلى أن تقوم هي بتوجيهي نحو طريقها، ولكن بعد مضي أكثر من خمس عشرة دقيقة ظلت صامتة

خلالها، سألتها مجدداً:

ـ هل المكان بعيد عن هنا؟

لم ترد في البداية، ولكن بعد دقائق قليلة قالت لي:

ـ انعطف يساراً..

نظرت نحو اليسار فلم أجد أي طريق فرعي أسير فيه فقلت:

ـ سيدتي، هذا الطريق مستقيم تماماً، والمخرج أمامنا فهل أتّجه نحوه؟

ـ انعطف يساراً أرجوك.

شعرتُ بالحيرة ولم أفهم ما تعنيه، فلا وجود لطريق يأخذني نحو اليسار!! ولكن من بعيد وفي جهة اليسار لمحتُ وجود مزرعة كبيرة فسألتها:

ـ هل تريدين الذهاب إلى تلك المزرعة؟

ـ انعطف يساراً أرجوك

قررتُ أن آخذها نحو المزرعة لعلها تكون وجهتها، فبحثت عن أقرب مخرج وحولت إلى الطريق الفرعي لأستدير مجدداً وأدخل في طريق ضيق غير معبد، ورغم أن الوقت ما يزال مبكراً وما يزال قرص الشمس يتوسط السماء إلا أنني شعرت أن المكان يبدو مظلماً وكأننا في آخر النهار أو أول الفجر، ولا أعرف أيضاً لما شعرت ببعض الدوار وأنا أنظر إلى الطريق الوعر فسألتها:

ـ هل نحن في الطريق الصحيح يا آنسة؟

ـ أخبرتك أن تنعطف إلى اليسار، لكنك لم تفعل

ـ صدّقيني لا يوجد طريق فرعي يؤدي إلى اليسار، ولكن نحن الآن قرب مزرعة، فهل هذه وجهتكِ أم لا؟

لم تجبني، لذا أوقفت السيارة بجانب الطريق كي أتحدث إليها قبل أن أكمل سيري، فقد أدركت أنني تأخرت كثيراً عن المنزل وزوجتي تنتظري، ولا أريد أن أجعلها تقلق، وبعد أن أوقفت السيارة نظرت من خلال المرآة العاكسة كي أتحدث مع الراكبة لكنني لم أجدها!! خرجت من السيارة وأخذت أبحث عن الفتاة وأتلفت يميناً وشمالاً ولكن لا أثر لها في أي مكان!! شعرت حينها بالدهشة والقلق ورحتُ أتساءل: كيف اختفت بهذه السرعة وأنا لم أسمع صوت الباب يفتح!؟ ثم إلى أين ذهبت؟ فلا مكان قريب يمكن أن تختبئ فيه فنحن وسط طريق وعر وأقرب مكان هي تلك المزرعة، ولكنها على مسافة بعيدة ويستحيل أن تكون قد وصلت إليها من دون أن ألمحها على الأقل! ابتلعت ريقي بعد أن انتابتني فكرة أكثر خطورة وذعراً، فماذا لو أنني كنت أتوهم ولم يكن معي أي راكب؟ ماذا لو أنها كانت شبحاً أو مجرد وهم صنعته في عقلي لأنني كنتُ بحاجة إلى المال!؟ ضربت رأسي عدة مرات وأخذت أتلفت يميناً وشمالاً ثم استعذت بالله من الشيطان الرجيم وصعدت إلى سيارتي مجدداً، وما إن مشيت قليلاً حتى ظهرت أمامي مجموعة كبيرة من الغربان تحلق حولي في السماء بطريقة غريبة، أصابني الهلع والدهشة فزدت من سرعتي متمنياً أن تبتعد الغربان عن طريقي، ولكن فجأة ظهرت أمامي تلك الفتاة ولم أستطع أن أوقف السيارة أو أن أتفاداها فارتطمتُ بها

ورأيتها تطير في الهواء وتسقط على الأرض.

عندما فتحت عيني كنتُ أسمع صوت بوق السيارة يتردد بقوة في رأسي، فرفعته وأنا أشعر بألم فظيع وبصداع، واكتشفتُ أنني تعرضت إلى حادث وأن هناك دماء تسيل من جبهتي! ولكنني تذكرت الفتاة فأسرعت بالنزول من السيارة رغم شعوري بالدوار والتعب وعيني لا أكاد أرى بها بسبب سيلان الدماء! ووقفت أمام سيارتي أبحث عنها لكنني لم أجد أي أثر لها! لا جثة ولا أي شخص مصاب.. فقط بعض الغربان الميتة!!

أحسست بألم قوي في ساقي، وعندما تحسستها بيدي رأيت الدماء تسيل منها فأدركت أنني مصاب بجرح بالغ وربما بكسر أيضاً، وفجأة سمعت صوتَ هاتفي يرن، إنها زوجتي سمر فرفعتُ الهاتف:

ـ أهلاً حبيبتي.. أعتذر على تأخري، ولكن وقع حادث بسيط لي

سمعتُ صراخها يخترق أذني:

ـ ولماذا لم تخبرني منذ البداية؟ لقد أعددت العشاء وظللت أنتظرك وأنت لم تهتم حتى بالاتصال.

تنهدتُ بضيق وأحسست أن هناك طبولاً تقرع فوق رأسي من شدة الصداع

ـ عزيزتي تناولي العشاء، أنا سأذهب إلى المستشفى فربما قدمي مصابة

سمعتُ صوت الهاتف يغلق ولم أكمل جملتي بعد! فقلت في نفسي بسخرية: لها كل الحق في غضبها فقد أعدت العشاء وكان يجب أن

أخبرها أنني قد أتعرض إلى حادث لأن هناك فتاة غريبة قد ركبت معي في السيارة!!

عندما ذهبث إلى المستشفى أخبرني الطبيب أني بخير، وأنها مجرد جروح بسيطة قام بخياطتها ثم أعطاني مسكناً للألم، لكنني لم أستطع قيادة سيارتي بسبب شعوري بالدوار، فقررت أن أتصل بسيارة أجرة كي تقلني إلى المنزل، وبعد أقل من عشر دقائق من انتظاري اقتربت مني فتاة كانت تقود سيارة أجرة، فابتلعت ريقي وأنا أنظر إليها بدهشة وهي تقول لي:

ـ هل أنت السيد ماجد؟ هل طلبت سيارة أجرة؟

كنت أنظر إلى وجهها وملابسها ونظارتها الشمسية وتلك المظلة التي تضعها بالقرب منها على الكرسي المقابل، إنها هي نفس الفتاة التي صعدت معي، وكانت تبتسم بلطف وتبدو بخير تماماً

ـ تفضل يا سيدي بالركوب

فسألت نفسي: هل أركب معها أم أهرب؟ قاطعني صوتها

ـ سيدي هل تريد أن تركب كي أوصلك إلى وجهتك؟

لم يكن أمامي خيار آخر فجلست في الكرسي الخلفي، وقالت لي مباشرة:

ـ أين وجهتك يا سيدي؟

أخبرتها عن العنوان، ثم حركت السيارة بكل سهولة وسارت نحو منزلي. طوال الطريق كنت أشعر بالترقب والقلق وأفكر: هل سأصل

بسلام؟ أم أنني قد أتعرض إلى مصيبة أخرى؟ وفجأة قالت الفتاة:

ـ هل أنتَ مصاب؟ رأسك مغطى بالشاش؟

ـ نعم يا سيدتي، لقد تعرضت إلى حادث

ـ أوه، حمداً لله على سلامتك، هناك حوادث كثيرة هذه الليلة بسبب المطر، ولكن لا تقلق أنا أقود بحذر

وصلنا إلى الطريق السريع، واقتربنا من المكان الذي وجدتُ فيه الفتاة تقف عندما صعدتُ معي، وابتلعت ريقي وأنا أراقب ما قد يحدث. وفجأة شاهدت أنوار سيارات تضيئ خلف سيارة الفتاة، وكأنها تطلب منها التوقف جانباً.. حتى اقتربت إحدى السيارات وفتح سائقها النافذة ففعلت الفتاة نفس الأمر وسمعتُ الرجل يقول لها:

ـ سيدتي إحدى عجلات سيارتك الخلفية تبدو معقوبة

ـ حقاً؟! شكراً لك على تنبيهي

ثم ابتعدت السيارة وقررت الفتاة أن تتوقف لتتأكد، لكن أنا لم أكن أشعر بالراحة؛ فهناك أمر ما ينبئني بوقوع الخطر..

أخذت أراقب الفتاة وهي تنظر إلى عجلات السيارة واحدة تلو الأخرى ثم تقف عند إحداها وهي غاضبة، فخرجت من السيارة أنا أيضاً وقلت لها:

ـ لا مشكلة سأساعدك على استبدالها

فقالت وهي تنظر إلى ساقي المصابة:

ـ وكيف ستفعل ذلك وأنت مصاب؟

بالفعل أنا كنت مصاباً وأشعر بالدوار ولا أعتقد أنني أستطيع التوازن كي أساعدها في تبديل عجلة السيارة المعقوبة، ولكن لمحت سيارة تقترب من بعيد فقررت أن أشير لركابها كي يساعدوها. وعندما توقف السائق خرج من السيارة ثلاثة رجال، اقتربوا من الفتاة وسألها أحدهم وهو ينظر إليها نظرات خبيثة ويبتسم:

ـ ما بكِ أيتها الجميلة؟

ابتلعت ريقها ولاحظت توترها وهي تقول له:

ـ عجلة سيارتي معقوبة، وأحتاج إلى استبدالها فقط

عندها أطلق الرجل ضحكة قوية، بينما قام الرجلان الآخران بالإمساك بالفتاة، أما هو فأخذ يحدق إليها وقال:

ـ لقد طلبتِ المساعدة من الشخص المناسب يا عزيزتي، لقد كنا نبحث عنك.

حملوها على أكتافهم وهي تصرخ وتحاول مقاومتهم، فأخذت أركض خلفهم وأنا أصرخ وأستنجد ولكن لا أحد منهم اهتمّ بوجودي وكأنهم لا يروننني!!

لا أعرف كيف ظهرت تلك المزرعة أمامي ورأيتهم يدخلون إليها والفتاة تبكي وتصرخ، فألقاها الشاب على الأرض بعنف، فقررت أن أهجم عليه وأنقذها منهم، لكن الدوار منعني فسقطت على الأرض عاجزاً عن فعل أي شيء حتى إن لساني كان ثقيلاً ولم أستطع الصراخ أو طلب النجدة، فبحثت عن هاتفي في جيبي لكنني لم

أجده أيضاً!! أين اختفى؟! وكيف سأتصل بسمر كي أخبرها أنني سأتأخر؟

رأيتهم وهم يتناوبون على تعذيبها بقسوة وهي تصرخ وتستنجد من دون أن يرحموا ضعفها وخوفها، ثم أخذوا يضربونها ويركلونها بينما هم يشربون الخمر حتى خارت قواها وفقدت وعيها، فقال أحدهم:

ـ هل تعرفون من تكون هذه الفتاة؟ إنها ابنة ذلك العجوز أبي راشد

قال الشاب الثاني وهو يضحك ساخراً:

ـ هل تقصد عريس الغفلة الذي تزوج مؤخراً من فتاة أصغر من بناته؟

قال الآخر:

ـ وكيف عرفتها؟ إن بنات أبي راشد لا يعملن في مثل هذه الوظائف

ردّ الشاب مؤكداً:

ـ بل هي ابنته أنا أعرفها، لقد رأيتها عدة مرات عند محل الذهب القريب من مطعم والدي حيث أعمل.. كانت تبيع مجوهراتها، كما أنني أعرف سيارتها جيداً

فقال الشخص الثالث، والذي كان أكثرهم سكراً:

ـ علينا التخلص منها، إنها فرصتنا.. فقد جاءت إلينا بنفسها من دون أن نبذل أي جهد.

ـ وكيف نفعل ذلك؟

أخذوا يتلفتون حولهم وأدركوا أنهم في مزرعة مهجورة على طريق وعر، ولم يرهم أحد وهم يقومون بجريمتهم فقال الأول:

ـ لا مفر إذن.. سنقتلها ونخفي جثتها هنا

ـ وكيف سنفعل ذلك؟ أخبرني؟

صرخ السكّير :

ـ لا تتجادلا، أنا من سأخلّصكما منها

أخرج السكين من جيبه وطعنَ الفتاة عدة طعنات في أماكن متفرقة من جسدها حتى فارقت الحياة بسبب النزف الحاد، ثم قال وهو يضحك:

ـ قمتُ بمهمتي كما وعدتكما، والباقي عليكما

ظلا يفكران ويبحثان عن مكان مناسب لدفنها، أما أنا فقد اشتد صداعي وعجزت عن الحركة تماماً، ولم يكن أمامي سوى مراقبتهم والصراخ لطلب النجدة بين الحين والآخر رغم أنني لا أستطيع سماع صوت صراخي!! ورغم ذلك لم يهتموا بوجودي وكأنهم لا يسمعونني...

اقترحَ الأول قائلاً:

ـ سندفنها في حظيرة الدجاج، فالمكان مليء بالرمال، وسنستطيع إخفاء الجثة جيداً

ولكن الثاني قال مقترحاً:

ـ بل سنحرق جثتها، هذا أفضل

صرخ الأول معترضاً:

ـ يا غبي، سينتبه الناس إلى الحريق إن فعلنا ذلك

فصرخ الثاني أيضاً:

ـ عندما ندفنها قد يستطيع أي أحد أن يشم رائحة الجثة، أو قد تنبش الحيوانات الحفرة وتستخرجها.

كانا يتجادلان والثالث يضحك بسخرية، مما جعلهما يغضبان منه ويقومان بلكمهِ حتى فقدَ الوعي، فقال الأول بعد تفكير:

ـ الحل الأفضل أن نقطّع جثتها حتى لا يستطيع أي أحد أن يراها، وعندما تأتي الحيوانات وتنبش المزرعة سيكون لهم لحم مقطّع وجاهز للأكل

أخذا يضحكان، ولكن قال الثاني:

ـ ولكن كيف سنقطّعها؟ نحن لا نملك منشاراً أو سكيناً مناسبة.

ابتسمَ الأول بخبث:

ـ لا تقلق فالفتاة تحمل سلاح الجريمة في سيارتها، لقد أتت إلينا وهي جاهزة، فعندما بحثت في سيارتها كي أسرق محتوياتها وجدتُ سكيناً كبيرة لتقطيع اللحوم، يبدو أنها قامت بشرائها حديثاً.

ضحكا سوياً ثم أسرع الأول نحو السيارة وأحضر السكين وقاما بتقطيع الجثة بالتناوب، أما أنا فلم أكن أسمع سوى صوت هاتفي

الذي كان يرن، لا أعلم من أي اتجاه يأتي الصوت! حتى بدأت تخفت حولي جميع الأصوات وفقدتُ الوعي..

عندما فتحت عيني وجدتُ نفسي في المستشفى، وزوجتي تجلس بقربي وهي تبكي:

ـ أخيراً استفقتَ يا حبيبي

ابتسمتُ بصعوبة، وأنا لا أكاد أشعر بنفسي، وسألتها بصوت خافت:

ـ ما الذي حدثَ لي؟

مسحتْ على شعري، ثم طبعت قبلة على جبيني وقالت:

ـ لقد تعرضتَ إلى حادث، وكدتَ أن تفقد حياتك لولا رحمة الله بك

تذكرتُ الفتاة، فسألت زوجتي:

ـ هل الفتاة بخير؟

رفعت حاجبيها بدهشة، وقد بانَ الغضب على محيّاها:

ـ عن أي فتاة تتحدث؟

ابتلعتُ ريقي، واعتقدتُ أن كل ما حدث لي مجرد حلم، فقلت لها:

ـ أعتقد أنني كنت أحلم فقط.. لكن كيف حدثَ الحادث؟

أخبرتني زوجتي أن عناصر الشرطة وجدوني في أحد الطرق الوعرة، وكانت سيارتي محطمة بالكامل واعتقدوا أنني كنت ميتاً بداخلها!! هل هذا ما حدث فقط؟ ألم يجدوا فتاة؟ عن أي فتاة أتحدث؟ هل أنا مجنون؟!

في الأيام التالية انتابتني الكثير من الكوابيس، وأصبحت أعاني من الأرق ولا أستطيع أن أغفو حتى لبضع دقائق، فكلما أغمضت عيني كنت أفكر بالفتاة وما حدث لها، ولكن لم أحاول معرفة هل هي حقيقة أم مجرد كابوس انتابني أثناء غيبوبتي التي استمرت ثلاثة أيام بعد الحادث. وبعد أكثر من شهر على الحادثة عدتُ إلى مزاولة عملي مجدداً، ومررتُ بذلك الطريق وأخذت أنظر إليه وأنا أتذكر ما رأيته تلك الليلة، وأتذكر المزرعة وما حدث بها، ولكن لم أجرؤ على الذهاب إلى ذلك المكان، فأنا لا أعرف أصلاً إن كانت المزرعة مهجورة أم لا، فكيف سأدخل إليها وقد أتعرض إلى مشكلة انتهاك خصوصية ملكية خاصة.. أكملتُ طريقي وعدتُ إلى منزلي واستقبلتني سمر بحب وقد جهزت طاولة العشاء كعادتها، فاحتضنتها وقبّلتها، ثم أخرجت الكيس من خلف ظهري وقلت:

ـ تفضلي يا حبيبتي، هذه هديتكِ لهذا الشهر

شهقت بفرحة وهي تفتح الهدية، ولكن تحوّل فرحها إلى عبوس، وألقت بزجاجة العطر التي اشتريتها لها بالقرب مني، وقالت:

ـ ليست هذه الهدية التي طلبتها منك

ـ بل هي أنا متأكد، ألم تخبريني أنه عطركِ المفضل وتحبينه كثيراً؟

حدقت إلى وجهي بدهشة ثم قالت:

ـ يبدو أنك كنت تفكر بفتاة أخرى وليس بي أنا!! أنت تعرف أنني لا أحب العطور التي تحوي على رائحة الحلوى لأنها تزعجني، لقد طلبت منك خاتم ألماس ووعدتني أنك ستشتريه لي، هل نسيت؟

ـ شعرتُ حينها بمدى غبائي، ولكن لماذا قمت بشراء هذا العطر بالذات؟ وأين شممت رائحته من قبل؟!.....الفتاة!!

أردت أن أخبر سمر بشأن الكوابيس، لكنني خفت من ردة فعلها خصوصاً أن في الأمر فتاة، ولكن مع من أتحدث؟ هل أذهب إلى مفسر أحلام لربما يساعدني؟ قمت بهذه الخطوة وأنا أعرف مسبقاً أن ما سيخبرني به هو مجرد خرافات، لأنه لم يمر بما مررت به أنا، ولكن لم يكن أمامي خيار آخر. أمسكت بالهاتف وقلت للمفسر بعد السلام:

ـ لقد رأيت مجموعة من الشباب يوقفون سيارة أجرة كانت تقودها فتاة، ثم أخذوها واغتصبوها في مزرعة مهجورة، ثم قاموا بتقطيعها ودفن لحمها

وبعد برهة سألني:

ـ هل زوجتك تتحدث عن حياتكما الخاصة لأحد؟

ـ ما دخل زوجتي في الأمر؟!

الحلم يدل على أن زوجتك تتحدث عن حياتكما الخاصة للناس، أو أنها تخفي سراً خطيراً عنك يتعلق برجل.

تنهدت بضيق وشكرته ثم أغلقت الهاتف وأنا أشعر باليأس، قاطعني صوت سمر قائلة:

ـ لقد كنت أبحث عنك، ماذا تفعل في الغرفة وحدك؟

ـ لا شيء يا عزيزتي

وعندما انتبهت إلى الهاتف بيدي قالت بغضب:

ـ أخبرني الحقيقة، هل أنت على علاقة مع فتاة؟ هل أنت متزوج سراً؟

ـ لماذا تقولين ذلك؟ أنت تعرفين أنني أحبك ومستحيل أن أتزوج أو أحب غيرك

أخذت تبكي بحرقة:

ـ أنت كاذب، فأنا أراك شارد الذهن طوال الوقت، والآن تختبئ في الغرفة لتتحدث سراً مع أحدهم عبر الهاتف!

ـ تعالي كي أخبركِ من هي حبيبتي.. ولكن أنتِ من ستتصلين وليس أنا

أعطيتها الرقم، وعندما اتصلت رد عليها مفسر الأحلام فأغلقته بسرعة وهي تشعر بالخجل، ثم قالت:

ـ ولماذا تتصل بمفسر أحلام؟

ـ منذ الحادثة وأنا أعاني من كوابيس تؤرقني يا سمر، وخفت أن أخبرك بها فتثير قلقكِ.

ـ ما نوع الكوابيس التي تراها؟

بعد تردد أخبرتها بكل شيء وأضفت:

ـ لا أعرف إن كان ما رأيته مجرد كابوس أو هو أمر حقيقي تعرضت له!! فالغيبوبة أفقدتني الكثير من ذاكرتي.. وعندما عادت تدريجياً صرت لا أستطيع أن أفرق بين ما هو واقع وبين الكوابيس!

احتضنتني بحنان وقالت:

ـ لا تقلق أنا متأكدة أنها بسبب الحالة النفسية التي مررت بها، هذا ما في الأمر

ـ ماذا عن المزرعة؟ هل تعتقدين أنها مهجورة؟ وأن هناك جريمة قد حدثت فيها حقاً؟

قطبت حاجبيها الجميلين وهي تفكر:

ـ ربما، ولكن أرجوك لا تتصرف بغباء أو تحاول الذهاب إلى هناك.

فجأة رن هاتفها وكانت المتصلة والدتها فسمعتها تحدثها:

ـ أهلاً أمي... حسناً متى سنذهب؟... سأخبر ماجداً وأطلب منه أن يأخذنا إلى المحل إذن

ـ آخذكما إلى أين؟

لكنها أشارت لي بالصمت حتى أنهت المكالمة، وقلت معاتباً:

ـ لماذا تعدين والدتكِ بأمر أنا لم أوافق عليه؟

ـ لأنني أعرف أنك لن ترفض لي طلباً، وكل ما أريده هو أن تقوم بأخذنا أنا وأمي إلى محل الذهب لأنها تريد شراء هدية لأختي منار، فلا تنسَ أن زفافها قريب، وأنا أيضاً أريد شراء هدية لها

ـ ليس هذا الشهر يا سمر، تعرفين أنني أمر بضائقة مالية.

أنزلت رأسها بحزن ولم أستطع مقاومة جمالها عندما تحزن، فقلت وأنا أرفع رأسها نحوي وأقبلها:

ـ لك ما أردتَ يا حبيبة قلبي، فأنا لا أقدر على زعلكِ ولا أستطيع أن أرى هذه النظرة العابسة على محياك.

احتضنتني مجدداً وهي تضحك وقالت:

ـ أعرف ذلك.

في المساء أخذت سمر ووالدتها إلى محل المجوهرات وقامتا بشراء الهدايا، وبينما أنا أنتظر شعرت بالجوع قليلاً فأخبرتها أنني سأذهب إلى المطعم المجاور لشراء وجبة سريعة أسدّ بها جوعي، وعندما دخلت إلى المطعم وطلبت ما أريده، جلست على أحد الكراسي أنتظر، وفجأة سمعت صوتاً مألوفاً ينادي:

ـ السيد ماجد، ساندويش شاورما وعلبة عصير

رفعت رأسي نحو الصوت وقد أصابَ بدني قشعريرة جعلتني أنتفض! هذا الرجل أنا أذكره وأذكر صوته وضحكته الساخرة، إنه أحد أولئك الأشخاص الذين اختطفوا الفتاة في كوابيسي!! وضع طلبي أمامي على الطاولة بعد أن أشرت له وأنا أنظر إلى تفاصيل وجهه، فقال لي بغضب:

ـ لما تحدق إليّ بهذه الطريقة؟

ـ لا شيء، فقط كنت أعتقد أنني رأيتك من قبل

حدّق إليّ بدوره وقال:

ـ لا أذكر أنني رأيتك!! من أين تعرفني؟

شعرت بالخوف، ولكنني قلت مبرراً:

ـ ربما رأيتكَ هنا في نفس المطعم ولم أكن أعتقد أنك موظف

ابتسمت ببلاهة، لكن الشاب لم يبتسم أبداً، فاستأذنت وعدتُ إلى محل المجوهرات وقلت لسمر:

ـ هيا، لقد تأخرنا

ـ تأخرنا على ماذا؟ هل لديك مشوار مهم؟

ـ كلا، ولكن أنا أشعر بالجوع

حدقت إلى الكيس الذي بيدي، وقالت:

ـ ما هذا الطعام إذاً؟! عموماً لقد انتهينا تقريباً.

أنا متأكد أنه نفس الشخص الذي رأيته في كوابيسي ولكن كيف؟! إذن لم تكن مجرد كوابيس.. هل هذا معقول؟ دخلت سمر إلى الغرفة وأنا مستغرق في التفكير وجلست أمامي وهي تريني السوار الذي قامت بشرائه.

ـ ما رأيك يا عزيزي؟

ابتسمتُ وقبلت يدها بحب:

ـ إنه جميل لأنكِ أنت من تضعينه

قالت بدلال وهي تحرك السوار في يدها:

ـ شكراً لك يا حبيبي، وأنا أحبك لأنك دائماً تعطيني ما أريد

قررتُ أن أسألها عما أفكر به وقلت:

ـ هل تعرفين أو تعرف والدتك رجلاً عجوزاً يجلس في المسجد

دائماً اسمه أبو راشد؟

ـ نعم نعرفه، إنه أحد جيران عائلتي، لماذا تسأل عنه؟

سألتها رغم ترددي:

ـ هل لديه ابنة؟

انتفضت في مكانها بغضب:

ـ ولماذا تسأل عن بنات أبي راشد؟! ماجد.. أنت تثير مخاوفي

فهمتُ ما ترمي إليه من غضبها، ولكنني قلت بسرعة:

ـ كلا فقط أنا أتساءل، لأن هناك ما يضايقني وأفكر به منذ مدة.. هل لديه ابنة متوفية أو ضائعة مثلاً؟

جلست مجدداً وأخذت تفكر ثم قالت:

ـ نعم منذ أكثر من ثلاثة أشهر تقريباً اختفت ابنته ولا أحد يعلم أين ذهبت، وهناك أشخاص يقولون إنها هربت مع رجل بعد أن قامت ببيع مجوهراتها لنفس الصائغ الذي ذهبنا إليه اليوم، ولكن لا نعلم إن كان الأمر حقيقة أم مجرد أقاويل.

شعرت بالحرارة تسري في جسدي وقلت:

ـ هل كانت تعمل في قيادة سيارة أجرة؟

فتحت عينيها بدهشة:

ـ نعم، كيف عرفتَ هذا؟! فلا أحد يعلم بالأمر سوى المقربين منها، لأن والدها كان يشعر بالعار من عملها.

سحبتْ نفساً عميقاً وأخبرتها بما كنت أراه في الكابوس، فشهقت وقالت:

ـ هل تعتقد أن هذا الكابوس الذي تعاني منه هو رؤيا كي ترشدك إلى مكان جثتها؟ وكيف عرفت أنها ابنته؟

ـ أخبرتك أنني سمعت مَن عذّبها يقول ذلك، ويخبر الباقين أن والدها اسمه أبو راشد، ولكن يجب أن أتأكد أكثر

ـ وكيف ستفعل ذلك؟

ـ سأزور والدها وأحاول معرفة ما حدث.

بعد عدة أيام من التردد والتفكير قررت أن أذهب إلى منزل أبي راشد، وعرفت من والدة زوجتي أن الرجل منذ اختفاء ابنته لم يخرج من منزله، ولم يعد يذهب حتى إلى المسجد، وأضافت قائلة:

ـ تلك الفتاة بعد أن ربّاها والدها أحسن تربية وعوّضها عن حنان والدتها قامت بتشويه سمعته والهرب مع رجل

ـ أحسني الظن يا خالة، ربما الفتاة تعرضت إلى سوء ولم تهرب

ـ لو كانت تعرضت إلى شيء ما لعرفَ رجال الشرطة بذلك، لقد بحثوا عنها في كل مكان، وسألَ الجميع عنها ولم يرها أي أحد! لكنها كانت حاقدة على والدها لأنه قرر أن يتزوج بعد وفاة والدتها، وأعتقد أنها أرادت الانتقام منه.

ذهبت إلى منزل الرجل واستقبلني بود واحترام، وعندما جلست في مجلسه سألني:

ـ ما حاجتك يا ولدي؟

ابتسمث رغم إحراجي وقلت له:

ـ ما سأخبرك به يا عم قد يزعجك ولكنني مضطر، لأنه منذ الحادثة التي وقعت لي وأنا أعاني من الأرق ومن كثرة الكوابيس، وضميري يحتم عليّ أن أخبرك بما أراه

قطّب الرجل حاجبيه وقد ابتسم وقال:

ـ لكنني لستُ مفسر أحلام!!

سحبث نفساً عميقاً وقلت:

ـ أعرف يا عم، وأرجوك عندما أخبرك بما رأيت لا تغضب ولا تقاطعني حتى أنهي حديثي.

ظل الرجل صامتاً، فابتلعت ريقي بصعوبة وقلت:

ـ أنا أعمل في شركة، وبعد انتهائي من العمل أقوم بتوصيل بعض الركاب على طريقي لأكسب بعض المال، وفي إحدى الليالي الماطرة قبل شهر تقريباً، وبعد أن خرجت من عملي كان الطريق خالياً تماماً من الناس، وعلى الطريق السريع وجدت فتاة تقف وحدها، فتوقفت معتقداً أن سيارتها قد تعطلت، ولكن عندما صعدت إلى السيارة لاحظت أنها شاحبة ولم تتحدث بأي كلمة سوى أنها طلبت مني الانعطاف يساراً، ولم يكن هناك أي طريق يؤدي إلى اليسارا

توقفت قليلاً لأرى ردة فعله لكنه ظلّ يحدق إلى وجهي وقد لاحظت الحزن والقلق عليه، فأكملت حديثي:

ـ استمرت الفتاة بإرشادي نحو اليسار فشعرتُ بالضيق، وقررتُ أن اتجه إلى طريق فرعي وأعود إلى الخلف لعلّي أجد الطريق الذي تقصده، ولكن لم يكن أمامي سوى طريق وعر، وعلى بعد مسافة منه وجدت مزرعة قديمة ومهجورة!

صمتَ مجدداً، وأخذتُ أفكر كيف سأخبره بالآتي؟ فالأمر ليس سهلاً، ولكنني تشجعت وقلت:

ـ يا عم.. تلك الفتاة أمسكها ثلاثة رجال وأخذوها إلى المزرعة وقاموا بتعذيبها وبانتهاك جسدها، ثم اتفقوا على تقطيع جثتها ودفنها هناك.

فتح عينيه بذعر وقد انتفض جسده وسألني:

ـ هل رأيت ذلك بنفسك؟ أم أنه مجرد حلم؟!

ـ لا أعرف، وكأن ما حدث لي هو انتقال إلى مكان وزمان آخرين رغم وجودي في سيارتي، ولكن عندما عدت إلى وعيي كنت في المستشفى إثر تعرّضي إلى حادث أفقدني الوعي لمدة ثلاثة أيام

ـ متى حدث ذلك لك؟

ـ منذ شهر تقريباً أو أقل.

عمّ الصمت بيننا وكان كل منا يفكر في اتجاه، ونحاول أن نلتقي حول فكرة واحدة حتى قال:

ـ هل تذكر مكان المزرعة؟

ـ نعم وأعرف الطريق، ولكنني لم أتجرأ على الذهاب، فلربما تكون

مملوكة لأحدهم:

ثم سألني وقد لاحظت توتره:

ـ ماذا عن الأشخاص الذين رأيتهم يعذبون الفتاة، هل تعرفهم؟

ـ لا أعرفهم شخصياً، ولكنني رأيت أحدهم يعمل في مطعم قريب من هنا

ـ هل تقصد المطعم القريب من سوق الذهب؟

ـ نعم إنه هو، فهناك شاب يعمل فيه وهو نفس الشخص الذي رأيته في الكابوس

رأيت احمرار وجه الرجل وغضبه، ثم قال لي:

ـ خذني إلى المزرعة إذن

لم أستطع رفض طلبه، وأخذته إلى هناك بسيارتي وكنت أراقب وجهه بين الحين والآخر وأسأله:

ـ هل أنت متأكد بأنك تريد الذهاب إلى المزرعة؟

ظل الرجل صامتاً، وقد رأيته يمسح دموعه فلم أشأ أن أزعجه أكثر، وعندما وصلنا إلى بوابة المزرعة وقفنا ننظر إليها وقال لي:

ـ سأدخل أنا، وإن أردت مساعدتي سأكون شاكراً لك

ـ ألا تخشى من أنكَ تنتهك ملكية خاصة؟

أجابني بعد تردد:

ـ لا تقلق بهذا الشأن، أنا أريد أن أثبت للناس ولنفسي براءة ابنتي

مما قيل عنها، وسأفعل المستحيل.

ـ لكن ماذا لو لم تكن ابنتك هي المقصودة في الكوابيس؟

ـ سأكون قد أثبتُ لنفسي أن ابنتي لن تعود بأي شكل سواء ميتة أو هربت مع شخص كما يقولون، هل ستساعدني؟

وافقته على ما قاله؛ فهو أب ملكوم، وفوق كل هذا يسمع تلك الشائعات التي جعلته يخشى مواجهة الناس، فدخلتُ معه إلى المزرعة وأنا أتلفت يميناً وشمالاً وأتذكر الكابوس، ثم سألني:

ـ هل تذكر أين قاموا بقتلها في الحلم؟

أجبته وأنا أشير إلى منزل المزرعة المهجور:

ـ أذكر أنه في داخل منزل ربما يكون هذا، ولكن لست متأكداً، فقد كان عقلي مشوشاً

دخلنا إلى المنزل وكان خالياً تماماً إلا من بعض الأثاث القديم البالي وسجادة متسخة، وبعد تدقيق النظر في تلك السجادة لاحظتُ بقع الدم فابتلعتُ ريقي وأنا أتذكر الكابوس وكيف أنهم قاموا بتقطيعها، فأشرتُ إلى أبي راشد:

ـ انظر إلى هذه البقع، قد تكون بقع دم، يجب أن تتصل بالشرطة وتخبرهم

ابتسم بحزن ثم تنهّد وقال:

ـ وماذا سأقول لهم؟ أنكَ رأيت كابوساً أرشدكَ إلى مكان جريمة قتل؟ هل تعتقد أنهم سيصدقون ذلك؟

كم أنا غبي! لقد أوقعت نفسي في مأزق، فماذا لو لم يصدقني هذا الرجل واعتقد أنني مشارك في مقتل ابنته؟ ماذا سأفعل حينها؟ وكيف أبرر للشرطة معرفتي بكل تلك التفاصيل؟ قاطعني وكأنه قرأ أفكاري وقال:

ـ لا تقلق، أنا أعلم أنه لا دخل لك باختفاء ابنتي، ولكن يجب أن أتأكد أن الذي رأيته أنت له علاقة بابنتي وأنها هي المقصودة في كوابيسك كما تقول

ـ إذن ماذا ستفعل؟

أخذ ينظر إلى السجادة ثم قال:

ـ سأقتطع جزءاً من السجادة وآخذه إلى المختبر للفحص، وإن تأكدت أن الدم يعود لابنتي عندها سأرشدهم إلى المكان بنفسي ولن أخبرهم عنك.

شكرته لأنه لا يريد توريطي بهذه الحادثة، ولكني شعرت بتأنيب الضمير وقلت له:

ـ بل سأقف معك، وسأخبر الشرطة بما رأيت

لم يعلق، بل أحضر سكيناً من سيارته وقام بقطع جزء من السجادة ووضعه في كيس بلاستيكي..

عدت إلى المنزل وأخبرت سمر بما حدث، فأخذت تولول وتبكي وهي تصرخ:

ـ هل أنت مجنون؟ لقد وضعت نفسك في موضع تهمة، ولن يتركك

رجال الشرطة الآن.

لم أتحمل صراخها فقلت:

ـ هل تريدين أن أصمت عن جريمة قتل حدثت لفتاة بريئة؟

ـ ما دخلك أنت؟

ازداد صراخي علوّاً:

ـ أنا أرى الفتاة في كوابيسي كل ليلة تصرخ وتستنجد، ولن يهدأ لي بال قبل أن أتأكد مما حدث لها وأكتشفه.

لكن سمر لم تستطع الصمت، فقد أخبرت والدتها وإخوتها بالأمر، والجميع قاموا بلومي وبتحذيري، حتى إنّ أخاها الأكبر قال مهدداً:

ـ إن تمّ اعتقالك فسأجبرك على أن تطلّق أختي رغماً عنك

لكنّ سمر قالت له:

ـ لن أترك زوجي، ولكن لا أريده أن يقع في ورطة.

احتدّ النقاش بيننا، ولم أستطع سوى الخروج من منزلهم، وعدت إلى منزلي وحدي تاركاً سمر حتى تهدأ وتفكر بشكل سليم..

وقبل أن أضع رأسي على وسادتي وردني اتصال من رقم غريب ففتحت الخط:

ـ ألو من المتصل؟

ـ هل أنتَ ماجد؟

ـ نعم أنا هو، من المتصل؟

فقال مهدداً بنبرة غاضبة استفزتني:

ـ أعدكَ أنك ستندم على ما فعلته، وإن لم تتوقف وتخبر ذلك العجوز أن ما رأيته كذب ستندم أنت وعائلتك أيضاً.

ـ ومن تكون أنتَ حتى تهددني أيها الأحمق؟

ولكن انقطع الاتصال، ومنذ تلك اللحظة لم أعد أتحمل أكثر، فقررت أن أذهب إلى مركز الشرطة وأن أخبرهم بكل شيء بنفسي.

قابلت الضابط وأخبرته بموضوع الكوابيس، وكذلك بالاتصال الذي وردني والتهديد الذي تعرضتُ إليه، وكذلك أخبرته أنني تحدثت مع أبي راشد بنفس الأمر. أخذ الضابط يحدق إليّ وقد لاحظت على وجهه علامات عدم التصديق لكنه قال:

ـ إذاً هل تستطيع أن تدلنا على الفاعل؟

ـ أنا لا أعرفه شخصياً، ولكن كما أخبرتك لقد رأيته يعمل في المطعم، أما الرجلان الباقيان فلا أعرف عنهما أي شيء!!

طلب مني أن أذهب برفقة أحد رجال الشرطة إلى المطعم وأدلهم على الرجل الذي يعمل هناك، من دون أن ينتبه.. فقد ارتدى رجل الشرطة ملابس مدنية وذهبت برفقته.. وعندما دخلنا أخبرت رجل الشرطة عنه, أشرتُ إليه ناحية الشاب الذي كان يجلس في الاستقبال ويأخذ طلبات الزبائن. وبعد ذلك عدنا إلى المركز وظللت أنا أنتظر أن أتحدث إلى الضابط الذي قال لي:

ـ حسناً، سنتركك تذهب وتعود إلى منزلك، ولكن لا تحاول الابتعاد.

وعندما نقوم بالاتصال بك يجب أن تكون موجوداً، وإلا سنعتبرك مشاركاً في الجريمة.

أردتُ أن أدافع عن نفسي، لكن الضابط منعني من الحديث، فعدت إلى منزلي وأنا أنتفض خوفاً وأتخيل كيف سيكون مصيري لو لم يصدقوني.

مرت عدة أيام ولم يتصل بي أي أحد، لا الشرطة ولا الشخص الذي هددني ولا حتى أبو راشد. أما سمر حبيبتي فقد طلبتُ منها البقاء في منزل عائلتها عدة أيام حتى أستطيع أن أصفي ذهني قليلاً، بينما هي أخذت تبكي غير مصدقة:

ـ أنت كاذب، وتريد الزواج من فتاة أخرى

تنهّدتُ بضيق وأنا أسمع بكاءها على الهاتف:

ـ أرجوكِ يا حبيبتي لا تقولي ذلك، أنت تعرفين أنني أحبكِ، ولكن بسبب ما أمرُّ به أفضل أن تبقي عند عائلتك عدة أيام فقط، اعتبريها فترة استرخاء، كما أنك تقومين بمساعدة والدتك للتحضير لزفاف أختكِ، وهذه فرصة كي تجلسي معها

ـ لكنكَ تعرف أنني لا أستطيع الابتعاد عنك

كلماتها تلك أشعلت لهيب الشوق في قلبي، ولكنني قلت لها:

ـ وأنا أيضاً يا عمري، وأعدكِ أنني سأشتري لك هدية ستعجبك كثيراً بعد أن أنتهي من هذه القضية.

هدأ بكاؤها وقالت بدلال:

ـ هل تعدني أنكَ ستشتري الخاتم الماسي الذي وعدتني بشرائه قبل مدة؟

كم أعشق تلك الطفلة التي تزوجتها، فبالرغم من طول لسانها إلا أنني أعشقها إلى حد الجنون مهما بدت متسلطة أو متطلبة.

في اليوم التالي قررتُ أن أتحدث مع أبي راشد لعلّي أعرف بعض الأخبار، ولكن عندما قمت بالاتصال به لم يجبني أحد!! فظننت أنه مشغول، ولكن بعد أن أعدت الاتصال عدة مرات وفي أوقات مختلفة من دون أن يُجبني أدركتُ أنه حدث خطب ما للرجل، فقررت أن أزور منزله، فطرقت الباب وأجابتني خادمتهم:

ـ بابا ليس هنا، إنه مسافر

ـ سافر؟! إلى أين؟

ـ لا أعلم

عدتُ إلى منزلي وأنا أشعر بالحيرة، فكيف يسافر والشرطة تبحث عن ابنته؟ وقد فتحت ملف القضية مجدداً!؟ في المساء وردني اتصال من رقم غريب فشعرت بالتوتر، ولكنني قررت أن أجيب:

ـ ألو من المتحدث؟

ـ أنا أبو راشد.. أعلم أنكَ قمت بزيارتي اليوم في المنزل، ولكن الشرطة منعتني من الحديث مع أي أحد وقررتُ أن أسافر وأبتعد لبعض الوقت حفاظاً على حياتي

ـ لماذا؟

ـ لأنني تعرضتُ إلى التهديد أيضاً، ولكن سأخبرك بما حدث... لقد ألقوا القبض على الشاب الذي يعمل في المطعم، وربما هذا ما أثار غضب المجرمين الآخرين وجعلهما يهدداني.

ـ ألم يتم القبض عليهما أيضاً؟

ـ لا أعرف إن كان المجرم الأول قد شهد ضدهما أم لا، فما زال التحقيق جارياً حتى الآن.

شعرتُ بالخوف على نفسي مما قد يحدث، فأكمل أبو راشد حديثه:

ـ حاول أن تبتعد أنت أيضاً، ولا تتحدث إلى أحد، ولا تخبر أحداً بأي تفاصيل حتى الشرطة كي لا تتورط في القضية أكثر.

أغلقت الهاتف وأخذت أفكر بكل ما قاله وأحاول أن أجد مخرجاً مما وقعتُ فيه، فقررت أن اتّجه إلى مركز الشرطة، وعندما أخبرت الضابط بما قاله أبو راشد لي رأيته يسحب نفساً عميقاً ويقول بعدها:

ـ والدها متورط أيضاً، وهو هارب الآن خارج البلاد، ونحن نحاول أن نعرف مكانه.

صعقني ما قاله الضابط! وأحسستُ بقشعريرة تسري في جسدي، وظللتُ صامتاً حتى قال الضابط:

ـ زوجة والدها هي من حرّضت هؤلاء الشباب كي يضايقوا الفتاة ويشوهوا سمعتها، ولكنهم وكما أخبرتنا تمادوا في الأمر وقتلوها.. وعندما علم والدها بكل ما حدث فضّل أن يخفي الأمر عن الشرطة

كي لا تتعرض زوجته الجديدة إلى السجن، خصوصاً بعد أن زادت مشاكل ابنته المقتولة مع زوجته وبدأ يشك بها، خصوصاً أنها لم تخبره بعملها كسائقة أجرة، واعتقد أنها تخرج مع رجال وتحاول الهرب من المنزل.. القصة طويلة ومعقدة يا سيد ماجد، ولكن أرجوك إن كنت تعرف مكانه أو أي شيء عنه أخبرنا به، حتى لا تكون أنت أيضاً من المشتبه بهم.

ـ لقد أخبرني أنه مسافر، وأنه تعرض إلى التهديد، هذا كل ما عرفته منه فقط.

أخذت أفكر وأنا في حالة صدمة، كيف يفعل أب ذلك بابنته؟ كيف يخفي أدلة تدين هؤلاء المجرمين فقط كي ينقذ زوجته من العقاب؟! شعرت بصدمة قوية وازداد خوفي على نفسي وعلى سمر التي ما زالت تطالبني كل يوم بالعودة إلى المنزل وأنا أرفض عودتها حتى تنكشف الأمور وتتوضح.

في أحد الأيام بينما كنت متجهاً إلى عملي صباحاً لاحظت أن هناك سيارة شبابية تتبعني، فأخذت أراقبها وأحاول تضليل راكبيها عن وجهتي ولكن بلا فائدة، حتى قررت ولا أعرف لماذا أن أسير في طريق المزرعة المهجورة وأرى إن كانوا سيلحقون بي أم لا، ولكنهم استمروا في ملاحقتي حتى توقفت عند المزرعة وظللت بداخل السيارة وأنا أرتعد خوفاً متمنياً أن يتركوني وشأني، وبعد برهة رأيت شابين ينزلان من السيارة ويقتربان مني ببطء، فأسرعت بتحريك سيارتي وهربت منهما إلا أنه فجأة ظهر أمامي شخص لم أستطع رؤيته جيداً فحاولت أن أتفاداه لكنني لم أستطع أن أسيطر

على قيادتي وارتطمت بعمود الإنارة.

فتحت عيني لأجد نفسي مطروحاً على الأرض وهناك من يجلس على صدري وينظر إلي بغضب، وعندما التفتُّ لاحظت أنه يحمل سكيناً بيده فابتلعت ريقي وحاولت الحديث معه وتحريك جسدي ولكنني لم أستطع، خصوصاً بعد أن أحسست بسيل الدم على رأسي، فقال لي وهو يبتسم بخبث:

ـ لقد وضعت نفسك في مأزق أيها المغفل.

حاولت أن أتفادى ضربات السكين، لكنه سدّد ضربة إلى كتفي فصرخت طالباً النجدة، فأخذ يضحك بشدة وقال:

ـ أتستنجد أيها الجبان؟ إذن انظر إلى هناك

عندما التفتُّ إلى حيث أشار رأيت الرجل الآخر يمسك بفتاة كانت تبكي وتصرخ!! أنا أعرف هذه الفتاة، إنها حبيبتي سمر، لماذا يمسكون بها؟! أخذت أتلوى وأصرخ وأشتمهم:

ـ اتركوها وشأنها لا دخل لها بالأمر، أيها الجبان أنت لا تقدر إلا على النساء، إن كنت رجلاً اتركها وتعالَ إلى هنا و واجهني.

كانوا يضحكون ويسخرون مني بينما سمر تصرخ وتستنجد بي، وأنا أشعر باليأس والقهر، وفجأة سمعت صوت الغربان تزعق في كل مكان حولنا، وعندما رفعت رأسي إلى السماء وجدت سرباً هائلاً منها يحيط بنا ويدور بطريقة غريبة!! وشيء ما طلب مني أن أهدأ وأغمض عيني، ولا أعرف كيف أطعته رغم سماعي لصراخ سمر وضحكات أولئك الأوغاد...

لم أفتح عيني ولم أتحرك كما طلب مني الصوت الذي سمعته في عقلي، وفجأة تحولت ضحكاتهم إلى صراخ وأنين، وأحسست أن الرجل الذي يجثم فوق صدري قد ابتعد، وصوت صراخ سمر قد توقف!! هل أفتح عيني الآن؟ ولكن ماذا سأرى؟ هل أحلم؟ أو ربما ما يحدث حقيقة؟! فتحت عيني ببطء ووجدت نفسي ما أزال على الأرض وسمر تجلس بقربي وهي تبكي وترتجف، وعندما رفعت رأسي وجدت الرجلين قد قتلا بطريقة بشعة وقد تمزقت جثتهما، وفجأة سمعت أحداً ما يقول:

ـ اتركا المكان ولا تعودا إلى هنا مجدداً

التفتُ إلى الصوت النسائي خلفي، وكانت هناك فتاة ترتدي ملابس ممزقة ووجهها شاحب تقف على مسافة بعيدة منا، وتحمل بيدها سكيناً ملوثة بالدماء، وأكملت قائلة:

ـ شكراً لك، لقد استطعتُ أن أنتقم ممن ظلمني ودنّس جسدي وشوّه سمعتي، والآن ابتعد من هنا ولا تعد.

أمسكت سمر من يدها وصعدتُ إلى سيارتي وأسرعت نحو المنزل من دون أن أتحدث بأي كلمة رغم بكاء سمر المتواصل ودهشتي.

عندما وصلنا إلى المنزل، جلستُ في مكتبي وحدي أفكر بكل ما حدث، وأنظر إلى يدي المرتجفة وأتلمّس وجهي متسائلاً:

ـ هل ما مررتُ به حقيقي؟!

أسرعت نحو سمر وسألتها:

ـ ما الذي حدث هناك؟ وكيف أمسكا بكِ؟

لم تتحدث سمر بل ظلت تبكي بصمت، شعرتُ أنّ هناك شيئاً غريباً فأعدتُ السؤال ولكن هذه المرة بإصرار فقالت لي بتردد:

ـ سامحني يا ماجد، أنا لا أستحقك.

فتحت عيني بدهشة:

ـ ما الذي تقصدينه؟

ازداد نحيبها، ولكنني أجبرتها على الحديث فقالت:

ـ لقد قمت بخيانتك، لكنني لم أقصد أذيتك أبداً، ولم أتوقع أن ترتبط الأحداث بهذه الطريقة، لقد تعرفتُ على الشاب الذي يعمل في المطعم، وحدثت بيننا علاقة غرامية قبل خمسة أشهر..

خمسة أشهر!! أي بعد زواجنا بأقل من شهرين فقط!! أكملتُ قائلة:

ـ لم أكن أتوقع أن كل هذا سيحدث، ولم أكن أدري بما فعله الشاب بالفتاة المسكينة، ومساء أمس قام أحد أصحابه بالاتصال بي وأخبروني أنه يحتاج إلى مساعدتي، واتفقت معه أن ألتقي به هذا اليوم.

أخذت تبكي وأنا أنظر إليها وكأنني لا أسمعها!؟ سمر حبيبتي تخونني مع بائع في مطعم ومجرم! لماذا؟! لكنني لم أفعل أي شيء لها، لم أغضب منها ولم أضربها أو أصرخ في وجهها، وكل ما فعلته هو أنني خرجتُ من المنزل وصعدتُ إلى سيارتي، وذهبت إلى مركز الشرطة وأخبرتهم بكل ما حدث

ـ من قام بقتل الرجلين إذن؟

ـ لا أعرف يا سيدي الضابط، لقد كانت هناك فتاة تحمل سكيناً، وقامت بشكري لأنني ساعدتها على الانتقام.

تمّ استدعاء سمر لتأكيد الحادثة، وشهدت بكل ما رأته قائلة:

ـ كان الرجلان يحاولان قتل ماجد والتخلص منه، كما أنهما قاما بتهديده بقتلي، ولكن فجأة رأيتهما يصرخان ويتصرفان بجنون، وشاهدت فتاة تظهر من المزرعة وهي تحمل سكيناً، ثم سقطا على الأرض بلا حراك، وقد تقطّع جسداهما وتشوّها.

سألها الضابط:

ـ هل تعرفين الفتاة؟ أو هل رأيتها من قبل؟

ـ نعم، إنها ابنة أبي راشد جارنا، والتي اختفت منذ مدة.

استمر البحث عن الفتاة عدة أيام، ولكنهم لم يجدوا أي أثر لها، وكذلك لم يجدوا أي أثر لأبي راشد الذي هربَ وترك كل شيء خلفه.

أما أنا وسمر فقد انفصلنا بعد أن اعترفت لإخوتها بعلاقتها مع المجرم وبكل ما حدث. وعدت إلى منزلي وحدي أنظر إلى باقي ذكرياتي معها، وسألتُ نفسي: هل كنت سعيداً بزواجي من سمر؟ هل أحبّتني أم أحبت الهدايا التي كنتُ أقدمها لها كل شهر؟ يا ترى هل كانت تهدي حبيبها من تلك الهدايا والأموال التي أغدقها عليها؟ تنهدت وأنا أستلقي على السرير وأغمض عيني محاولاً نسيان كل شيء كي أبدأ من جديد.

بعد عام كامل، وبينما كنتُ عائداً إلى منزلي، رأيت شابة تقف على قارعة الطريق وهي تشير إليّ كي أتوقف.. اقتربتُ منها ببطء وأنا

أنظر إليها وشعرت بالدهشة والحيرة!! إنها نفس الفتاة المقتولة، هل أتوقف؟ أم أتركها وأبتعد؟ مررت بالقرب منها ولم أتوقف، أما هي فأخذت تنظر إليّ وهي تبتسم بينما أنا أبتعد عن طريقها.

صدّقتُ وهماً

تعالى صوت صراخ أختي الهستيري داخل الغرفة بينما كنتُ أقف خارجها أبكي وأقرأ آيات من القرآن الكريم، وأضع يدي على قلبي الذي شعرتُ أنه سيقفز من صدري من شدة الخوف، ثم توقف الصراخ فجأة، فوضعت أذني على الباب كي أستمع..

ما هي القصة؟!....

مرت أكثر من خمس سنوات منذ أن تخرجت من الجامعة وأنا بلا عمل ولا زواج، بلا حتى أي هدف أضعه أمام عيني، فأمسي مثل غدي ويومي يقتلهُ الروتين الممل بين جدران المنزل، والشعور بأنني بلا أهمية يجعلني أزداد حزناً وقلقاً. عندما دخلت أختي الصغرى ريم إلى المنزل وهي تحمل شهادتها الجامعية لتبشر والدتي بنجاحها قلتُ بلا تفكير:

ـ وما فائدتها؟ ستضعينها في الدولاب وتنسينها بعد عدة أشهر كما حدث معي.

لاحظتْ ضيقها، فشعرت بتأنيب الضمير وقلتُ مشجعة لها:

ـ ولكن ربما يكون حظكِ أفضل مني، فتخصصكِ مطلوب بعكس تخصصي الذي تعبتُ من أجل أن أحصل فيه على أعلى الدرجات، وفي النهاية لم أجد أي وظيفة.

ابتسمت ريم بلطف وقالت:

ـ أنا أفكر في افتتاح مشروع مصممة ديكور، ما رأيكِ يا ليلى؟

ابتسمتْ بسخرية، ولكن لم أشأ أن أقلل من أهدافها وقلت:

ربما ينجح، لكن عليكِ أولاً أن تدرسي المشروع جيداً، وتري حاجة السوق والناس إلى مثل هذه المشاريع.

قالت أمي:

ـ ومن سيدفع مبلغاً من المال كي تصممي له منزله يا ريم؟! الناس يقتصدون قدر استطاعتهم عندما يبنون منازلهم.

ـ هناك الأثرياء ورجال الأعمال والمشاهير

ـ هؤلاء سيبحثون عن مصممين معروفين، لن يلتفتوا إلى مصممة مبتدئة مهما كانت مهارتك عالية.

تنهدت ريم بحزن، ثم حملت شهادتها ودخلت إلى غرفتها وأنا أفكر بمصيرها ومصيري، فرغم أن تخصصي كممرضة مطلوب، إلا أنني لم أجد أي فرصة للعمل، ولم تتواصل معي أي شركة أو مستشفى من أجل العمل. وكم حاولت والدتي إقناعي بافتتاح مشروع لكنني رفضتُ قائلة:

ـ لقد درستُ وتعبت من أجل تحقيق حلمي بأن أصبح ممرضة، فكيف بعد هذا التعب أفتتح مشروعاً لا علم لي به سوى أنني أريد كسب المال؟!!

ـ لكن هذا التخصص لم يعد الإقبال عليه كالسابق، استغلّي مهارتك في الطبخ وافتتحي مشروعاً تعملين فيه أنتِ وأختك وتكسبين المال من ورائه، أفضل من الجلوس بلا هدف. وعندما يتم قبولك في وظيفة مناسبة تستطيعين التوقف عن المشروع المؤقت.

ـ كلا يا أمي لن أفعل شيئاً كهذا، فأنا خريجة جامعية، ولن أقبل على نفسي أن ألفّ ورق العنب أو أن أغلف حلويات فقط لأنني أريد كسب المال، هذا لن يحقق طموحي.

والآن مرت أكثر من ستة أشهر ولم تستطع أختي أن تجد أي وظيفة سوى عمل بسيط على الأنترنت قائم على النسبة، وليس لها أي مميزات أو راتب ثابت.

في أحد الأيام وكعادتنا كنا نجلس أنا وريم في أحد المقاهي ونتحدث حول حظنا العاثر وحياتنا المملة، فاقتربت منا فتاة كانت تعرف ريم من الجامعة، وعرّفتني بها ريم قائلة:

ـ هذه صديقتي نهال، أعرّفكِ بأختي ليلى يا نهال.

كانت الفتاة جميلة جداً وبشرتها مشرقة صافية ولا يشوب جمالها أي شيء، بالإضافة إلى ملابسها الأنيقة: حقيبتها والتي تبدو أنها من أرقى الماركات العالمية. سلمتْ عليها ثم طلبتْ منها أختي أن تجلس معنا، لكنها رفضت متعللة بانشغالها قائلة:

ـ تعرفين يا ريم أنّ اليوم هو موعد جلسة اليوغا مع المدربة كاترينا.. إنني أنتظره منذ شهر تقريباً، ويجب أن لا أفوته.

سألتها ريم:

ـ هل ما زلتِ تمارسين هذه الأمور وتصدّقينها؟

ضحكت نهال:

ـ طبعاً أصدقها! ولا أعرف لماذا تنكرينها أنتِ وتسخرين منها! في

الحقيقة قبل أسبوع طلبث منها عبر الأونلاين أن تعطيني حصة خاصة كي أعيد توازن وتنظيف الهالات الخاصة بجسدي، وأحصل على وظيفة أو أي فرصة تجعلني ثرية، ولم تبخل عليّ بعلمها خصوصاً في قانون الجذب. وتوقّعي ما الذي حدث!!

فتحنا أعيننا بترقب، فأكملت نهال قائلة وهي تبتسم بفخر:

ـ تقدّم لي رجل أعمال، وقريباً سأتزوج وأحقق أحلامي.

أخذت نهال تمتدح جلسات التأمل مع مدربتها العالمية، والتي أتت من بلدها لتنشر الحب والإيجابية على حدّ قولها، وأضافت قائلة وبكل ثقة:

ـ لقد درست المدربة كاترينا على يد أشهر المعالجين والمدربين في أوروبا والصين، كما أنني اشتركث في دورة ستقيمها بعد عدة أسابيع، وربما أذهب معها في رحلة قريبة إلى تايلند لتعلّم تقنيات جديدة لم يسبق لأي مدرب أن مارسها من قبل.

ـ كاترينا!؟ هل هي أجنبية؟

ـ والدتها من جنسية أجنبية ووالدها عربي، لذا هي مثقفة وتتحدث عدة لغات أيضاً

صمتث لبرهة، ثم قالت لنا مقترحة:

ـ ما رأيكما لو تحضرا حصة واحدة من هذه الدورة، وتريا ما تفعله وتقوله بأعينكما؟ وربما تقتنعا يا ريم بحديثي.

لم أكن مقتنعة بحضور تلك الدورات، ولكن ريم كانت متحمسة

للفكرة، فقلت لها إننا سنفكر بالأمر وربما نجرّب. ابتسمت بلطف ثم ودّعتنا، وبعد أن ابتعدت قلتُ لأختي:

ـ ما شاء الله بشرتها جميلة جداً وكأنها تضع فلترا بعكس بشرتنا المرهقة والجافة.

أخذنا نضحك ونسخر من أنفسنا، ثم قالت ريم:

ـ بشرة نهال لم تكن بهذا الجمال من قبل، بل كان لديها حبوب ونمش خصوصاً بالقرب من ذقنها وخدّيها وبعض السواد حول عينيها، ولكن لا أعرف ماذا فعلت ببشرتها حتى تتحول بهذا الشكل!!

ـ آه... أتمنى لو تصبح بشرتي صافية وأتخلص من الجفاف الذي أتعبني.

ـ ربما انضمامها إلى تلك المدربة هو ما ساعدها على شفاء بشرتها. ألم تسمعي ما قالته بخصوص قانون الجذب وحصولها على زوج ثري؟

أخذتُ أفكر بما قالته ريم وصديقتها نهال حول دروس التأمل، وفائدة إعادة التوازن في الطاقة. وأخذت أبحث عن حساب المدربة في وسائل التواصل، وما رأيته جعلني أقتنع تماماً أن هذه السيدة متفانية جداً في عملها وتعطي طلابها ما تعرفه بكل حب.. ابتسامتها الدائمة في مقاطع الفيديو، ومدحها للمرأة واهتمامها بتطوير الحياة، وحديثها عن نشر الحب والسلام جعلني أفكر جدياً بالانضمام إلى إحدى دروسها، وعندما أخبرت ريم بذلك شجعتني أيضاً قائلة:

ـ بصراحة شعرت بالغيرة من نهال عندما أخبرتني أنها ستتزوج

من رجل ثري، وفكرت جدياً بالالتحاق بدورات المدربة كاترينا لعلّي أستطيع جذب الثراء لي أيضاً

سألتها مستفسرة، فالكلمة غريبة جداً:

ـ جذب الثراء؟ ما هذه الكلمة؟!

ـ أجل يا ليلى هذا ما تفعله المدربة تماماً، فهي تجذب لكِ الطاقة الكونية التي تصنع لكِ ما تريدينه معتمدة بذلك على مدى قوة الشاكرات في روحك. فالإنسان بذاته هو معجزة، ويستطيع فعل المعجزات لو أنه استخدم قواه الروحية وطوّرها.

ـ كلمات غريبة لأول مرة أسمعها!!

ضحكت ريم بسخرية:

ـ لا تقلقي فإن قررتِ الانضمام إلى الدورات ستفهمين كل شيء، وربما ترينَ العجب.

بعد أسبوع ذهبنا إلى أول جلسة وأول لقاء لنا بالمدربة كاترينا، ولكن عندما دخلنا إلى المركز استقبلتنا إحدى الموظفات وكانت ملامحها جادة وكأنها رجل آلي حتى إنها لم تبتسم، فاقتربتُ منها وسألتها عن المدربة وكيف أنضمُ إليها فردت قائلة حتى بدون أن تنظر إلي:

ـ المدربة كاترينا تقيم دورات خاصة لكبار الشخصيات فقط.

ـ لكن هذا مختلف عما هو مكتوب في الإعلان!!

حينها رفعت عينيها نحوي وقد لاحظتُ أنها تنظر إليّ بوقاحة

وقالت:

ـ نعم الإعلان واضح وحقيقي، ولكن تخيّلي أنها ستقيم دورات للجميع طوال اليوم؟ هل تعتقدين أنها تستطيع ذلك؟! لذا تقتصر دوراتها على كبار الشخصيات، أو من يدفع السعر المحدد لهذه الدورات، وهناك منشور خاص تحت عنوان: دورات الشخصيات المهمة

رفعتُ حاجبي بدهشة:

ـ ومن سيعطينا الدورات إذن؟ كما أن المبلغ الذي دفعناه لم يكن بسيطاً.

كانت الموظفة منزعجة من أسئلتي، لكنها أجابت:

ـ يوجد لدينا أكثر من خمسة مدربين ومدربات.. تستطيعين الاختيار بينهم وتنضمين إلى أي حصة مناسبة لكِ.

التفتُّ إلى أختي التي أضافت قائلة:

ـ نحن مبتدئات، وهذه أول مرة نجرب ولا نعرف ما المناسب لنا

أعطتنا الموظفة ورقة، وقالت وهي تشير إلى إحدى الغرف:

ـ اذهبنَ إلى تلك الغرفة وتحدّثن مع المدرب

ـ المدرب رجل!؟؟ لكننا لا نريد من رجل أن يدرّبنا

ـ أنتما في مكان عام والغرفة فيها أكثر من عشرة أشخاص، إذن لن تكونا في خلوة مع المدرب يا آنسة. ثم إن المركز محترم ولديه تصريح لمزاولة هذا العلم.

لم يكن أمامنا خيار آخر، وعندما وصلنا إلى الغرفة لاحظنا وجود رمز صيني غريب على كل غرفة لم نفهم ما يعنيه، فطرقتُ الباب واستأذنا في الدخول، وكان جميع الأشخاص الموجودين فيها يجلسون على الأرض بوضعية التأمل وبصمت تام، فأشار لنا المدرب بأخذ إحدى السجادات والجلوس بنفس الوضعية من دون أن يتحدث أو يرحب بنا.. أخذت أنظر إلى وجوههم ثم إلى وجه المدرب والذي كان شاباً وسيماً ولا يبدو أنه عربي حتى، وجلست على الأرض بنفس وضعيتهم وكذلك فعلت أختي ريم.

بعد مرور أكثر من نصف ساعة ونحن نستمع إلى الموسيقى ونقلد تنفس المدرب الذي كان صوته كالمنوم المغناطيسي، شعرت بنعاس وكدت أنام في مكاني، لكن فجأة قال المدرب:

ـ والآن عليكن أن تتنفسن بهذه الطريقة كل يوم ولمدة نصف ساعة على الأقل، ويوماً بعد يوم سيزداد الوقت حتى قد تصلنَ إلى خمس ساعات أو أكثر.

لاحظت أن جميع المتدرّبات في حالة هدوء حتى إنهن لم تتبادلنَ الحديث مع بعضهن بعضاً، بل نهضنَ من أماكنهنّ وأعدنَ السجادات إلى الرف ثم خرجنَ من الغرفة!! اقتربتُ من المدرب الذي كان ما يزال يجلس على الأرض وبالقرب منه قطعة ملفوفة من الأعشاب الغريبة كان يحاول إشعالها، فألقيتُ التحية عليه وابتسم بلطف وسألني:

ـ أنتما مستجدتان أليس كذلك؟ لقد نشرتما التوتر بين المجموعة.

شعرتُ بالحرج وقلت:

ـ لم نكن نقصد ذلك، ولكن اعتقدنا أنه سيتم توجيهنا أولاً وإعطاؤنا معلومات أولية عن الدورة وكيف نتصرف.

أخرجَ حزمة من الأوراق من أحد الأدراج، وقال وهو يضعها أمامنا:

ـ كل ما ستتعلمانه هنا سيكون عملي ومباشر، ولا حاجة إلى أي من الدروس النظرية. ولكن إن أردتما معرفة خطة المركز في إقامة الدورات فهذا الملف سيساعدكما.

سألته وأنا أنظر إلى الورقة التي بين يدي وقلت:

ـ هل سنمارس هذا التأمل يومياً هنا؟

ـ كلا بل ستمارسانه في المنزل معظم الوقت، ويجب أن تقومي بتصوير ذلك للتأكد، هل قمتما بدفع الرسوم الخاصة بالدورة؟

ـ أجل، فعلنا ذلك مسبقاً

حينها اتسعت ابتسامته مجدداً وقال:

ـ أهلاً بكما إذن معنا... أنا المدرب باسل

ـ أهلاً بك أيها المدرب، أنا ليلى وهذه أختي ريم

سألته ريم:

ـ ألا نستطيع أن نقابل المدربة كاترينا؟

ـ ولماذا تريدينَ ذلك؟! نحن نقوم بإعطائكما نفس الدروس

ـ كنا نعتقد أنها هي من سيقوم بتدريبنا

ـ عزيزتي: إن المدربة كاترينا لن تستطيع أن تقيم دورات بشكل متواصل طوال اليوم، ولكن إن كان هناك أمر مهم فتستطيعين التواصل معها عن طريق حسابها الخاص وهي سترد على أي استفسار، كما أنها تقيم أحياناً حصصاً تدريبية جماعية لكل من يشترك في المركز

بعد أن خرجنا من الغرفة التقينا بنهال التي كانت تنزل من الطابق العلوي وهي تضحك مع فتاة أخرى، فاقتربت منها ريم وسلمت عليها وقامت بتعرفيها بالفتاة الأخرى. أما أنا فوقفت أراقب الجميع وأنظر إلى ما حولي فلمحث فتاة تجلس وحدها وهي تضع رأسها بين يديها وكأنها تبكي!! كنت أودّ الاقتراب منها والحديث معها إلا أنها نهضت بسرعة وخرجت من المركز وهي تمسح دموعها! بعد أن خرجنا سألت ريم عن نهال فقالت لي:

ـ لقد انتقلت إلى الطابق الثاني، وتقوم المدربة كاترينا بنفسها بتدريبها وربما قريباً ستذهب في رحلة معها إلى إحدى الدول الآسيوية لتحضر معها الدورات الهامة هناك، كم هي محظوظة!

ـ هل نهال من عائلة ثرية؟

ـ ألا تذكرين أنه تقدّم للزواج منها رجل ثري؟ أعتقد أن المدربة لها علاقة بهذا الزواج، ولكن لم أستطع أن أتأكد من ذلك.

عندما عدنا إلى المنزل أخبرنا أمي بأمر الدورات، لكن لاحظث أنها لم تستوعب ما أخبرناها به فأخذت تردد:

ـ هل فيها أي خطورة عليكما؟

ضحكت ريم بسخرية:

ـ خطورة!؟ إنها مجرد تمارين وجلسات تأمل لا تقلقي، ما رأيك لو تأتين معنا لتخففي من التوتر قليلاً؟

تنهدت أمي بحسرة ثم قالت:

ـ وهل أملك الوقت كي أفكر بالاسترخاء؟ إخوتكِ الصغار والمنزل ووالدك كثير التذمر كل تلك الأمور تجعل فكرة الاسترخاء مجرد حلم، استمتعا أنتما بوقتكما، وربما تتحقق أمنياتكما كما قالت المدربة.

بعد عدة أيام عندما وصلنا كانت القاعة مكتظة، ولم نستطع أن نجد مكاناً للجلوس، فسألت إحدى المتدربات عن السبب فقالت:

ـ لأن هذه المحاضرة ستلقيها المدربة كاترينا بنفسها، ولن تعيدها إلا بعد شهر من الآن

ـ وهل هي مهمة إلى هذه الدرجة؟

حدّقت إليّ الفتاة بدهشة:

ـ أكيد مهمة، ومن لا يحضرها سيفوته الكثير

بصعوبة استطعنا الجلوس بالقرب من إحدى الفتيات، لكنها بدت منزعجة من وجودنا بقربها فأخذت تبعد حقيبتي عنها بين الحين والآخر، فقلت لها:

ـ إن المكان ضيق جداً ولا أستطيع وضع حقيبتي في حضني طوال الوقت، لذا أرجوكِ لا تدفعيها مجدداً.

رفعت حاجبها بتعالٍ وأخذت تحدق إلي بطرف عينها، ثم أشاحت بوجهها عني! وبعد عدة دقائق فتحَ الباب لتدخل منه سيدة قصيرة القامة وضعيفة الجسد بشكل غريب، كما أن شعرها مليء بالشيب وبشرتها متجعدة حتى بدت وكأنها في الستين من عمرها أو ربما أكثر من ذلك، رغم أنني كنت أعتقد أن المدربة في منتصف الثلاثين فقط بحسب ما قرأته من سيرتها على الأنترنت، كما أن المقاطع التي رأيتها فيها على النت كانت تُظهر أنها أصغر سناً!! وقفت في أول الغرفة وأخذت تنظر إلى الجميع من دون أن تبتسم، ثم قالت:

ـ أهلاً بكنّ في عالمي المتواضع المليء بالحب والسلام.

أخذت جميع المتدربات تصفقنَ ففعلت مثلهنّ، ولكننا كنا نشعر بالحيرة وهي تتحدث بإسهاب عن دورتها وما سيستفيد منه كل متدرب، وكيف سنخرج بعد هذه الدورة، وتابعت تقول:

ـ ستشعرنَ وكأنكنّ قد ولدتنّ من جديد، ستصبحنَ أكثر قوة وصلابة، ولن تحتجنَ إلا إلى ذواتكنّ، وستُعدنَ بناء التوازن لأرواحكنّ التائهة... أرواحكنّ الذابلة ستتسامى وتعلو لتتحد مع الكون وتشكل طاقه هائلة من القدرات، ولن يستطيع أي أحد أن يحطم هذه الصلة والقدرة.....

واستمرت تمتدح دورتها وتستعرض نتائج المتدربات السابقات، حيث قالت وهي تشير إلى إحدى المتدربات:

ـ لدينا الآنسة جميلة، عندما أتت إلى المركز كانت تعاني من قله الثقة بالنفس والتوتر ولا تستطيع الحديث أمام جمع من الناس، لكنها الآن أكثر قوة ولا تشعر بالتوتر أبداً بفضل دوراتي وتوجيهي

لها، بل إنها افتتحت مشروعها الخاص أيضاً، وتعرفت على الكثير من الأصدقاء.

صفّقن مجدداً، ثم أشارت إلى فتاة أخرى وقالت:

ـ أما لينا فقد كانت تبحث عن توءمها الروحي، ولم تستطع أن ترتبط بأي علاقة أو شراكة زواج بشكل طبيعي، فقد انفصلت عدة مرات وتعرضت إلى الكثير من الأذى بسبب علاقات فاشلة.. وعندما أتت إلى هنا أنا ساعدتها على الوصول إلى هدفها والبحث عن توءم الشعلة الخاص بها، والآن هي مرتبطة وسعيدة كما أن زوجها يتلقى تدريبات معنا في نفس المركز.

ثم أشارت إلى نهال صديقة أختي وقالت:

ـ كما أتمنى منكنّ أن تباركن لنهال التي ارتبطت برجل يليق بها، وذلك بعد أن كانت تحلم فقط بوظيفة بسيطة وبزوج يسعدها.. لكن أنا ساعدتها بدوراتي وتدريباتي لتصل إلى الكمال الذي تريده وتطمح إليه.

صمت الجميع، ثم دخلت إحدى الموظفات وهي تحمل صندوقاً زجاجياً جميلاً جداً وبداخله مجموعة من الأحجار الملونة، ثم قالت المدربة كاترينا:

ـ هذه الأحجار كنت أعمل على شحنها بالطاقة والجذب الروحي طوال أسبوع تقريباً، وقد عرّضتها إلى ضوء القمر لمده ثلاث ليالٍ أثناء اكتماله.. تستطيعون شراءها من الموظفة، وستخبركنّ أي حجر يناسبكن بحسب طاقتكنّ الروحية وأبراجكنّ الفلكية، وستجدنّ مع

كل حجر طريقة تفعيله والوقت المناسب لاستخدامه.

بعد أن انتهت المحاضرة تجمعت الحاضرات حول الأحجار يردنّ شراءها، وكذلك فعلت أختي ريم فقلت لها:

ـ لكن سعرها مرتفع جداً

ـ هذا لا يهم ما دامت ستساعدني على الالتقاء بزوج ثري أو على الحصول على وظيفة جيدة.

وأسرعت خلفها أنظر إلى تلك الأحجار البراقة والموظفة تخرجها من العلبة الزجاجية بحذر. وفي أقل من نصف ساعة نفذت جميع الأحجار وكان لأختي نصيب منها حيث إن الموظفة أخبرتها أن برجها الترابي يناسبه حجر الفيروز الأخضر، أما أنا فقررت أن أتريث قليلاً لأن شراءها سيدمر ميزانيتي.

مرت عدة أيام وقد لاحظت أمراً غريباً على إحدى الفتيات اللواتي يأتين بشكل مستمر، حيث كنت أراها تبكي بصمت بعيداً عن الجميع وتحاول أن تتحدث إلى المدربة، لكن الموظفة تمنعها بأسلوب جاف يصل أحياناً إلى الجدال، وفي إحدى المرات قررتُ أن أتحدث إليها وأعرف سبب حزنها وبكائها، وعندما جلستُ بالقرب منها ابتسمتُ لها بلطف، ولم تبادلني الابتسام فقلت لها:

ـ لقد لاحظت أنكِ تجلسين وحدك دائماً، وأحياناً أراكِ تبكين

حدقت إليّ بضيق، لكنها قالت بعدها:

ـ لقد تعقدت أموري كثيراً، والمدربة كاترينا تتجاهلني.

ـ ولماذا تتجاهلكِ؟ ألستِ هنا للتخلص مما يضايقكِ؟

ـ أجل، لكن عندما فتحت العين الثالثة انقلبت حياتي رأساً على عقب ولا أعرف ما السبب!! وكلما أخبرت المدربة بالمشكلة تقول إنني السبب فيما حدث لأنني لم أتبع إرشاداتها بشكل صحيح!

قاطعتها إحدى الموظفات، ونادتها بصوت عالٍ:

ـ آنسة سلوى: لو سمحت المدربة كاترينا تريدكِ في المكتب حالاً.

فنهضت من مكانها ولحقت بالموظفة، ولكنني لاحظت أنها توترت كثيراً وهي تدخل إلى مكتب المدربة. وكانت هذه آخر مرة أرى فيها تلك الفتاة في المركز.

مضى أكثر من أسبوع تقريباً ونحن نمارس التأمل بشكل يومي، حتى وصلنا إلى ساعة من السكون وسماع موسيقى هادئة جداً أو أصوات الطبيعة، ولم نشعر بأي سوء خلالها بل كنا نشعر بالهدوء والاسترخاء، وأن قدرتنا على التفكير بدت أكثر اتزاناً، حتى قال لنا المدرب باسل في أحد الأيام:

ـ غداً سنبدأ الدروس الأساسية، وستنقسمن إلى مجموعات.

ـ ما الذي سنتعلّمه في البداية؟

فأجابني قائلاً:

ـ أولاً علينا أن نقوم بتهيئة الروح لاستقبال الطاقة الإيجابية عن طريق تنظيف الهالات من كل الطاقات السلبية، وتفريغها من جميع ما قد يسبب أي تعارض مع الاستقبال الطاقي.

أخذنا نحدق إلى بعضنا بعضاً، فأكملَ قائلاً:

ـ جميعكنّ أتيتنّ إلى هنا متمنياتٍ أن تتخلصنَ من شعور ما أو لتكتسبنَ إحساساً جديداً، فمثلاً هناك من تحتاج أن تخلّص الطفل الداخلي من تراكمات الحياة، وهناك من جاءت لكسر حاجز التوتر والخجل، وأخريات جئنَ للبحث عن حل جذري يغير حياتهنّ إلى الأفضل وينشر السلام في دواخلهنّ.

طلبتُ من المدرب أن يشرح لي معنى كلمة طفل داخلي، لأنها كلمة غريبة فأجاب:

ـ كل منا لديه أم وأب هم المسؤولون عن تربية هذا الطفل، ولكن معظم الأهل يربون أولادهم بطريقة قد تكون خاطئة من دون أن يعلموا ما هي حاجات هذا الطفل. فقد يكون ذا شخصية حساسة.. ولكن الأهل لا يلتفتون إلى هذا الأمر فيكبر وهو يعاني، ويبقى طفله الداخلي في حالة جرح لا يمكن شفاؤه حتى بالعلاج النفسي، لأنه يكون قد تحول إلى العقل اللاوعي، وأفضل طريقة هي ممارسة نوع من أنواع التأمل تساعدنا على الوصول إلى ذلك الطفل ومحاوله إصلاح الأذى الذي تسبّب به الأهل له، سواء عن قصد أو بدون قصد.

فسألته متدربة أخرى:

ـ هل تقصد أن ما أعانيه مثلاً من خوف قد يكون سببه الأهل أثناء طفولتي؟

ـ أجل، ولكن عقلكِ الواعي قد نسيَ هذا الأمر وحوّله إلى الطفل الداخلي الذي تأذّى ونقّى هذا الخوف لديكِ من دون أن تشعري.

أخذنا نخبر المدرب عن الأمور التي نعاني منها، فقلت له:

ـ أنا أشعر أن حظي قليل ومتعثر؛ مهما حاولتُ النجاح وتطوير نفسي فإنني أفشل دائماً وأتوقف، فهل لوالديّ علاقة بذلك؟

ـ أجل يا آنسة ليلى، فالشعور بالفشل وترديد عبارة: إنني لا أملك أي حظ أو ترديد الأهل للكلمات المحبطة لأولادهم قد ينعكس على العقل ويصبح الكلام المكرر حقيقة. وأنا أعتقد أنك تعانين من ذلك منذ أن كنتِ صغيرة. أخبريني يا آنسة: هل كنتِ تتعثرين كثيراً ويصاب جسدك بالكدمات عندما كنتِ طفلة؟

فتحتُ عيني بدهشة، وقلت:

ـ أجل، حتى إن والدتي كانت تقول لي دائماً: هل أنتِ عمياء؟

ـ هل رأيتِ؟ وربما لو ازدادَ تكرار الكلام لكنتِ أصبحتِ عمياء حقاً، أو ربما عانيتِ من ضعف نظر شديد.

صدَمني ما أضافه! فأنا فعلاً أعاني من ضعف النظر، وقد أجريت عملية قبل عدة سنوات، وخلال تلك العملية كدت أن أفقد بصري لولا لطف الله!!

عندما عُدنا إلى المنزل أنا وريم أخذنا نتحدث عن طفولتنا، فقالت ريم:

ـ إذاً ربما ما نعاني منه الآن من سوء الحظ وعدم مقدرتنا على النجاح والتطور كان والداي سببه!

ـ لا أذكر أنهما كانا قاسيين أبداً!!

ـ أجل، ولكنهما لم يستطيعا أن يفهما طبيعة شخصيّتينا، فأنتِ قلت بنفسك إن والدتي كانت تسخر منكِ لكثرة تعثركِ وسقوطك أثناء طفولتك؟ فكيف لأم أن تفعل ذلك لابنتها؟! لقد قاما بتربيتنا بنفس الطريقة أنا وأنتِ، رغم أنّ طبعينا وشخصيّتينا مختلفتان، وهذا أمر خاطئ.

أخذت أتذكر وقلت لنفسي: هل ظلمتني والدتي بذلك حقاً، أم أنني بالغت في ردة فعلي؟ لكن حينها كنت أضحك وهي أيضاً!! هل طفلي الداخلي تأذّى من دون أن أشعر ولم أستطع فهم تلك المشاعر طوال تلك السنوات؟ قاطعني صوت ريم قائلة:

ـ ما قاله المدرب صحيح، فالوالدان هما المسؤولان عن نشأة الطفل، وأظن أنّ والديّ رغم ثقافتهما وطيبتهما إلا أنهما لم يستطيعا استيعاب أن هناك أموراً قد تؤثر على عقولنا وتكبر معنا

حاولت أن أتذكر أي ذكريات سيئة في طفولتي، لكنني لم أستطع سوى تذكر ما كانت تقوله أمي عندما أتعثر، ولكن هل كانت فعلاً ذكرى سيئة!؟ والداي لم يكونا يعنّفاننا بأي شكل، فوالدتي طيبة القلب ومرحة، وأبي عطوف ويحبه الجميع.

استمر المدرب يتحدث معنا ويخبرنا عن الطفل الداخلي، كما أنه أعطانا طرقاً نتبعها لشفاء ذلك الطفل قائلاً:

ـ أريد منكنّ أن تكتبنَ رسالة مطولة وتصفنَ فيها مشاعركنّ تجاه هذا الطفل الداخلي الذي تأذّى وأنتنّ قد نسيتموه، تخيّلنَ كيف أنه ظلّ طوال تلك السنوات يعاني وحده وتكبرين أنتِ بينما هو بداخلك يتألم، حاولي أن تبحثي عن طريقة لاحتضانه إما عن طريق التأمل

أو عن طريق الكتابة عن مشاعركِ تجاهه وكأنها رسالة اعتذار... اسمحنَ لأنفسكنَّ بالعودة إلى الطفولة، وأول موقف تذكرنهُ في طفولتكنَّ قد يكون هو السبب في أذى ذلك الطفل، لا تخجلنَ من معاتبة أحد أو إبداء الغضب منه أو حتى الصراخ ما دام هذا الأمر سيريحكنَّ.

سألته إحدى المتدربات:

ـ وماذا نفعل بتلك الرسالة؟

ـ سنجتمع غداً وسنقوم بحرقها سوياً مع محاوله تفريغ تلك الشحنة السلبية.

في المنزل جلست في غرفتي وحدي وأخذت أكتب رسالة وأنا أتذكر طفولتي، ولا أعرف لماذا شعرت بالغضب من أمي، فما كانت تقوله لي وصوت ضحكاتها هو السبب في تعثر حظي، نزلت دموعي على خدي ثم تذكرت اجتهادي وتعبي الذي ذهبَ هباء، وأخذت أضرب الورقة وازداد غضبي حتى الصراخ!! بعدها أخذت أبكي وشعرت بضيق قوي في صدري حتى كدت أن أختنق، فقررت أن أخرج من المنزل كي أتنزه قليلاً، وعندما صادفت أمي سألتني:

ـ إلى أين ستذهبين في هذا الوقت؟

لم أستطع أن أنظر إلى وجهها أو أتحدث إليها، لذا خرجت من المنزل مسرعة وتركتها في حالة حيرة.....

في اليوم التالي وقبل أن نذهب إلى المركز لاحظت أن أختي ريم لم تكن تنظر إلى وجهي أو تتحدث معي. كما أنها قررت أن تذهب

وحدها بسيارتها، فسألتها عن السبب وكانت إجابتها صادمة بالنسبة لي حيث قالت:

ـ لا أريد أن أكون قريبة منكِ، فوجودك حولي يشعرني بالضعف، ما زلت أتذكر في طفولتنا كيف كنت تتركينني وتذهبين للعب مع بنات عمي، وعندما أطلب منك شيئاً كنت ترفضين وتفضلينهنّ عليّ.. تذكرت كم كنت أبكي وحدي، والآن بعد أن كبرنا بدأت أشعر أنك أفضل مني، لذا كنت أحاول أن أكون مثلك... وهذه النتيجة: أنني أصبحت فاشلة أيضاً.

رفعتُ حاجبي بدهشة، وقبل أن أبرر لنفسي أغلقت باب سيارتها وابتعدت. عندما وصلتُ إلى المركز كانت ريم تتحدث إلى المدرب وحدها، وقد لاحظت أنها تبكي فلم أشأ أن أتدخل، لكنه حدّق إليّ لبرهة ثم اقترب مني وقال:

ـ آنسة ليلى، ستنتقل أختكِ إلى مدربة أخرى، فهي ترفض أن تكون معكِ في نفس المكان.

ـ لكن لماذا؟ ما الذي حدث لها؟

ـ لأن مشاعرها تأذّت بسببكِ عندما كانت طفلة، ونحن نقدر هذه المشاعر ولا نريد أذيتها أكثر، ربما بعد أن تنتهي هذه الدورة وتكتسبان المعرفة في التعامل تستطيعان إصلاح علاقتكما وتحاولان سوياً إيضاح الأمور، أو ربما تعتذرين إليها، أما الآن فهي بحاجة إلى بعض العزلة، فلا تنزعجي.

ـ أعتذر!؟ لكنني لم أفعل أي شيء عمداً، لقد كنا مجرد طفلتين..

كما أن هناك ذكريات جميلة بيننا فلماذا أنكرتها ولم تذكر سوى الأمور السيئة التي محوتها من ذاكرتي!؟

ـ أنتِ محوتها، ولكن طفلها الداخلي قد أصيب بجرح من أقرب الناس إليه، وربما ريم لم تعِ حينها ذلك، والآن وبعد أن فهمت يجب عليكِ الاعتذار إليها.

ـ لكن لماذا الآن تذكرتها؟ أنا لا أفهم ما يحدث!!

ـ هذا غير مهم بالنسبة لكِ يا آنسة ليلى، ولكنه مهم عند أختكِ، لذا يجب أن تحترميه..

لم أستطع أن أعترض، لكنني عندما التفتُّ إليها كانت تنظر إليّ بضيق وهي تمسح دموعها!!

***

أكملت أختي دروسها مع مدربة أخرى، أما أنا فاستمريت مع المدرب باسل الذي طلبَ منا إحراق رسالة الطفل الداخلي أمامه بعد أن نخبره بأكثر شعور أزعجنا ونحن نكتب تلك الرسالة. فأخبرته

بما أزعجني، إنه إنكار أمي لما حدث، فهي تعتقد أنه مجرد أمر عابر ولم تكن تقصد إيذائي بكلامها، خصوصاً أننا كنا نضحك عندما تقول ذلك لي.

ـ أكيد ستدافع عن نفسها، فبعض الأهل ينكرون ما قاموا بفعله أيضاً ويتجاهلون مشاعر أبنائهم

ـ كيف أتعامل معهما إذن؟

ـ عليكِ الانعزال عنهما حتى يُشفى طفلك الداخلي، ولا تدخلي معهما في أي جدال أو نقاش حتى لو كان ودياً، فيجب أن يقتنع طفلك الداخلي بالشفاء قبل عقلكِ.. أخبريهما أنك بحاجة إلى بعض الهدوء لمعرفة ماذا تقررين بشأن مستقبلكِ، وإن استطعت الاستقلال في منزل خاص سيكون ذلك أفضل، ولكن كوني هادئة قدر استطاعتكِ، فطفلك مجروح ولا تريدين أن تزيدي من جروحه خصوصاً الآن.

بتردد سألته عن أختي ريم فقال:

ـ هي أيضاً تشعر بالسوء تجاهكِ، ولكن بعد أن تشفى من هذا الجرح تستطيعان الحديث سوياً وتتصالحان، فأنتما أختان، وبينكما ود وحب، لا تنسي ذلك.

لم يكن باستطاعتي فعل أي شيء كي أعيد علاقتي بأختي، فقررت أن أنفذ ما قاله المدرب وأتوقف عن فعل كل ما يؤذي طفلي الداخلي، ثم أحلّ الأمور مع ريم وعائلتي

أخبرنا المدرب عن حالة إحدى المتدربات لديه، قال إنه يجب أن نشاهد جميعاً طريقه علاجها وتخليصها من المعيقات والصدمة التي عانت منها بسبب تعرضها للتحرش والتنمر والكثير من المشاكل العائلية أثناء فتره طفولتها ومراهقتها وأوضح:

ـ ما سنفعله الآن هو طريقة علاجية خاصة تسمى بتنفس الهلوتروبيك، وهي لتخليص الروح من الصدمات القوية. لذا عليكنّ أن تركزنَ معي وتلزمنَ الصمت تماماً حتى ننتهي، وبعدها أجيبكنّ على أسئلتكنّ.

كانَ الأمر غريباً! وقد تسبّب لي بحالة من الدهشة والهلع! فقد طلبَ المدرب من الفتاة أن تستلقي على الأرض بطريقة معينة، وأن تتنفس بشكل بطيء تدريجياً. وبعدها زادت من سرعة التنفس واستمر الأمر لأكثر من نصف ساعة بينما نحن نستمع إلى موسيقى غريبة من نوع خاص أخبرنا المدرب أن ترددداتها تساعد على الشفاء، رغم أنني كنت أشعر بالقشعريرة بين الحين والآخر عندما تتغير النغمة فجأة.. ثم وضع يديه على كتفيها وأخذ يضغط عليهما بأصابعه، وبينما هي تتنفس أخذ يتلمّس عدة نقاط في جسدها حتى إنني شعرت بالخجل وأنا أنظر إلى كل ذلك أمامي. انتفضَ جسد الفتاة وعلا صوت زفيرها، وفجأة أخذت تصرخ وتبكي والمدرب يتحدث إليها وهو يضع راحة يده على جبهتها ويحركها بشكل دائري ويردد كلمات مطمئنة لها وهي تنتفض وتُصدر صوتاً هو أقرب إلى الأنين!! منظر الفتاة وتصرفات المدرب جعلاني أشعر بذعر وقلق، حتى إنني كدت أن أنهض من مكاني وأخرج من الغرفة من شدة الخوف! وعندما انتهى العلاج نهضت الفتاة من مكانها وأخذت الفتيات جميعاً يصفقنَ لها بينما هي تترنح في مشيتها وتبدو بحالة من الإرهاق الشديد وتتنفس بصعوبة، فأخذتها إحدى الموظفات إلى خارج الغرفة كي ترتاح قليلاً في إحدى الغرف وحدها. وبعد انتهاء الدرس استوقفتُ المدرب وأخبرته عما يخيفني قائلة:

- هل سأحتاج إلى هذا التمرين؟

- وما المشكلة إن احتجت إليه؟!

- الأمر محرج، وصراخ الفتاه أفزعني

ـ عندما تذهبين إلى الطبيب ويعطيك إبرة أو يطلب منك أي اجراء قد يتسبب بالألم لكِ أثناء الفحص، هل ترفضين مادام الأمر سيخلصك من المرض؟

ـ كلا بالطبع.

ـ وهنا نفس الشيء، فالمتدربة كانت تعاني من صدمات لم تستطع أن تتخطاها، وهذه إحدى الطرق العلاجية.. لكن أنت لن تحتاجي إلى مثلها إن شاء الله لأن حالتك مختلفة تماماً، فاطمئني

ـ وماذا عن الموسيقى التي كنا نستمع إليها؟ هل نستطيع الاستماع إليها من دون أداء هذه التمارين؟

ـ أجل تستطيعين، ويوجد عده نسخ تباع في المركز تستطيعين شراء ما يناسبك منها.

ازدادت علاقتي بريم سوءاً حتى إنها رفضت الحديث معي، وعندما تحدّث إليها أبي لمعرفه السبب أخذت تصرخ بغضب وقالت له:

ـ أنت لم تحمِني أثناء طفولتي، ولم تهتمّ لمشاعري، بينما هي كانت تسخر مني.. والآن تسألني ما سبب غضبي وضيقي؟!

ـ لقد كنتما طفلتين يا ريم، وجميع الأخوة يتشاجرون وينسون عندما يكبرون

صرخت ريم في وجه أبي مجدداً:

ـ لكنني لم أنسَ.. لقد فضّلتم ليلى وأحببتموها أكثر مني

فتحث عيني بدهشة وصرخت:

ـ ما الذي تقولينه؟ هل نسيتِ أن والدتي كانت تسخر مني وتناديني بالعمياء؟!

شهقت أمي:

ـ أنا فعلتُ ذلك؟

التفتُ حينها إلى أمي وأخذتُ أبكي وأخبرتها بكل شيء، وبما عاناه طفلي الداخلي وتسبّب لي بسوء الحظ، فقال أبي:

ـ لا يوجد هناك شيء اسمه سوء حظ، إنها أقدار وابتلاء من رب العالمين كي يتعلم الإنسان دروساً منها.

قلتُ ساخرة من حديثه:

ـ أنتما تبرران أخطاءكما دائماً وترميانها على مسألة الأقدار أو تجارب الحياة، في الحقيقة أن دور الأم والأب هو حماية أبنائهما وليس الاستهزاء بهم وتحقير شأنهم، وكان يجب عليكما أن تتعاملا معنا بطريقة مختلفة، فنحن لا نتشابه.

ـ نحن لم نسخر منكما بل على العكس والدكِ لطالما شجعكِ على إكمال تعليمكِ رغم أنك كنت تريدين التوقف.. وأنتِ يا ريم عندما تطلبين أمراً ما... لم نكن نقصر في تنفيذه بحسب مقدرتنا.

ـ لكننا لا نقصد الأمور المادية، أنا أتحدث عن العاطفة والاحتواء

فقال أبي:

ـ وهل قصرنا عاطفياً؟ للأسف لا يخرج كل طفل من بطن أمه ومعه دليل للتعامل والتربية، فنحن نربيكما ونهتم بكما متمنّيين أن تكون

حياتكما أفضل من حياتنا.

لا أعرف لماذا شعرت فجأة أنني أكذب على نفسي، فأنا لا أذكر أنني احتجت إلى أمي وأبي في يوم من الأيام إلا ووجدتهما معي يساندني ويأخذان بيدي، فما الذي يجعلني أتحدث إليهما بهذه اللهجة القاسية!؟ ولكن ما تقوله ريم صحيح أيضاً. قاطعني بكاء أمي وصراخ ريم في وجهها، فلم أحتمل أكثر وخرجت من المنزل حتى لا أعرّض طفلي الداخلي إلى صدمة أخرى، وتزيد من حظي السيئ!

في اليوم التالي عندما ذهبتُ إلى المركز قررت أن أتحدث مع المدرب باسل عما حدثَ، وأخبرته بكل الحوارات وباتهام أختي لي فقال لي:

ـ هذا أمر طبيعي، فالآن الجميع يفرغون طاقتهم السلبية ويخرجونها وهو أمر صحي مهما بدا قاسياً ومتعباً.

تنهدت بضيق، وقد شعرت بالذنب

ـ ماذا أفعل الآن؟ أنا لا أريد إغضاب والديّ، ولا أريد أن تكون علاقتي مع أختي سيئة

ابتسمَ بلطف:

ـ صدقيني إنّ ما يحدث لكما الآن هو لمصلحتكما معاً، أكملي ما بدأته يا عزيزتي من دون تراجع وانعزلي أكثر ودعيهم وشأنهم؛ فكل شخص له طريقته في تحرير ذاته، ولا تتركي مجالاً لأي أحدٍ أن يهينكِ أو يؤذي طفلك الداخلي فهو يحتاج إلى التعافي، وأعدكِ عندما يحدث ذلك ستتغير حياتك ونظرتك إلى نفسك، وستحققين

جميع أهدافك في الحياة، تعلّمي أن تضعي نفسك قبل الجميع ولا تهتمي لما يفكر به الآخرون عنكِ، فأنتِ لست ملزمة بأحد.

كلماته جعلتني أشعر بالاطمئنان، وعندما خرجت من المركز صادفت أختي التي أشاحت بوجهها عني وأكملت طريقها وهي تتحدث إلى نهال والمدربة كاترينا، ولاحقاً عرفت من بعض الزميلات أن أختي تمت ترقيتها كنهال وتأخذ دروسها مع المدربة بشكل مباشر في الطابق العلوي مع كبار الشخصيات. شعرت بالحسد تجاهها وازداد حقدي وكرهي لأختي فكيف استطاعت أن تصل إلى هذه المكانة قبلي وبهذه السرعة!!؟ لذا عدتُ إلى البيت وانعزلت بشكل كامل وأخذت أمارس التأمل، ولم أعِ بأنني جلست ثلاث ساعات متواصلة من دون حركة!! فجأة طرق أحدهم الباب وحاول أن يدخل لكنه كانَ مغلقاً، فنهضت من مكاني كي أفتحه معتقدة أنها أمي أو أختي، ولكن عندما فتحته وجدت طفلة صغيرة لا أعرفها تقف أمامي ووجهها عابس، فسألتها:

ـ من أنتِ؟

لم تجبني الفتاة، بل أخذت تجري في الممر وقد تعثرت عدة مرات، ثم دخلت إلى غرفة أبي وأمي!! أمسكت هاتفي وقمت بالاتصال بأمي لأنني لم أشأ أن أقابل أي أحد منهم وقلت:

ـ هناك فتاة تجري في الطابق العلوي، وقد دخلت إلى غرفتكما

ـ فتاة!! ربما تكون إحدى بنات الجيران، لقد أتت منذ قليل لتعطيني شيئاً ما، لكن كيف وصلت إلى الطابق العلوي من دون أن أراها!؟ حسناً سأصعد إلى الغرفة وأعرف ما الذي تريده!

أقفلت الهاتف وعدت إلى جلستي وأنا أتأمل وأفكر في حظي العاثر وذكرياتي الحزينة.. ومره أخرى طرقَ الباب!! أخذت أشتم وألعن حظي، ثم فتحت الباب مجدداً لأجد نفس الفتاة تقف أمامي وهي تبتسم بطريقة مستفزة، ونظراتها غريبة وكأنها مجنونة!! فسألتها:

ـ من أنتِ؟ وماذا تريدين؟

فأخذت تضحك بصوت عالٍ وقالت لي:

ـ ألا ترين أيتها العمياء؟ أنتِ عمياء.

ثم تركتني وأسرعت نحو غرفة والديّ وأنا أنظر اليها بذهول وغضب!! كيف عرفت ابنة الجيران بذلك؟ هل تتحدث أمي عني أمام الجيران وتسخر مني؟! أردتُ أن أذهب كي أتشاجر معها، ولكنني تذكرت ما أخبرني به المدرب باسل، وقد نبهني إلى عدم الجدال والدخول في مشاكل مع أفراد عائلتي حتى لا يزداد جرح الطفولة. لذا رفعت صوت الموسيقى عالياً ووضعت السماعات في أذني وأخذت أبكي وأنا أحاول السيطرة على مشاعري....

في مساء اليوم التالي وبعد عودتي من المركز سمعت صوت ضحكات أمي وأختي فشعرت بالدهشة! فما الذي جعلهما تضحكان بهذه الطريقة رغم الشجار الكبير الذي حدث قبل أيام؟! وقبل أن أدخل قررت أن أسترق السمع لعلّي أعرف سبب ضحكهما، فسمعت أمي تقول لريم:

ـ أتمنى أن تفكري جيداً يا ريم، فمهما كان الرجل ثرياً ومن عائلة

معروفة إلا أنه يجب أن نسأل عنه ونتأكد إن كان مناسباً لكِ أم لا

ـ لا تقلقي يا أمي؛ فهذا الشاب محترم ومن عائلة مرموقة كما أخبرتني المدربة ونهال أيضاً، فهو قريب لخطيبها.

فتحت عيني بدهشة وشعرت بصدمة جعلتني أنفجر بالبكاء، ثم صعدت إلى غرفتي بسرعة وأخذت أبكي بشكل متواصل: أختي الصغرى ستتزوج قبلي ومن رجل ثري، بينما أنا لم أستطع الحصول حتى على وظيفة!! سمعت طرقَ الباب فمسحت دموعي وعندما فتحته كانت أمي تبتسم بلطف:

ـ أختكِ ريم تقدّم من يخطبها.

قاطعتها بفظاظة:

ـ ما دخلي أنا؟

تغيرت ملامح أمي إلى الحزن وقالت:

ـ فقط أردت أن أخبرك بذلك، وأتمنى لكِ أنت أيضاً أن تحققي أمنياتك وتكوني سعيدة

صرختُ في وجهها بغضب:

ـ وكيف أكون سعيدة وأنتِ دمرت حياتي، وجعلتِ حظي عاثراً بسبب سخريتكِ مني؟!

لاحظتُ الصدمة والألم على وجه أمي التي قالت:

ـ إن كنت تشعرين أنني أخطأت في حقك فأنا أعتذر منك، فقد كنتِ طفلتي الأولى وكنتُ أجهل الكثير عن التربية حينها، ورغم ذلك

بذلك كل جهدي لتكوني سعيدة أنت وأختكِ، ولا أذكر أنني ضربتك أو أهنتكِ كما تقولين.

ثم تركتني وابتعدت فأغلقت الباب خلفها بكل قوتي، استلقيت على سريري وفجأة أحسست أن هناك أحداً معي في الغرفة وكأنه ينظر إلى ظهري، فالتفتُ بسرعة ولكنني لم أجد أحداً!! فأغلقت عيني كي أهدئ من توتري وضيقي، ولكنني سمعت صوت ضحكات قرب أذني ففتحت عيني لأجد وجهاً مخيفاً يقف أمام وجهي مباشرة ويحدق إلي فأخذت أصرخ بأعلى صوتي واختفى ذلك الشيء من أمامي!! هل كنت أتوهم؟ أم هو الحزن ما جعلني أتخيل طاقتي السلبية على هيئة وحش مخيف!؟ قلت لنفسي: يجب أن أبتعد عن كل ما يضايقني، فأنا لا أريد أن تتحول مخاوفي وأحزاني إلى وحوش تلاحقني كما قال المدرب باسل عندما أخبرنا أن أحزاننا وطاقتنا السلبية قد تتحول إلى واقع يظل يلاحقنا أن لم نتخلص منها.

عندما ذهبت إلى المركز في اليوم التالي كانت أختي توزع الحلويات وهي تضحك بسعادة مع بعض المتدربات وتقف بقربها نهال، فأسرعت بالابتعاد عنهن حتى لا يظهر ضيقي على ملامح وجهي، ولكن صوت أختي خلفي أوقفني:

ـ ألن تهنئيني يا أختي؟

قالت نهال بتعجب زائف!

ـ لم تهنئي أختكِ على خطبتها وأنتِ معها في نفس المنزل؟!

سحبتُ نفساً عميقاً كي أتمالك أعصابي ثم قلت:

ـ مبارك لكِ يا ريم ولكن حتى الآن لم يحدث شيء ولم يتقدم العريس بشكل رسمي، فلماذا العجلة في الاحتفال والتهنئة؟

ضحكت بسخرية وقالت:

ـ الغيرة واضحة في كلماتك يا أختي، ولكن أنا لا أهتم فكما قالت المدربة كاترينا... الآن أستطيع أن أعرف من يحبني ومن يغار ويحقد عليّ ولا يتمنى الخير لي. وأظن أن هذا واضح على محياك وفي فلتات لسانكِ.

تركتهنّ ودخلت إلى غرفة المدرب، وكان الجميع يحدقون إلي ويتهامسون وأنا أحاول أن أتجاهل نظراتهم حتى اقترب المدرب باسل مني وجلس أمامي وقال:

ـ أنا أعرف ما تشعرين به يا ليلى، لذا عليكِ أن تعبري عنه ولا تكتميه.

كلماته جعلتني أصرخ بغضب وأنا أبكي:

ـ لماذا تتحقق أحلامها بينما أنا لا؟ هل ينقصني شيء؟ أخبرني.

ـ بصراحة نعم، تنقصك الجرأة وقد لاحظت أنك مترددة بعكس ريم، هل تعرفين أنها تقوم بأخذ دورات متقدمة من أجل فتح العين الثالثة لتزيد من جمالها استعداداً للزواج، كما أنها تعلمت الكثير من المهارات التي قد تؤهلها لتصبح مدربة في هذا المجال، وحينها ستنفتح لها آفاق كثيرة وفرص مختلفة؟ أختكِ جريئة ولا تتردد أبداً بعكسك وعكس الكثيرات من المتدربات هنا، لذا وصلت بسرعة إلى

أهدافها.

لم أفهم ما يشير إليه، فأكمل قائلاً:

ـ ما دمتِ تريدين زوجاً فعليكِ أن تجعلي ذلك هدفاً لك، سواء أكنتِ تريدين وظيفة أو تريدين الشهرة. أهم شيء أن تجعلي مما تتمنينه هدفاً أمامك وتنسي كل ما يحيط به من عوائق، حتى لو اضطررت إلى أن تحطمي كل ما حولك كي تصلي إلى أهدافك، لكن أنت تفكرين كثيراً بمشاعر وبردة فعل الناس وعائلتك على كل تصرف تقومين به.

ـ لكنني أطبق كل ما تعلمته منك حرفياً، حتى إنني وصلت إلى ثلاث ساعات من ممارسة التأمل

ـ التأمل وحده لا يكفي، خصوصاً إذا كنتِ تريدين تحقيق هدفك بسرعة

ـ إذن ماذا أفعل؟

فكّر لبرهة وهو ينظر إلى وجهي ثم قال:

ـ لأنك فتاة طيبة وتحاولين جهدك الوصول إلى أهدافك، سأعطيك دروساً خاصة في توءم الشعلة وفتح العين الثالثة، وهي دروس متقدمة لا تعطى لأي أحد إلا للمميزين.

قرأت سابقاً عن هذا الأمر لكن ممارسته تحتاج إلى تعلم الكثير وبها بعض الخطورة، لكنني لن أتردد، أكملَ المدرب قائلاً:

ـ ستكون حصصاً خاصة، وهناك ثلاث فتيات ستنضمين إليهنّ

ـ ألن تقيمها بنفس المركز هنا؟

التفتَ حوله ثم همس قائلاً:

ـ كلا إنها دورات تخصني أنا وليست للمركز، ولا أقيمها بشكل دائم

شعرت بالقلق وبأنّ هناك شيئاً ما بداخلي يحاول منعي من الموافقة على الذهاب إلى تلك الدورة الخاصة، ولكن رغبتي في الحصول على ما أتمنى وتغيير أفكاري وتطوير ذاتي جعلتني أتشجع، وقبل أن أذهب قمت بالاتصال بإحدى صديقاتي المقربات كي أستشيرها، وأخبرتها بما أنوي فعله رغم أن المدرب طلب مني عدم فعل ذلك، فقالت صديقتي:

ـ هل أنت متأكدة أن هناك فتيات أخريات معك؟

ـ أجل، لقد أخبرني المدرب بذلك.

صمتت صديقتي لبرهة، ثم قالت:

ـ لا أعلم ماذا أقول، ولكن الأمر غريب قليلاً!! فلماذا يقيم دورات خاصة ما دام يعمل في المركز؟

ـ لأنه يريد أن يزيد من دخله، وأعتقد أن المدربة كاترينا ستمنعه من أن يقيم دورات خاصة به داخل مركزها

ـ هل أخبرتِ والديك بذلك؟

ترددت في إخبارها، ولكن أجبتها:

ـ كلا، فلربما يعارضان ذلك، إنهما لا يقدران مدى شعوري بالنقص خصوصاً بعد أن تمت خطبة أختي.

ـ هل تمت خطبتها بشكل رسمي!؟

ـ كلا ولكن والدة الشاب تواصلت مع والدتي، وأخبرتها أنهم قريباً سيأتون لزيارتنا

نصحتني صديقتي قائلة:

ـ لا تفكري بهذه الطريقة يا ليلى فلكل شخص نصيبه ووقته المناسب في الارتباط، وأنصحك أن تكوني حذرة. على الأقل أعلمي عائلتكِ بموقع الفندق وأخبريهم أنكِ برفقة صديقة لك حتى لا يقلقوا.

أغلقت الهاتف وقلت لنفسي: يجب أن لا أتردد ما دمت أريد الوصول إلى أهدافي، ولن أجعل أي أحد يقف في طريقي.

بعد أيام أخذت عنوان الفندق الذي سألتقي فيه بالمدرب باسل وذهبت إليه، كنت أعتقد أنه سيقيم الدورة في أحد الفنادق الراقية، ولكنه كانَ فندقاً ذا نجمتين، ويبدو قديماً. كما لاحظت أنه هادئ ولا يوجد به سواح كثر وفي منطقة بعيدة نسبياً. سألت موظف الاستقبال عن غرفة المدرب ولاحظت أنه يهز رأسه وقد عبس وجهه وامتعض ثم قال لي:

ـ إن غرفته في الطابق الثالث، الغرفة رقم ١٠١

كان قلبي يخفق بشدة وأنا أقترب من الغرفة، وسألت نفسي: هل أنا جريئة إلى هذه الدرجة كي آتي إلى هنا؟! ولكن تذكرت أن هناك ثلاث متدربات سيكنّ معي أيضاً فشعرت ببعض الاطمئنان. طرقت باب الغرفة وعندما فتح المدرب الباب كان يبتسم بلطف ورحّب بي

قائلاً:

ـ أهلاً بك يا ليلى تفضلي

دخلث خلفه فأغلق الباب، وشعرت بخفقان في صدري عندما لاحظت أن الغرفة خالية فسألته:

ـ أين باقي المتدربات؟

ابتسم بلطف وهو يسكب عصيراً وقدمه لي قائلاً:

ـ إنهن في الطريق إلى هنا.. استرخي ولا تفكري كثيراً

أمسكت الكأس من يده، ولا أعرف لماذا ترددت في شربه

ـ لماذا أنت قلقة هكذا؟

قلت بخجل:

ـ هذه أول مرة أجد نفسي فيها مع رجل غريب وحدي

رفع حاجبيه بدهشة:

ـ وهل أنا غريب؟ أنا مدربك يا عزيزتي وأخاف عليك أكثر مما تخافين على نفسك، لذا اطمئني لقد أخبرتني إحدى الفتيات أنها قريبة جداً

طرق الباب وعندما فتحهُ دخلت فتاة جميلة جداً وترتدي ملابس جريئة وقد أسدلت شعرها وزينت وجهها بمساحيق التجميل بشكل مبالغ فيه، وكأنها تستعد للذهاب إلى حفلة، وقالت ببعض الغنج والميوعة:

ـ أهلاً أستاذ، هل تأخرت؟

ـ كلا يا ناني، تفضلي كي أعرفكِ على المتدربة ليلى، ليلى هذه ناني وهي إحدى المتدربات القديمات معي.

لاحظت أن ملامحها قد تغيرت وهي ترحب بي، لم تكن سعيدة وكان ترحيبها مختصراً، ثم قالت تخاطب المدرب:

ـ متى سنبدأ؟

ـ قريباً، عندما تشرب ليلى العصير وتأتي الفتيات الباقيات.

لا أعرف لماذا أحسست أن العصير هو العائق وأني يجب أن أنتهي منه حتى أخرج من هنا، فوضعته في فمي وأخذت أرشفه بسرعة..

كنت أشعر أنني سعيدة وقد ارتقيت بعقلي وروحي إلى السماء، فأخذت أبتسم وأضحك بسعادة بينما أسمع صوت المدرب وهو يشجعني على أداء تمارين التنفس:

ـ شهيق... زفير، كرري... والآن عليك أن تجلسي على السرير

لم أعترض بل كنت أضحك ببلاهة وأنا أنظر حولي، وأتساءل: أين أنا؟! وما هذه الأشكال الغريبة والمضحكة التي تطفو حولي؟ أين أختي ريم هل تزوجت!؟ كنتُ أضحك ولا أعرف ما السبب!!

ـ والآن يا ليلى: شهيق طويل وارفعي عضلات صدرك إلى الأعلى ثم ازفري بصوت عالٍ.. كرري... كرري

ثم سمعت صوت هاتفي يرن، فتوقفت عن الشهيق ورفعت رأسي كي أجيب، إلا أن المدرب باسل صرخ في وجهي غاضباً وأمرني ألا

أرد ولم أعترض!! أصبحت عيناي ثقيلتين ولساني مخدراً ويكاد أن يخرج من فمي، ثم سمعته يطلب مني أن أرفع يدي إلى الأعلى!

ماذا؟! لماذا يطلب مني ذلك؟! رفعت رأسي مجدداً فرأيت المدرب يقترب مني وينظر إلي بطريقة أخافتني، لكنني لم أستطع أن أبدي أي ردة فعل، أما تلك الفتاة فقد كانت تمسك بالهاتف المحمول وكأنها تقوم بتصويري!! والمدرب يقول لي بينما هو يقترب أكثر حتى أصبح وجهه غريباً وكأنه يذوب كالشمعة:

ـ افعلي ما أطلبه منك يا ليلى ولا تتوقفي...

صوت هاتفي مجدداً!! هل أرفع رأسي وأرد؟ لكن كيف أفعل ذلك وأنا لا أستطيع حتى فتح عيني؟ أغلقتهما باستسلام ثم فتحتهما مجدداً عندما سمعت صوت صراخ وكلمات مشوشة، ثم بكاء بصوت عالٍ، وأحسست أن هناك من يحاول رفعي وحملي... فتحت عيني لكنني لم أستطع أن أرى جيداً، فأنا أعرف هذا الصوت ولكن لا أستطيع تمييزه!! هل انتهى التدريب؟! هل أستطيع الآن تحقيق أمنياتي؟ سأجد وظيفة وسأحصل على زوج ثري، وربما سأمتلك سيارة من أرقى الماركات العالمية.....وفجأة لم أعد أسمع أي شيء!

خشيت أن أفتح عينيّ وأنصدم بما حدث لي، ولكن صوت أمي وهي تقرأ القرآن وصراخ أختي جعلاني أفتح عينيّ على استحياء وخجل مما فعلته. لكن لم تكن أمي تجلس قربي بل كانت تجلس بالقرب من السرير المقابل وهي وتبكي، وعندما التفتُ إلى السرير وجدت أختي ريم ممددة عليه وهي تتلوى وقدماها ويداها مقيدتان!! رفعت رأسي بصعوبة وقلت بهمس يكاد يقطع حلقي:

ـ أمي... ما بها أختي؟!

التفتت أمي إلي، ثم احتضنتني وقد زاد نحيبها وبكاؤها:

ـ لا نعرف ما حدث لها يا ليلى.. فجأة راحت تتلوى وتصرخ وتضرب نفسها وقد حاولت الانتحار، ما هذه المصيبة التي حلت علينا يا إلهي!!

فتحت عيني بدهشة ثم تذكرت ما حدثَ لي، وأخذت أسأل أمي كيف عرفوا مكان وجودي، فأجابتني وهي تمسح دموعها:

ـ عندما خرجتِ من المنزل وتأخرت كثيراً قمت بالاتصال بصديقتك فأخبرتني أنكِ ستذهبين إلى دورة خاصة في أحد الفنادق...عندها لم أشعر بالاطمئنان فقمت بإخبار والدك الذي اتصل مباشرة بالشرطة خصوصاً بعد أن تأخر الوقت كثيراً، وأخبرهم بكل شيء فقاموا بتتبع هاتفك واستطاعوا الوصول إلى المكان.. عرفنا لاحقاً أن ذلك الرجل يستخدم الفندق كي يواعد عشيقاته ويخدع الفتيات بشهاداته المزورة، ويقوم بابتزازهنّ بعد أن يلتقط صوراً فاضحة لهنّ.

توقفت أمي عن الحديث وأنا كنت أنظر إليها بصمت وخجل، فسألتني بعتاب:

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟ كيف تتجرئين وتذهبين في خلوة مع رجل غريب؟ هل هذا ما ربّيناكِ عليه؟ أم أنك ستلقين باللوم علينا أيضاً؟!

أخذت أبكي بندم وأخبرت أمي بكل ما قاله ووعدني به باسل الحقير، وأضفت:

ـ أنا صدقته لأنه يدربنا في المركز، كما أنّ لديه شهادات عديدة

وأخبرني أن هناك متدربات أخريات معي سيلتحقن بالدورة

ـ وهل هذا مبرر لتصرفك؟ هل أنت يائسة إلى هذا الحد كي تجدي زوجاً؟! هل ينقصكِ شيء؟ لماذا لم تخبرينا بالأمر على الأقل؟!

نعم لا ينقصني شيء، ولكن غيرتي من أختي وما كان يقوله ذلك الحقير زادا من شعوري بالنقص.. بكيت كما لم أبكِ من قبل، فاحتضنتني أمي قائلة:

ـ الحمد لله أنه لم يلمسكِ، كما أن الشرطة أتلفت تصوير الفتاة وتحفظت على الحادثة، لكن والدك غاضب جداً وكاد أن يقتلك لولا أنني حاولت تهدئته.

عندما استعدتُ عافيتي وتوازن عقلي أدركت كم أنا غبية، وكيف صدقت كل ما كان يقوله المدرب الحقير وما يحشو به عقولنا من أوهام وأكاذيب. فقررت أن أترك كل شيء وأتوب إلى ربي وأستغفره. ولكن قبل كل ذلك يجب أن أعتذر من أبي وأمي. وبأرجل ترتعد وقلب يخفق بشدة طرقت باب مجلس أبي الذي كان يعزل نفسه طوال اليوم حتى لا يراني، وعندما دخلت أشاح بوجهه عني وقد لاحظت دموعه التي مسحها بسرعة.. ظللت واقفة في مكاني ورأسي باتجاه الأرض خجلاً وقلت:

ـ هل تسمح لي بالدخول والحديث معك يا أبي؟

لكنه صرخ في وجهي غاضباً:

ـ لا تناديني بأبي، فأنا لم أربِّ فتاة تخرج مع رجال غرباء وتذهب إلى فنادق مشبوهة.

هل أبرر لنفسي أم أجعله يفرغ غضبه أولاً؟ تركته يصرخ ويعبر عن غضبه واستيائه بسبب ما فعلته وأنا أبكي في مكاني عند الباب بصمت، وعندما توقف وهدأ قلت له:

ـ أقسم لك إنني لم أفعل ذلك بإرادتي، وكأن هناك من يُملي عليّ فعل كل ذلك من دون أن أشعر.. فقط أردت أن...

لم أستطع إكمال جملتي وأنا أشهق بدموعي، فاقترب مني أبي واحتضنني وأخذ يبكي معي.. ثم اعتذرتُ من أمي كذلك، والتي لم تقوَ على رؤية دموعي وقالت لي:

ـ لولا معرفتي بنواياكِ وأنكِ كنتِ تحت تأثير خداعهم لما سامحتكِ، ولكن يجب أن يكون هناك عقاب.

أخذت تنظر إلى وجهي، ثم إلى وجه أبي وقالت:

ـ ستكملين دراستك الجامعية، وستنسين مسألة الزواج والوظيفة حتى تنتهي منها

ـ لكنني أنهيتُ البكالوريوس

ـ ستكملين دراسة الماجستير إذن، أو تختارين تخصصاً آخر، لكن لن تجلسي في المنزل من دون عمل أي شيء وذلك كي تشغلي الفراغ الذي تعيشين فيه.

وافقها أبي على ذلك، ولم أستطع أن أخالفهما الرأي، لكنني قلت لأمي:

ـ هل أستطيع أن أسألكِ سؤالاً وتجيبيني بصراحة؟

أومأت أمي برأسها بالإيجاب، فقلت:

ـ هل أخبرتِ جارتنا عن طفولتي، وأنكِ كنت تناديننني بالعمياء؟

رفعت أمي حاجبيها بدهشة:

ـ ولماذا أفعل ذلك؟ فأنا لا أذكر حتى هذا الأمر، لأنني لم أكن أقصد أن أجرحكِ، وكنتِ أيضاً تضحكين عندما أقول ذلك.

أخبرت أمي بأمر الطفلة التي رأيتها عدة مرات في المنزل وهي تسخر مني، فشعرت أمي بالخوف!

ـ جيراننا ليس لديهم أطفال بهذا العمر، ثم كيف ستدخل إلى المنزل وتصعد إلى الطابق العلوي من دون أن أراها؟!

أدركت حينها أن ما رأيته قد يكون من الجن أو هو وهم صنعهُ خيالي بسبب كل تلك الطقوس الغريبة التي تعلمتها وقمت بممارستها خلال الدورات. والحمد لله أن الأمر لم يتطور كما حدث لأختي.

فما حدث لها كان أكثر سوءاً وقسوة، ولولا لطف الله بها لكانت فقدت حياتها.. فبعد أن استمرت في تلك الدورات وفتح العين الثالثة أصيبت بحاله من الوسوسة الغريبة، وكانت تتخيل وجود أشخاص مخيفين يجولون في المنزل، وأحياناً يتحرشون بها. وفي أحد المرات جاءت إلى غرفتي بعد منتصف الليل وعندما فتحث الباب لها هجمت عليّ بسكين وهي تصرخ بهستيريا، وعندما استطعت مقاومتها سقطت على الأرض وأصيبت بتشنج قوي فأسرعنا بها إلى المستشفى الذي أخبرنا أنها تعاني من الصرع!! لم

تكن أختي مريضة من قبل، ولم تعانِ من أي تشنجات، لذا اعتقدَ والدي أن ما تعانيه هو أمر آخر... وأخذ يربط الأحداث حتى توصّل إلى أن بعض الممارسات في فتح العين الثالثة هي ما تسببت لها بهذه الحالة.

فأخذها أبي إلى أحد علماء الدين المعروفين، واستمرّ يرقّيها بالرقية الشرعية، كما ساعدها طبيب نفسي على التعافي حتى تحسنت حالتها كثيراً، خصوصاً بعد أن علمت أن المدربة خدعتها في مسألة الخاطب الثري كما خدعت نهال أيضاً وأخريات. وعندما استطعت الحديث معها بشكل طبيعي أخبرتني بما حدث لها في إحدى الحصص التي تخصّ فتح العين الثالثة قائلة:

ـ كنا نجلس في القاعة أنا ونهال وبعض المتدربات والمدربة كاترينا معنا، وطلبت منا أن نستلقي على الأرض ونضع إصبع السبابة ما بين حاجبينا ونفركه بشكل متواصل، وقامت بتشغيل موسيقى خاصة بترددات غريبة كلما تذكرتها يقشعر بدني... فجأة لا أعرف لماذا فتحت عيني رغم أنها أخبرتنا أن لا نفعل ذلك أثناء هذا التمرين، ولكن عندما فتحتهما وجدت شخصاً قبيحاً ومخيفاً يقف أمام وجهي مباشرة ويحدق إليّ بطريقة غريبة... أخذت أصرخ كالمجنونة مما تسبب بحالة توتر وخوف للجميع، فأخذتني المدربة إلى خارج الغرفة وهي غاضبة جداً، كما أنها قامت بتهديدي وتحذيري بطريقة لم أستوعبها إلا بعد مدة.

سألتها وأنا أشعر بالذعر:

ـ لماذا كانت تهددكِ؟

تنهدت أختي وقالت وهي تمسح دموعها:

ـ تلك الحقيرة كانت تمارس الشعوذة، وما رأيته هو أحد خدّامها الذي سلطته على جسدي، وكان يؤذيني ويحاول أن يتحرش بي طوال الوقت.

أصابتني صدمة قوية! وشعرت بالشفقة على ريم فاحتضنتها وأخذنا نبكي ثم أكملت قائلة:

ـ في نفس ذلك اليوم لم أستطع أن أنام وأنا أرى تلك الخيالات تتحرك أمامي، وكلما أغمضت عيني أرى ذلك الوجه المفزع. ثم بدأ بتهديدي بالانتقام إن لم أدعه يفعل ما يريد وأطيع أوامره، فجن جنوني وأصبت بانهيار عصبي، حتى إنني أردت التخلص من حياتي كي لا أراه، وفي إحدى المرات عندما ذهبث إلى المركز أخبرتني المدربة أنها لا تريدني أن أنضم إليها بعد اليوم في الحصص الخاصة، وأنها لا تستطيع مساعدتي!!

ـ لكنها هي من تسببت لكِ بذلك؟

ـ هذا ما أخبرتها به فأخذت تضحك مني بسخرية وقالت: هاتي دليلكِ على ذلك، وإن قمتِ بالتشهير بي أو بتقديم أي شكوى أنتِ من ستندمين وكذلك عائلتك

تمنيت لو أنني أستطيع ضرب تلك المشعوذة، ولكن لم يكن بيدي أي حيلة، فنحن من ذهبنا بأنفسنا إليها، ولا يوجد أي دليل على ما حدث لأختي! كما أن ما حدث لي مع المدرب قد يتسبب بفضيحة لنا لو فتحنا الملف للتحقيق.. تنهدث بضيق، ولكن طرأت في بالي فكرة

وقررت أن أنفذها.

تعرفت في إحدى وسائل التواصل على سيدة ورجل كبير في السن، كان الرجل أحد مدربي علوم الطاقة لكنه اعتزل الأمر بعد أن تأذّى من تلك الممارسات وتسبّب بأذية للكثير من تلاميذه من دون أن يقصد. وعندما اكتشفَ الحقيقة أخذ يحذر الناس ويخبرهم بخطورة تلك الأمور والخزعبلات. قررتُ أن أنضمّ إلى الرجل وزوجته وأن أخبر الناس بقصتي أنا وأختي من دون أن يعلم أي أحد بأسمائنا الحقيقية... انتشرت قصتنا في الأنترنت، وعرف أحد الأعضاء من أقصد من دون أن أشير إليها باسمها، فقال لي في رسالة على الخاص:

ـ هل تعرفين أنها في السجن الآن؟

ـ لماذا؟ وكيف عرفتَ أنني أقصدها؟

ـ لأنها الوحيدة تقريباً التي تملك مركزاً مرخصاً ولديها مدربون من الرجال.. عموماً لقد تمّ إغلاق المركز وهي الآن مسجونة بقضية دعارة وممارسة أعمال مشبوهة مع شخصيات مشهورة... كما أنه تمّ ترحيل جميع موظفيها الأجانب ومنعهم من الدخول إلى البلاد مجدداً.

صعقني ما قاله، فقلت بدهشة:

ـ يا لها من قذرة!

ـ إنها تضحك على عقول الفتيات المستميتات على الزواج، وتوهمهنّ أنّ هناك رجل أعمال أو تاجراً يريد الارتباط بهنّ، وعندما

توقع الفتاة في الفخ تتجاهلها وتطردها من المركز.

تذكرتُ ما قالته لأختي ووعدتها به، أنّ هناك شاباً ثرياً يريدها زوجة له، فأخبرت الرجل بالأمر وقال:

ـ الحمد لله أن أختكِ قد تعرضت لحادثة التلبس التي أوقفتها وأخرجتها مما هو أشد وأقسى... فلو استمرت معها لربما عرّضتها إلى ما لا تحمد عقباه، وحينها لا ينفع الندم ولا التراجع.

أخبرت أبي وأمي وكذلك ريم بما قاله الرجل لي، فأخذت ريم تبكي بندم فاحتضنتها وقلت:

ـ احمدي الله يا ريم فقد نجّاكِ مما هو أشد، والآن علينا أن نطلب التوبة منه كي يغفر لنا غباءنا وثقتنا فيمن لا يستحق الثقة.

والآن، بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على تلك الحادثة وتوبتي أنا أختي، تغيرت حياتنا إلى الأفضل، حيث تزوجتُ من رجل محترم وأعمل الآن كمساعدة دكتور في أحد المراكز الصحية. أما ريم فقد سافرت إلى الخارج من أجل إكمال دراستها في مجال التصميم، وقريباً ستفتتح متجراً خاصاً بها.

تحذير...

القصة التالية مقتبسة من أحداث حقيقية

النقّاشة

أمسكتْ بيد أخي سامي وأخذت أجري مسرعة.. ورغم شعوري بالفضول إلا أنني لم ألتفت خلفي لأرى إن كانت ما تزال النقاشة تلحق بنا أم لا...

ما هي القصة؟!.

سأعود بكم إلى الماضي، وبوجه خاص إلى فتره السبعينات، حينها كنت صبية في الثامنة من عمري فقط، وقد اعتادت أمي أن تضع الحناء في يدي وقدمي وكذلك شعري، خصوصاً قبل المناسبات أو الاحتفالات الشعبية. وأنا كنت أحب ذلك كثيراً وأنتظره بفارغ الصبر، فنجتمع مع بنات خالتي وكذلك بنات الجيران اللواتي بعمري في منزلنا، وتقوم أمي بتلك المهمة لنا جميعاً، ثم نجلس ونتسامر ونضحك بسعادة ونحن نراقب جفاف الحناء ولونه الذي يظهر بين أصابعنا، وكانت أمي تقول لنا ممازحة:

ـ الفتاة التي يصبح لون الحناء في يدها خفيفاً ولا يظهر، هي من ستتزوج قبل الباقيات، وسيحبها زوجها كثيراً.

وكنا نشعر بالخجل حينها رغم أنني كنت أتمنى أن يصبح الحناء غامقاً، إلا أن تلك الكلمات كانت تعزّيني عندما أكتشف أنه لم يصطبغ في يدي.

في أحد الأعوام وقبل ليلة النصف من رمضان، كانت أمي مريضة ومتعبة بسبب الحمل، ولم تستطع أن تجهز الحناء لنا، أما خالتي فكانت مشغولة بالعناية بطفلها الجديد وبانتقالهم إلى منزل آخر

بعيد عنا، وعندما طلبنا من إحدى الجارات أن تقوم بنقش الحناء لنا رفضت لأنها تكره رائحته. أذكر أنني شعرت بالحزن حينها وأخذت أبكي وأنظر إلى يدي بحسرة، وحاول أبي أن يسعدني وينسيني موضوع الحناء لكن من دون فائدة، فنمت وأنا أبكي.

في اليوم التالي كنتُ أجلس وحدي بحزن، فاقترب أبي وهو يبتسم كعادته ووضعَ في يدي مبلغاً من المال وقال:

ـ هذا المال لكِ وحدك يا فايزة، اشتري به ما تحبين

احتضنتُ أبي بسعادة فالمبلغ حينها كان يساوي الكثير، فشعر إخوتي بالغيرة مني فقال لهم أبي وهو يحتضنني:

ـ إنها ابنتي الوحيدة بين أربعة صبيان، لذا لا أريد أن أراها حزينة أبداً، وما دامت أمكِ مريضة ولا تستطيع تجهيزك لليلة النصف من رمضان فسآخذك إلى منزل عمتك، وهي ستهتم بكِ وترتب شعرك وتزينه بالريحان والورد المحمّدي كما تحبين، ولقد اشتريت لك قلادة من الورد لترتديها أيضاً.

ثم أخذ المبلغ مجدداً وأخرجَ قلمه من جيبه وهو يبتسم وقال:

ـ سأكتب اسمكِ على النقود كي لا يأخذها إخوتكِ منك

وكتبَ على الأوراق النقدية (إلى الغالية فايزة من والدك)، ثم أخذ يضحك وإخوتي الأربعة ينظرون إليّ بغضب. لم أكن قريبة جداً من عماتي أو بناتهن، إلا أنني لم أجد حلاً آخر فودّعت أمي وقبلتها، وقبل أن أخرج قالت لي تنبّهني:

ـ كوني عاقلة في بيت عمتك، ولا تسببي أي إزعاج

ثم أخذني أبي من يدي إلى منزل عمتي والذي لم يكن يبعد عنا مسافة طويلة، وكان طوال الطريق يتحدث معي ويغني لي أغانيَ تحمل اسمي وأنا كنت أضحك، وعندما تركني في منزل عمتي قال قبل أن يذهب:

ـ سأعود لأخذكِ بعد ساعة تقريباً كي تحتفلي مع جاراتك وصديقاتك وتجمعي الحلوى والمكسرات ككل عام.

ـ ومتى ستأخذني إلى السوق كي أشتري اللعبة التي أريدها بالمال الذي أعطيتني إياه؟

ربّت على شعري وقال:

ـ غداً إن شاء الله سنذهب إلى دكان العم جاسم، واختاري ما تشائين

رغمَ لطف عمتي إلا أنني كنت خجولة وهي تقرب لي طبقاً من الحلوى أعدّته للمناسبة وقالت:

ـ اقتربي يا فايزة لا تخجلي.. ستحبين هذه الحلوى كثيراً

مددت يدي إلى الطبق، ولكنني شعرت بالحزن حينها عندما شاهدت كفوف بنات عمتي قد زينت بالحناء وأنا لا، فقالت عمتي:

ـ لماذا يدكِ خالية يا فايزة؟ ألم تضع والدتك الحناء لكِ ككل عام؟

كدتُ أن أبكي وأنا أنظر إلى يديّ فقلت لها:

ـ أمي متعبة، وخالتي كانت مشغولة.

فمسحت على رأسي بعطف، وقالت:

ـ لو أنك أتيتِ مبكراً لكنت وضعت لك الحناء كبنات عمتك.. لكن لا تقلقي إن شاء الله في يوم العيد تضع لك أمك الحناء وستبدو يدك جميلة.

في المساء عدت إلى المنزل وارتديت ملابس جميلة تناسب الاحتفال الشعبي أو ما يعرف بليلة (القرقاعون): سروالي المزركش وفستان أخضر مزين بالورود ووشاح يغطي شعري، فقالت لي أمي وهي تبتسم:

ـ كم أنتِ جميلة يا بنتي! والآن هيا اذهبي برفقة بنات خالتكِ ولا تتأخرن كثيراً ولا تبتعدن عن المنطقة.

خرجت من المنزل ولم أنسَ أن أحمل معي المبلغ الذي أعطاني إياه أبي كي أخبر بنات خالتي به، وربما أمرُّ بدكان جارنا العم جاسم وأشتري منه الدمية التي أتمناها، ولكن قبل خروجي استوقفني أخي الأصغر سامي وقال:

ـ أريد أن أذهب معكن.. خديني أرجوك يا أختي

ـ لماذا لم تذهب مع إخوتك؟

كاد أن يبكي وهو يقول:

ـ لا يريدونني معهم، وأخبروني أنني ما أزال طفلاً

لم أحتمل رؤية وجهه الحزين، فأنا أعلم أن إخوتي الكبار يرفضون أخذه معهم، فشعرت بالشفقة عليه، أمسكته من يده ثم خرجنا

لملاقاة بنات خالتي وجاراتي، وأخذنا نطرق الأبواب واحداً تلو الآخر ونحن نردد الأهازيج ونصفق، ولكن فجأة لاحظتُ أن أخي سامي اختفى، فشعرت بالخوف وأنا ألتفت حولي وأنظر في وجوه الأطفال لعلّي أراه لكن بلا فائدة، فأخبرت ابنة خالتي فقالت:

ـ يجب أن نجدهُ بسرعة كي لا يتوه... إنه صغير وربما يبكي الآن.

افترقنا حينها فذهبتُ أنا وجارتي في طريق وبنات خالتي في الطريق الآخر، وأخذنا نبحث عنه. ولكن لم نجد له أي أثر فشعرت حينها بالذعر وأخذت أبكي، فسامي كان مجرد طفل في الخامسة من عمره وحتماً لن يستطيع العودة إلى المنزل لوحده، لكن ابنة خالتي قالت:

ـ لقد بحثنا عنه في كل مكان، يجب أن نعود إلى المنزل ونخبر والدك عن اختفائه.

حينها شعرت بالخوف فأنا لم أخبر أمي بأنني سأصطحب سامي معي، فكيف أعود إلى المنزل الآن وأخبرهم أنني أضعته؟ فقلتُ لابنة خالتي:

ـ دعينا نبحث عنه أكثر، ربما خرجَ من الحي وذهب إلى الدكان.

سرنا إلى مسافة بعيدة ونحن ننادي باسمه، وفجأة اقتربنا من منزل مهجور جميعنا نعرف قصته ونخشى الاقتراب منه، فابتلعتُ ريقي وأنا أنظر إلى بابه المفتوح الموارب، وقالت ابنة خالتي وهي تنظر إلى المنزل بخوف:

ـ انظري يا فايزة إلى ذلك المنزل

شاهدنا باب المنزل يفتح على مصراعيه وكأنه يدعونا إلى الدخول إليه، وفي داخله رأينا عجوزاً قد اتشحت بالسواد، تجلس على الأرض وأخي سامي يجلس بالقرب منها!! صوت الباب الصدئ جعلني أصاب بقشعريرة وأحسست أن وجهي قد جفَّ منه الدم وأنا أنظر إلى أخي الذي كان ينظر إلى تلك العجوز بدون أن يتحرك أو يرف جفنه!! أردتُ أن أطلق قدمي وأهرب أنا ومن معي، ولكن كيف سأترك أخي وحده؟! فقلتُ لهن:

ـ يجب أن أخرج سامي من هذا المنزل المخيف.

فأخذت أصرخ باسمه وأناديه، إلا أنه لم يلتفت إليّ، وظلّ ينظر إلى العجوز بصمت وكأنه لا يسمعني، وعندما أردتُ الدخول منعتني ابنة الجيران وقالت لي محذرة:

ـ لا تفعلي ذلك يا فايزة، ألا تعرفين قصة هذه العجوز؟

ـ أعرفها يا نوال، لكن أخي يجلس بالقرب منها وقد تؤذيه.

أخذت أبكي وأنا أنادي اسمه، فقالت ابنة خالتي:

سندخل سوياً إلى المنزل، ثم سنجري بقدر استطاعتنا بعد أن نسحب سامي منها.

اقتربنا من الباب بأرجل مرتعدة وتلك العجوز ظلت في مكانها من دون أن تتحرك، فقالت ابنة خالتي تحدث العجوز:

ـ نحنُ نريد هذا الصبي فقط

وعندما أصبحنا جميعنا داخل المنزل أغلق الباب خلفنا بقوة

فالتفتنا نحوه وقلوبنا ترتعد، وأخذنا نصرخ بذعر ونبكي، وفجأة وقفت العجوز وهي تحمل بيدها طبقاً مليئاً بالحناء وقالت لنا بصوت أشبه بفحيح الثعبان:

ـ اجلسنَ كي أضع الحناء في أيديكنّ وأرجلكنّ، ألا تردن أن تتزوجنَ قريباً؟

التفتنا إليها وأخذنا نراقب اقترابها منا، لم تكن قدماها على الأرض بل كانت تمشي وكأنها تعوم في الهواء وهي تقترب منا وتمسك بأيدينا واحدة تلو الأخرى وتضع الحناء في أصابعنا، ولكن عندما اقتربت مني لا أعرف ما الذي انتابني وكيف استطعت الصراخ بكل قوتي، فما كان من العجوز إلا أن ألقت بطبق الحناء على الأرض، وأخذت تصرخ في وجهي بصوت مخيف جعلَ جسدي يقشعر وأرجلي ترتعد.

استطاعت ابنة خالتي فتح الباب فأسرعنا بالخروج من المنزل من دون أن نهتم للحلوى التي سقطت منا أو لحقائبنا. فكل ما فعلته هو أنني أمسكت بيد أخي وأسرعت بالخروج من دون أن أنظر خلفي حتى وصلت إلى المنزل وأنا ألهث، وسامي ينظر إليّ بدهشة ويقول:

ـ لماذا تركضين بهذه الطريقة؟!

شعرتُ بالدهشة لأنه لا يتذكر ما حدث، لكنني لم أستطع أن أجيبه. وعندما رآني أبي بهذه الحالة أسرعت نحوه وارتميت في أحضانه وأنا أجهش بالبكاء، ثم أخبرته بما حدث. غضبَ أبي كثيراً لأننا ابتعدنا ولأنني أخذت أخي معي من دون أن أخبرهم، وكذلك أمي... ولكنهما نسيا الأمر بعد أن تأكدا أننا جميعنا بخير ولم نصب بأي أذى.

في اليوم التالي سألتُ أمي عن العجوز التي رأيناها، فقالت لي:

ـ تلك العجوز كانت تعمل نقاشة تقوم بوضع الحناء للعرائس فقط، وفي أحد الأيام ذهبت إلى أحد الأفراح لتضع الحناء لعروس جديدة تزوجت من رجل لديه زوجة سابقة، فشعرت تلك الضرة بالغيرة من العروس، وطلبت من النقاشة أن تضع الحناء لها أيضاً، إلا أنها رفضت.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟!

ـ عندما رفضت النقاشة أن تفعل ذلك سخرَ الجميع من الضرة، وأخذوا ينادونها بالحقودة والحسودة وهم يضحكون، فابتسمت النقاشة المسكينة من دون قصد منها، فأمسكت الضرة بطبق الحناء الزجاجي وأخذت تضرب النقاشة على رأسها به، فسالت دماؤها وامتزجت بالحناء وأصيبت بنزف حاد تسبّب بموتها في تلك الليلة وأمام الجميع، ولم يساعدها أي أحد لأنهم كانوا خائفين ومذهولين مما فعلته الضرة التي أصيبت بالجنون، وأخذت تنكش شعرها وتسير في الشوارع وهي تصرخ.

شعرتُ بالحزن على تلك المسكينة، وسألت أمي:

ـ إذن من هي تلك العجوز التي تسكن في المنزل المهجور؟ هل هي النقاشة نفسها؟

ـ أجل يا فايزة إنه شبحها، وهذا المنزل هو المكان الذي قُتلت فيه وقد هجرهُ سكانه بعد أن أصبحوا يرون شبح النقاشة التي تظهر لهم بين الحين والآخر، وتحاول أن تضع الحناء لهم ولبناتهم.

اقشعرّ جسدي عندما علمتُ أننا التقينا بشبح تلك الليلة، ولكن ما هوّن الأمر في نفسي هو أنها لا تؤذي أحداً، فقط كل ما تفعله هو أن تضع الحناء كما قالت أمي. قاطعنا صوت أبي الحنون وقال لي:

ـ هيا يا فايزة سآخذكِ إلى دكان العم جاسم كي تشتري هديتكِ.

شعرتُ بالخجل وأنا أخبره أنني أضعت حقيبتي في المنزل المهجور، لكنه ابتسمَ وقال:

ـ حسناً سأشتري لك الهدية التي تريدينها، ولكن عليك أن لا تفعلي ذلك مرة أخرى وتعرّضي نفسك للخطر.

عند ذهابنا إلى الدكان مررنا بالقرب من منزل النقاشة، وتحاشيت النظر إليه، ورغم ذلك لم أستطع منع نفسي فالتفتُّ ونظرت إلى الباب الذي وجدتهُ مفتوحاً على مصراعيه، ولكن لم تكن النقاشة تجلس على الأرض فقال لي أبي:

ـ لا تهتمي كثيراً بهذه القصة يا فايزة، وحاولي نسيانها.

ـ حسناً يا أبي، ولكن لماذا لا تتم إزالة هذا المنزل المخيف؟

ـ لا أعلم، ولكن ربما يوماً ما سيفعلون ذلك..

ـ أخبرني يا أبي، ما الذي حدث لمن كانوا يسكنون هنا؟

ـ هناك أمور يجب أن لا نسأل عنها يا فايزة حتى لا تتسبب لنا في الخوف أو القلق، ولأنكِ ما تزالين طفلة... لذا يجب عليكِ أن تنسي هذه الحادثة.

لكن أنا لم أستطع نسيانها وكذلك بنات خالتي لم يفعلن، وكلما

اجتمعنا في زيارة أو مناسبة كنا نتحدث عما حدث، ونحاول أن نعرف معلومات أكثر عن بيت النقاشة، حتى أخبرنا أحد أبناء خالتي الكبار عمّا حدث مع أهل البيت قائلاً:

ـ بعد حادثة النقاشة تمّ سجن السيدة التي قامت بضربها وأصيبت بالجنون وهي في السجن، أما العروس الجديدة فقد تعرضت إلى ملاحقة شبح النقاشة لها، وأصيبت بحالة نفسية شديدة السوء حتى طلّقها زوجها، ولا أعلم ما هو مصيرها.

مرّ أكثر من عشرة أعوام وخلالها تزوجتُ وأنجبت طفلين ونسيتُ تلك القصة تماماً، لكن ما جعلني أتذكرها هو أنني بعد تلك المدة ذهبت لزياره منزل والدي الذي كان مريضاً جداً، وقررت قبل أن أزوره أن أشتري له بعض الفواكه التي يحبها من محل الخضار القريب من منزلنا، وكان صاحبه رجلاً كبيراً في السن يعرف أبي جيداً، فأخذ يسألني عنه وعن صحته. وعندما قمتُ بمحاسبة البائع وأعاد لي المبلغ المتبقي، كان من بين ورقات المبلغ ورقة من فئة الخمسة ريالات قديمة جداً، كتبَ عليها بقلم أزرق (إلى الغالية فايزة من والدكِ)، وقد تلطخت الورقة ببقع بنية محمرة كلون الحناء..

انتهت